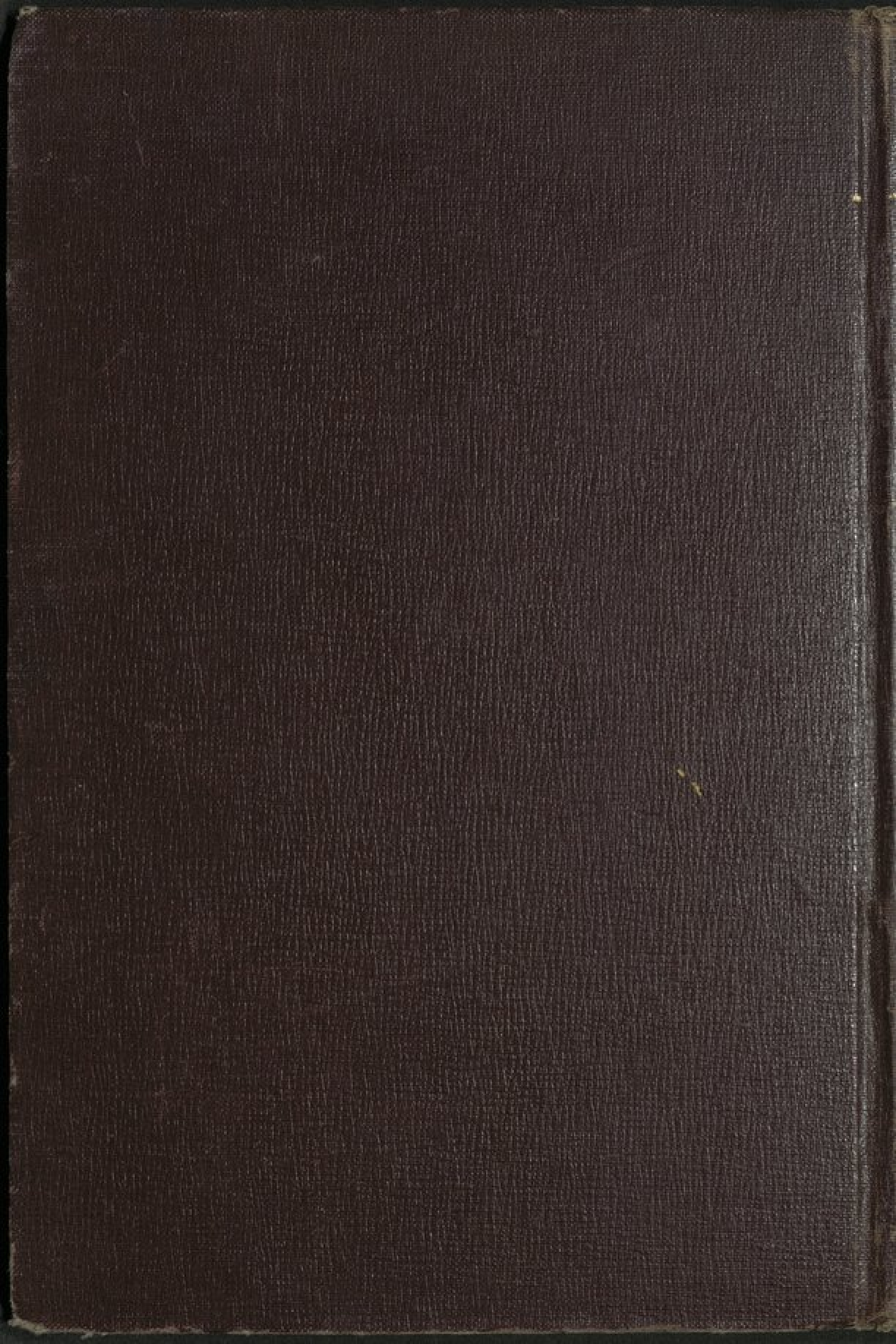
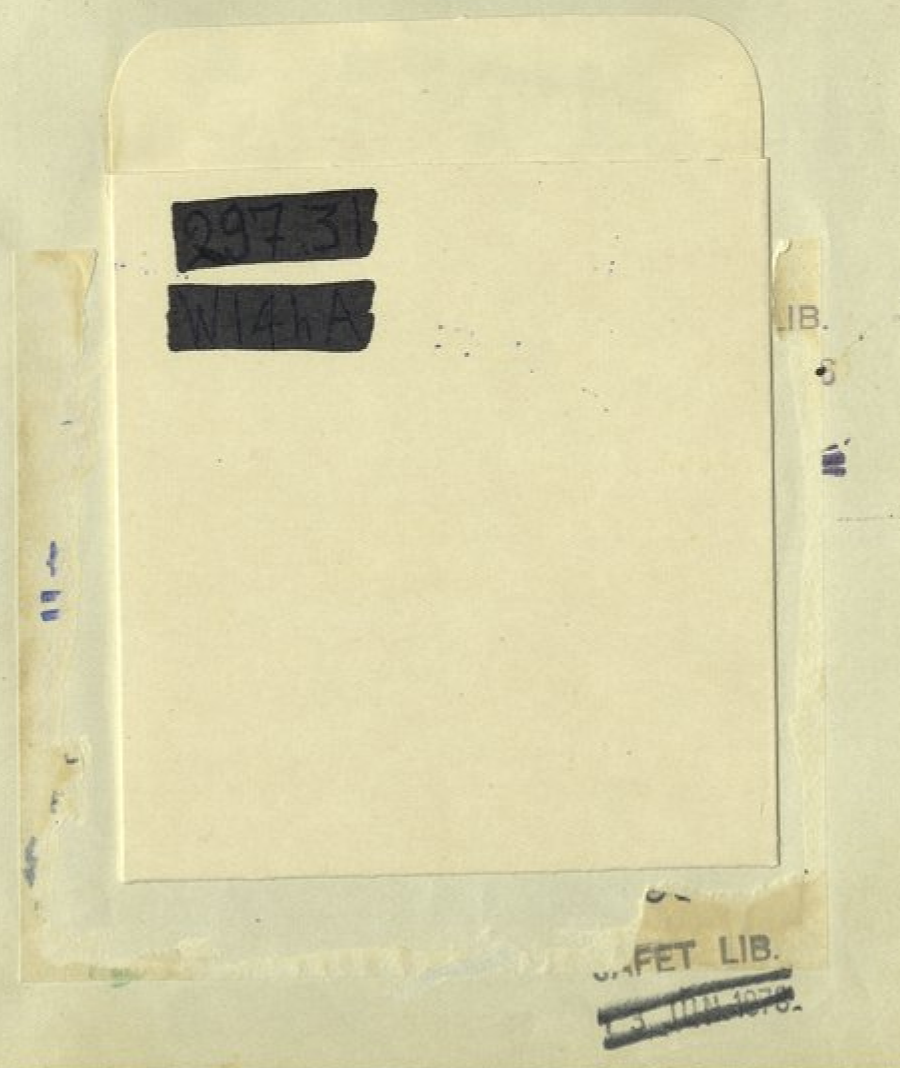



[redacted]
LIB.
AFET LIB.

هذه هي الصوفية

تأليف

عبد الرحمن الوكيل

الطبعة الثالثة

١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

مطبعة السنة المحمــدية
١٧ شارع شريف باشا الكبير ـ القاهرة
ت ٧٩٠١٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله محمد خاتم النبيين وسيد ولد آدم أجمعين .

« أما بعد » فما زلت أذكر ، وأنا طالب فى معهد طنطا الدينى ، ذلك الشيخ الشيبة يقسم لنا — وعيناه مُخْضَلّتَانِ بالدموع و نَبَرَاتُ صوته أصداء عَميقَةٌ بعيدةُ الغَوْرِ من الشَّجْوِ الوَلْهان ، والحنينِ الهائم ، والحرمانِ الجريح — يقسم لنا أن فى ضريح عبد العال المجاور لضريح البدوى شعرةً من رأس الرسول ! ، وأنها معين خير ، وفيض بركة ويُمْن ، ومطافُ آمالٍ ، ومَهْوَى رجاء ! ! وأذكر أننى حين سمعت حديثه ، يؤكده بقسم غليظ ، شعرت بقلبى ، وكأنما يود أن ينشق عنه الصدر ؛ ليهفوَ فى صبابته الملهوفة إلى معبد الشعرة يقبلها ، ويكنُّها فى مهجته ، بل شعرت كأنما حملت الملائكة إلىَّ بشرى الخلود !! .

وما زلت أذكر أيضاً أننى سألت الشيخ ؛ ليطمئن قلبى على هذا الأمل الحلو الساحر الفتنة ، عما جعلهم يوقنون بنسبة هذه الشعرة إلى رأس النبى الأعظم ؟ فأجاب — تولاه الله بما قدَّم — : لقد وضعناها فى زجاجة ، وأقمنا حولها حلقة ذكر وإنشاد ، فإذا بالشعرة تذكر مع الذاكرين على دفيف الدفوف ، وحَنَّاتِ النايات ، والنغم المطرب المرقص من الأناشيد !! .

وأذكر أننى آمنت بهذه الأسطورة كأنما هى من الله برهان ساطع !! وأذكر أن الشيخ تداركنا — حتى يُحْكِم القيد — بحجة أخرى ، فزعم أنهم وضعوا الشعرة تحت الشمس ، فلم يجدوا لها ظلاً ! ! وكان هذا الوهم الوثنى الجديد حجة عندى تدحض كل ريبة !! .

وأذكر — ويارب غفرانك — أن خرافة الشيخ هذه غمرتنى بنشوة سَكْرى

خِلْت فيها أنني أرى الجنة ، أو أنني صحابي يتلو عليه الرسول وَحْيَ الله !! .

فكنت أهفو إلى هَيْكل الشعرة خاشع الطرف ، رَيَّان القلب بالولاء ، أُصَلِّي لها بنجاوى الحب العابد ، وألثم خشب هيكلها وحَجَره فى شغف ثائر الأشواق عِزْبيد التلهف ، وأَنْهَنِهُ بالأرواح العِطْرِيَّةِ ـ التى أخال أنها تناسمنى منها ـ دموعى المسكوبة لوعة عشق ، وظمأ غرام !! .

وتعال معى أذكرك بأننى كنت أطوف حول صنم البدوى ، حتى إذا مثلت أمام الـكُوَّة الصغيرة فى وثنه النحاسيِّ البراق ، أنفذت منها يديَّ ـ فى رعشة التقديس ـ حتى ألمس سِتْر القبر ، ثم أخرجها رويداً رويداً فى حرص وحذر بالغين ، وقد ضممت قبضتيهما على . . . ؟ على ماذا ؟ كنت أوقن حينذاك أننى أضمهما على بركات سماوية تفيض من روح الله على القبر(١) !! ثم أبسط يدى فى جيبى ، ثم أمسح بها وَجْهى ، رَجَاء أن أكونَ مُيَسَّر الرزق ، دانى قطوف النجاح ، مشرق الوجه بنور الله !! وتعال ـ ولا تسأم من ذكرياتى ، فإنها عبرة ضحية ، وعظة مأساة ـ أذكرك بذلك الدَّوِيِّ ترجف منه الأرضُ ، وترتعد جُدُرُ المعهد حين كانت تُوَزَّعُ أسئلةُ اختبار آخر العام الدراسى . أتدرى ماذا كان يحدث ؟ .

تهب هذه الآلاف المضطربة من الطلبة رافعة أكفها فى ضراعة ناعقة بما لا يسمع ، ولا يبصر ، حتى ليبح صوتها ، وتتمزق حناجرها إذ تنعق ضارعة : ياسيد !! وياويل السمع من طول « ياء النداء » !! . لقد كانت تطول ، وتطول ، حتى لَيُخَيَّل إليك أنها دخان مارد يحترق ، فيلمس دخانه قبة النجم ، ولعلهم كانوا يفعلون ذلك ؛ لتصل أصداء ضراعتهم إلى حيث جثمت على الأرض فى غيابة القبر جيفة مَنْ دَعَوْه !! .

---

(١) يزعم الصوفية أن فوق كل ضريح ولى نافذة مفتوحة فى السماء ، يفيض الله منها بركاته على الطائفين حول الضريح !

ولعلك تسألنى : وماذا كان يفعل بكم شيوخكم ؟ كانوا يرفعون فى سكرة الْحُبِّ وذل الخشية أيديهم المعروقة ، يمسحون بها وجوههم ، أو يمشطون لحاهم ، ومن بين الشفاه الذوابل تنساب هذه الْهَمْهَمَةُ : « رضى الله عنك ياسيد !! » ثم يلتفتون إلينا ، وعلى وجوههم أَلَقُ الرضى ناصحين فى تأييد وإعجاب : « كِفَايَة ماخَلاَصْ سِمِعْـكُم السيد !! » .

وتعال — وناشدتك الله إلا ما أصغيت غير مَالّ ولا كاره — أذكرك بذلك الشيخ الأكبر الذى كان يشرك الدهماء فى يوم « الْـكَنْسَة » وكان يمزق عمامة صنم البدوى مِزَقًا مِزَقًا ، ثم يهديها إلى مريديه بركة — فى زعمه — من رَوْح الله التى يغرق صَيِّبُها ذَيَّالِكَ الوثن !! .

لقد كان للشيخ الأكبر شيخٌ هو تاجر خيط فى المدينة ، وقد أعطاه العهد ، وألبسه « خِرْقَةَ التصوف » ، وكان التاجر على أُمِّيَّةٍ وجهالة ، بيد أنه كان خبيراً بزندقة الصوفية ، مؤمناً بها ، يبثها ، ويهوى بالهالكين فى حَمْأتها !! .

ولقد كنا نرى الشيخ الأكبر يخفض من رأسه عبودية للتاجر الصوفى !! ثم يلثم يديه فى خشية ورهبة وإجلال !! وكنا نهتف إعجابا بصنيع الشيخ ؟ إذ نراه دلائل قوية على إيمان عميق ، وتواضع كريم !! .

كذلك كنا نحرص كل الحرص على أن ننتشى بمشهد الشيخ ، وهو يطوف حول ضريح البدوى ، يتلمس نحاسه وستره ، حتى إذا بلغ فمه موضعاً منه ، راح يشويه بسعير القبل من شفتيه الناريتين !! ونحرص كل الحرص على أن نوفض من منازلنا سراعاً إلى « مولد » البدوى ؛ لنشهد سرادق الشيخ الأكبر المضروب على أَبَدٍ طويل عريض من الأرض احتفاء بمولد الوثن الأكبر !! ولنطعم طعامه، ونشرب شرابه ، ثم نخرج من السرادق الفخم الضخم مهرولين صَوْبَ النصب الـكبير ، أو مايسميه الدراويش « العمود أو الصارى[1] » نقترف هذا ، لعلنا

(١) هو عمود طويل من الخشب مفرط فى الارتفاع مثبت فى قاعدة من الأسمنت

نصيب بركة من القطب الغوث الذى قيل لنا : إنه لايحرص على شىء كما يحرص على شهود الليلة الخاتمة « للمولد » هو والأقطاب الآخرون والأوتاد والأبدال والأنجاب !! ولعلنا نبصر واحداً منهم فيما تجسد فيه من صور(١) .

ثم تعال معى إلى الجامع الأحمدى الكبير ، أو هيكل الطاغوت الأكبر ؛ لترى هذه الحشود التى يمور ، ويموج بها الجامع من نساء ورجال وأطفال ، وفدوا إلى الصنم من كل فجٍّ عميق ، وقد أشعلوا مواقدهم ، يطهون الطعام ، أو يصنعون « الشاى ، والقرفة » وأمام كل منهم « شوال » خبزه ، ووعاء « دُقَّتِهِ » وقد حبا على الأرض الأطفال يبولون ، أو يتبرزون ! ! .

وهنا ، وهناك حانات ذكر يرقص فيها « الدراويش » وَتَتَخَلَّعُ « الدرويشات »

* * *

ويزور بى شيخ من أهلى - وأنا صغير - القاهرة ، فيجوب بى الصحراء ، ويجتاز الأودية ، ويسلك المفاوز ، ويتعثر فى الجلاميد نشداناً لضريح ابن الفارض سعياً على القدم ! ! وهناك حيال الوثن الفارضى ، يغنى مرافقى قصيدة ابن الفارض : « نسخت بحبى آية العشق من قبلى » فتذرف عيناه وعيناى الدموع ، ويحترق قلبى وقلبه شجناً على هذا العاشق المحروم ، عصف به الغرام ، وأضناه الحرمان !! .

كل هذا كان ! ! ثم ماذا ؟ ! .

---

(١) كان قد حدثنى نقيب صوفى من قريتى عن القطب وأنه رآه . قال : « كنا بمولد البدوى مرة دون الصارى فسمعت من بعيد فحيح مزمار ، فرأيت شيخى يهرول إلى باب السرادق ، ثم يكسر من قامته ، حتى لتكاد تمس رأسه الأرض ، ويرفع يديه فى رعب شديد يحيى بهما رجلا أشعث أغبر منهتك السوأة ، وبيده عكاز طويل ، يدب به على الأرض ، وقد تقدمه رجل مثله ينفخ فى « مزمار » ثم تنهد الرجل وهو يستعيد ذكرياته ، ثم قال : « وهكذا رأيت القطب ، فقد سألت شيخى عن الرجل الأول : أليس هو القطب ؟ وصاحب المزمار حاجبه ؟! فأجاب : بلى ، ولكن اكتم السر!! »

ثم هدانى الله سواء سبيله ، وسلكت بى رعايته مسلك التوحيد والإيمان ، فماذا حدث بعد ؟! تطلعت نفسى إلى الماضى الوثنى – وهى تَهَب حسرة حزينة المأساة ، وخميلُ أفراح معطَّرة – تَطَلُّعَ الناجى من السعير مازالت فى أتونه المتأجج ضحايا تعسةٌ منكودة جَنَتْ عليها الصوفيةُ ماجنت علىَّ ، وتطلعت إلى الريف الحزين ، يستعبده شيوخُ الطرق ، ويغصبون أيتامَه مايُوَصْوِصُ فيهم من رَمَقٍ خابى الشعاع ، وأراملَه ماهُنَّ فى حاجة ملهوفة إليه لِيَسْدُدْنَ خَلَّة ، أو يسترن عورة ، ومساكينه حتى الذبالة المحتضرة من حشاشتهم .

تطلعت إلى الريف الوديع تجعل منه الصوفية فساد عقيدة ، وضلالة فكر ، وذلة ومهانةً فى الأخلاق ، وَرَدْغَةَ بدع وجهالة وخرافة وأساطير ، وعبوديةً خانعة لهوَى الأحبار ، وسدانةً يعكف فيها السَّدَنَةُ على بَغْى طواغيتهم ، يبشرون بسماحة بِرِّه . وأريحية رحمته ! ! .

وتطلعت إلى المدينة يعبث فى أرجائها الصوفية ، فتحيل أهلها – حتى الكثير من المثقفين منهم – عبيد قبور ، وَعُبَّاد جيف ، وأحلاس منكر وزور ، وموالى أذِلاَّء لكل طاغية باغية ! ! .

تطلعت إلى هؤلاء وأولئك ، وذكرت ما كابدته ، فصرخت موجعاً من هَوْل الفاجعة أحاول إنقاذ الضحايا التعسة . المُغِذَّةِ السُّرَى وراء الذئاب الضوارى من الصوفية ! ! .

وأكتب ما أكتب ، ضارعاً إلى الله وحده أن يمد بالمعونة – فمنه وحده يُسْتَمَدُّ – وأن يقبين لتلك الضحايا المسكينة أنها تتجرع الغِسْلين تحسبه رحيقاً ، وتطعم الوَزِنَ تظنه فاكهة الخلد ، وتدين بوثنية – هى شر ماابتدع الشيطان لأوليائه من وثنيات ، وتخالها توحيدا مُطَيَّباً بِرَوْح الله ! ! .

* * *

وشَعَّت الثورةُ ، بل قل : انبثقت روح البعث الجديد القوى فى كيان

الشرق كله ، وراحت تهدم ، وتبنى ، تهدم معاقل الشر ، وتدك صياصى البغى ، وتشيد صروح العدالة الكريمة ، والمساواة النبيلة ، وتأسو جراح الشرق ، وتغرس فى كل واد ربيع الخير والمحبة والجمال . إنها كانت إعصاراً راعد الدوِّى ونسائم عطرية كريمة الأنداء . إعصاراً على الظلم الاجتماعى والفساد السياسى . ولكن بقى الفساد الدينى .

ويقينى أن أبطال الثورة المغاوير يؤمنون بأن الخلق الطيب نور من الدين الطيب ، وبأن الجماعة الصالحة ، هى التى يقودها دين صالح ، وأن المسلمين لم يبلغوا أمجادهم الخوالد إلا بدين الحق ، وأن البشرية لم تسعد ولم تبلغ كمالها إلا به ، وأن الإنسانية لم تنعم بمجتمع صالح ، كذلك المجتمع الكريم النبيل القوى الذى بنى الإسلام أسّه ، وشيد صرحه ، وأعلى ذراه ، وأن المسلمين حين زاغوا عن هدى الله أزاغ اللهُ قلوبهم ، فخالت أمجادهم ، ودالت دولتهم ، وتنابذوا شيعاً تلعن كل شيعة منهم الأخرى ! ! .

ويقينى أن أبطال الثورة يعملون ؛ ليكتب التاريخ مرة أخرى ـ لا لمصر وحدها ، بل للإسلام وللعروبة ـ قصة المجد الأعظم والحضارة الوريفة الغنَّاء والعلا رفَّاف اللواء فوق أمجاد الخلود . يعملون ليجعلوا ذلك الماضى المقدس العظيم حاضراً ومستقبلا للشرق العربى والإسلامى ، وإنى لأرجو ـ كما قضت الثورة على الجور الاجتماعى والحزبى ، أن تعمل جاهدة ـ والله يعينها ـ فى سبيل القضاء على البغى الصوفى ، فتقضى بهذا على مايفسد العقيدة والفكر والأخلاق الفاضلة ، وتجعل بهذا من الأمة أفق إيمان صحيح ، وحمى حق لا يستباح ، ومنار فكر يشع بالهدى لكل حيران . إنها بقضائها على ذلك الشر المستطير ، تقضى على جرثومة الاستعمار وتراثه ، فما جاء بالصوفية ، وما عمل على التمكين لشرها وأصنامها وطواغيتها سوى الاستعمار القديم ، وعلى نمطه اللئيم سار الاستعمار الحديث ! ! .

لقد حاول المستعمر فى العصر السالفة أن يطيح بالإسلام وأبطاله ودعاته عن

طريق القوة المادية ، بيد أن المسلمين ـ على قلتهم وكثرة عدوهم ـ حطموا كل هذه القوى الباغية ؛ إذ كانوا مع الله ، فكان الله معهم يدافع عنهم : (٢٢ : ٣٨ إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كلَّ خوان كفور) ، فكان أن لجأ الاستعمار إلى دهاء المكر اللئيم ، فرمى المسلمين بالبدع تبشر بها الصوفية على أنها روحانية وربَّانيةٌ ، على أنها دين سَماوِيٌّ خص محمدٌ به بعضاً دون بعض ، فكانت هذه الصوفية ! ، بل كان أن ذهب المسلمون بددا ، بل كان أن يحث الإسلام عن وطنه وأهله ، فلم يجد سوى مايجده الحيران فى التيه السحيق من لمعات الشعاع الحزين من فجر بعيد بعيد ! ! فكِّروا فيما صنعت الصوفية بكل أمة ، تَرَوْهَا عون الطغاة البغاة من المستعمرين !! حسبكم من شرها أنها تصرف الناس عن عبادة الله إلى عبادة الرمم ، تصرف عن القوة والعزة إلى الضعف والخمول والمذلة .

إن تلك الأمنية ـ أمنية القضاء على الفساد الصوفى ـ أمنية تهفو بها نفسُ كل مسلم إلى أبطال الثورة المجيدة ، ورعاية الله سبحانه ، كفيلة بأن تصبح هذه الأمنية حقيقة ينعم بها قلب كل مسلم . و إنى لآمل أن يكون كتابى هذا دعاء صادقا فى سمع الثورة التى عودتنا أن تُصْغى فى إخلاص إلى الحق ، وأن تعمل فى صدق وجدّ على أن تنصر الحق . وما بهذا أستعديها على نفحة خير ، إنما أستعديها على شرٍّ أحب أن تستأصله ، و باطل نود أن تزهقه ، ووثنية نرجو أن تدك أصنامها ؛ ليخلص للحق صراطه المستقيم ، وللجماعة الإسلامية سبيل مجدها ، وللإخاء والحب أفقه ساطع النجم ، متألق النور .

هذا الكتاب . لهذا الكتاب الذى نصدره بهذه المقدمة قصة . فمن أعوام خلت شكا سماحة شيخ الصوفية إخواناً لى من أنصار السنة ، بدعوى أنهم ينالون من كرامة الصوفية ، فكان أن رجوت وكيل النائب العام أن أقف وحدى موقف المتهم ، فلم يجد المحقق ماياخذنا به ، وقد قدمنا له الأدلة الدامغة من كتب الصوفية على مادمغناهم به ، وعلى صفحات « مجلة الهدى النبوى » نشرت ـ بعد التحقيق

معى ـ خطاباً مفتوحاً إلى سماحة الشيخ ، فيه مافيه من حق يصعق باطلا ، وتوحيد يقضى على وثنية ؛ ليعلم الشيخ ومن خلفه ، أنهم مهما كادوا لنا ، أومكروا بنا ، فإننا لن نسكت عن أساطيرهم ، ولأحنقه ، فيضرب بكل سهم فى جعبته ، فتكون فرصة أهتبلها ، لكشف خفايا الصوفية أمام كل جهة يشكو إليها منى ، وألح إخواننا أنصار السنة هنا وفى السودان العزيز وغيره فى طبع الخطاب . فطبعت منه آلاف النسخ ، فكان أن صودر فى السودان بأمر الحاكم العام السابق ولما أن نفدت نسخة طبعه إخواننا فى سوريا الشقيقة[1] فصادرته حكومة « الشيشكلى » وقد ترجم إلى اللغة الأندونيسية .

وألح إخواننا فى طبعه مرة أخرى ، فعدت إلى الكتاب أكتبه من جديد وأزيده كثيراً من النصوص ، وموضوعات جديدة لم تكن فى طبعته الأولى ، حتى أربى الكتاب على ضعفى حجمه الأول ، فليس افتئاتا على التاريخ أن أسميه : « هذه هى الصوفية » بدلا من اسمه الأول « صوفيات[2] » وسيرى القراء كما

---

(١) طبع هناك تحت إشراف الأخ الكريم الأستاذ « محمد نسيب الرفاعى » عن جماعة الصراط المستقيم بحلب عام ١٩٥٢ م وقد جاء فى مقدمته الرائعة التى قدم له بها الأخ الكريم ما يأتى : « إن بوادر خاتمة أولياء الشيطان قد لاحت ، وبشائر انتصار الحق على الباطل قد دقت ، وإن هذه البوادر والبشائر لاحت جميعها من هذا الكتاب ـ صوفيات ـ هذا الكتاب الذى ساوم المبطلون الضالون صاحب المطبعة التى طبع فيها على إعطائه أجرة الطبع ، وقيمة الورق مقابل تسليم الكتاب لهم ليحرقوه .. هوناً أيها القوم ، مايغنيكم إحراق كتاب الصوفيات ؟ أليس مأخوذاً عن كتبكم ورسائلكم ؟ إن كل تهمة موجهة إليكم فيه إنما هى منقولة بالحرف الواحد من مجلدات نتحداكم أن تقولوا إنها ليست لسادتكم وكبرائكم » .

(٢) رد عليه كاتب فى السودان بكتيب سماه « الجياد الصافنات فى الرد على صوفيات » ورد عليه كاتب فى سوريا بكتاب سماه « نسف الصوفيات » فكان ردهما أبلغ دليل على أن الصوفية وثنية عفنة ، وحجة على أنهم فى ضلال مادمغناهم به .

عودتهم ، أننى لم أرم الصوفية بغير مابه تدين ، وأننا لم نعتمد بقول أحد فى الصوفية ، وإنما اعتددنا بنقل نصوص كثيرة من كتب الصوفية بينة الدلالة على معتقدهم ، مقارنين بينها و بين بعض آيات القرآن الكريم ، وأحاديث خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، هذا لكيلا يفترى صوفى أننا نرميهم بغير مايفترون على الله . كنا نستطيع أن نصنع صنيع بعض نقدة الصوفية قديماً وحديثاً ، فنأتى بفتاوى أئمة المسلمين فى شأن الصوفية ، أو ننقل مانقلوه عن الصوفيه من نصوص ، بَيْدَ أنى رأيت أن يكون للعدل والحق والتحقق الرعاية الأولى ، فنقلت دين الصوفية من كتبهم التى يؤمنون بها ذا كرا اسم الكتاب ، وتاريخ ومكان طبعه ، ورقم الصفحة التى عنها نقلت ؛ لأرمى الظن والريب باليقين الواضح ؛ ولأبعد كل شبهة تتوهم أننا نفتات عليهم ، أو نبهتهم ؛ وليكون كل قارىء مفتيا لنفسه بالحق ، وحكما بين الحق و باطلهم .

وقد يعيب علينا بعض من سحرتهم طقوس الصوفية ، وشاعريتها الكهنوتية العُنْفَ فى المحاجة ، لكننا لهؤلاء نقول : رويدكم !! فإنما نسمى الأشياء بأسمائها ، ونصفها بصفاتها ، فلا نقول عن الزقّوم : إنه تفاح الجنة ، ولا عن الغِسْلين : إنه رحيق الفردوس ، ولا عن الشرك : إنه توحيد ، بل لانحب أن نداهن النفاق فنزعم أن شرك الصوفية خطأ ، فحسب ، كما ينافق بعض الشيوخ الذين مَرَدُوا على النفاق ، ومرنوا على المخادعة والمداجاة ؛ ليحسبوا مع الكافرين ، ومع المؤمنين !! وعجب مُغْرِبٌ فى العجب ، أن نغضب ، بل نرجف من الحَنَقِ إذا دُعِينا نحن بغير أسمائنا ، ونحقر من ينتسب إلى غير أهله ، ثم لا نغضب من نعت الباطل بأنه حق !! وعجب ذاهل الدهشة أن نرمى بالعمى والجهالة من يسم الليل : بأنه نهار مشمس ، أو من يقول عن المر : إنه حلو ، أو من يقول عن الثلاثة : إنها واحد !! أو من ينسب إلى مذهب رأى مذهب آخر ، أو من يخطىء فى حقيقة تاريخية ،

أو جغرافية ، أو مادة قانونية ، ثم لانرمى بهما ـ بالعمى والجهالة ـ من ينعت الصوفية بأنها إسلام صحيح ، ومن يقول عن الطائفين حول القبور ، اللائذين بأحجارها الصم : إنهم مسلمون !! ثم يمكر ؛ ليحسب مع المسلمين ، فيقول عن أولئك : ولـكنهم مخطئون !!

عجب أن نـكفر من ينسب إلى محمد صلى الله عليه وسلم حديثاً موضوعاً ، والقائلين بأن الله ثالث ثلاثة ، ثم نحكم بالإيمان الحق لمن ينسبون إلى النبى أنه الصوفى الأول ، وأنه الموحى بدين الصوفية !! من يقولون : إن الله عين كل شىء وأنه مليون ملايين !! نحكم بإيمان هؤلاء ، لالشىء سوى أن لهم أسماء تشا كل أسماء المسلمين !! .

إن الحق والدفاع عنه يحتمان علينا أن نسمى كل شىء باسمه ، ونصفه بصفاته ، و إلا افترينا عليه ، وجعلنا للباطل السَّوْرَةَ والصولة ، وداجينا فى الإيمان . أما هذه النعومة والطراوة والرخاوة المخنثة فى الذياد عن الحق ، والجهر بكلمة الحق ، أما ذلك فشر أنواع الجبانة الذليلة ، والخداع والرياء والعجز المهين !! قولوا عنا ماشئتم ، فإن للحق صولة تجتاح كل صولة أخرى ، ولن ينال منها أن ترموا بعض جنده بالعنف فى البيان والمحاجة . وعجيب أن نرمى بالعنف ، أو ينتقد علينا هذا فى الدفاع عن أعظم مقدسات الدين والفضيلة ، والله يقول (٩ : ٧٣ يأيها النبى جاهد الـكفار والمنافقين ، واغلظ عليهم ، ومأواهم جهنم ، و بئس المصير) .

قولوا ماشئتم ، فليس بنافع ماتتقولون به فى الذياد عن الصوفية أو الإبقاء على رمقها الشاحب المحتضر !! بل ستبقى رغم ماتتقولون به تلك الحقائق الصاعقة العاصفة المدمرة تدك هيا كل الصوفية . ستبقى شاهد عدل وحق ساطع البرهان على أن الصوفية عدو الإسلام الألد الخصام ، بيد أن هذا العدو يسحرك بغزل

التقبيل ، ويسكرك بخمرة العناق ، حتى إذا أغمضتْ عينيك النشوةُ الحالمة ، أنفذ إلى صميم قلبك خنجره المسموم .

وما نشترى بما نكتب رضاء الناس ، وإنما نبتغى به رضاء الله ، فلله مابذلت من جهد ، وأضرع إليه سبحانه أن يدخره لى جهدا فى سبيله ، وألاَّ يضيعه بذنب منا نقترفه ، وهو مولانا ونعم النصير .

عبد الرحمن عبد الوهاب الوكيل

القاهرة

١١ من ربيع الآخر سنة ١٣٧٥

٢٦ من نوفمبر سنة ١٩٥٥

الفصل الأول

مقدمة

معذور

شكوتَ إلى النيابةِ يا سماحة الشيخ[1] ؛ لِتَنْتَصِفَ لك من إنسان يدعوك إلى الحق ، و إلى الإيمان به .

ولا تَثْرِيب عليك ! ! فَهتْكُ القناع السِّحْرِيّ عن الصوفية حرمانٌ لِكَهَنَتِها من السُّحْت يُجْبى باسم الأوثان . ولم لا ؟ ! .

وسيراها الناس ثَمّتَ أمشاجاً من اليهودية الباغية ، والمجوسية الماجنة ، والوثنية المستغرقة فى الجحود ! ! سيرون الصوفية الْغَزَلِيَّة الفتون حَمْأَة من الشرك الخاتل تَمِضُ على شفتيه بسمات الغانية الْمُتَبَرِّجَةِ ؛ لتفتك ، وتقتل ! ! .

أرأيتَ إلى من شكوته ، كيف يَفْتَرِى لك العذر ، و يبتسم إشفاقا عليك من ثورتك العارمة عليه ؟ ! وما تَنْقِم من هذا المسلم سوى أنه يبصرك بجناية هذه الجماعة التى قال الله فيها (٣٦ : ٦٠ ألم أعهد إليكم يابنى آدمَ أنْ لَا تعبدو الشيطان ، إنه لـكم عدو مبين ؟ !) يُبَصِّرُك بجنايتها الظالمة على الدين الحق وقِيَمِهِ الروحية . على الفكر الملْهَم ، والأخلاق التى تَسْتَوْحى السماء النورَ والسموَّ والهداية . على الْمُثُل العليا للجماعة الإسلامية .

أملنا فى الشيخ

ولقد كنا نأمل — والشيخ من كبار علماء الأزهر — أن يقود هذه الجماعة الضالَّةَ الْحَيْرى إلى هَدْى الله ، وأن يحول بينهم ، و بين تَدْمِير ما للجماعة الإسلامية من مُقَوِّمات ، وما لدينها من قِيَم ، ومازال الأمل يُغرينى طيفُه الشاعرُ أنك ياسماحة

---

(١) المقصود سماحة شيخ الطرق الصوفية فإليه يوجه الخطاب .

الشيخ ستفعل ذلك لمالك فى ماضيك من سوابق خير ، وأوقن أنك لو فعلت ، لكنتَ ليثَ بطولة فادية ، تهتف بها الأحقاب فى إعجاب ، وترتّل الثناء عليها مزاميرُ القرون ! ! .

ضحيـــة

هذا رجاء شاب مسلم أغوى صباه الغريرَ سحرُ الصوفية ، فَجَرّعته زُعافها يحسبه خمرة الجنة تدهق كئوسها الملائكة ، وغِسلينها يخاله رحيقاً تُرْويه به الحورُ النواعم ، ثم أشرقت على روحه المظلم أشعةُ الهدى من كتاب الله ، فنظر ، فماذا رأى ؟ .

رأى ماضيَه الصوفىّ شيطان كفرٍ ماردٍ يغتال إيمانه ، وشركٍ يعصف بالرّمَق الشاحب من توحيده ، فياحَرّ قلباه ! ! كان الفتى اليتيم الروح يأمل أن يمشى على الماء ، وأن يُحلّق بجناحيه فوق قبة النجوم ، وأن يتحد بالروح الإلهىّ الأعظم ، وأن يهتك — كالشهاب الثاقب — حُجُبَ «السّوِيّة والغَيْرِيّة[1] » ؛ ليشهدَ حقيقة الوحدة الكُبْرى ، وحدة الوجود ، ويسعدَ بها ، وقد تحققت فى ذاته ! ! كان يأمل ذلك كلّه ، فبكل هذه الأساطير المجوسية وعدته الصوفية . ولكن ! ! وآه مما بعدها من أدمع وجراح ! ! .

أمّلت أن أمشى على الماء ، فكانت الحُمَمُ المدمدماتُ من سقر ! ! .

أملت أن أحلق بجناحىّ فوق الأفق ، فإذا هى مأساة المشرك التى قصّها الله فى كتابه (٢٢ : ٣١ ومن يُشْرِكْ بالله ، فكأنما خَرّ من السماء ، فتخطفه الطيرُ ، أو تَهْوِى به الريح فى مكان سحيق) .

فَمِنْ ذروة القمة الحالمةِ الخيال هويت — يدُكّنى الصخر الأصمّ النائى — إلى غَوْرٍ سحيق سحيق ! ! .

---

(١) اصطلاحان صوفيان مأخوذان من كلمتى « سوى وغير » والصوفى الحق فى دين الصوفية من يوقن أنه لا « سوى ولا غير » أى يرى الكلّ عيناً واحدة !!

وهنالك على الصخور الحدباء بقيت منى أشلاء متناثرة ، تروى لك عبرتى الحزينة المفجوعة ! ! .

وهنا فى القلب الدامى جراحٌ نازفةٌ تنوح بين يديك بمأساتى الدامية ! ! .

أمّلت الاتحاد بالروح الإلهى ، فلم أجد غير الشيطان ينفث فى دمى فتونَه ، ويتلظَّى فى غرائزى غَيًّا يتعشَّق كل ساجية ! ! .

أملت شهود الوحدة الكبرى ! ! .

وآه من هذه الأسطورة الناعسة الفتنة ، المكحولة الآثام ! ! .

فقد وعدتنى الصوفية أن هذه الأسطورة ستجعل منى إلهاً ثائر الرغبات ، عاصف الشهوات ، يَجْمَحُ به هواه إلى امتهان ألوهيته فى سبيل مثل هذه الرِّغابِ التى تشهَّاها الحرمان من شاعر ظامئ الجسد .

آه يا يوم التلاق ليتنى كنت إلها
لَأَبَحْتُ النـاسَ للنا سِ خدوداً وشـفاها

وعدتنى بالربوبية تتجلى فِيَّ بصورة بشرية ، فأصرف الوجودَ بقدرى القاهر ، وقضائى الذى لا مَرَدَّ له ، وأسخِّر السماء والأرض ، والعواصف والجنّ ، والملائك والحورَ ، أسخرهم لصَبَوَاتِ شبابى ، ونزواتِ هواى ! ! .

ألم يُبِحْ كاهن الصوفية التلمسانى فى دينه الأم والأخت ، ويرمى من يحرمها على الابن والأخ بأنه محجوب ؟ ![1].

ألم يؤكد طاغوت الصوفية الأكبر «ابن عربى»[2] أن الربَّ الأعظم غانيةٌ هَلُوكٌ تحترق الشِّفاهُ على ثغرها قبلا دنسة ملتهبة ! ! وأن هذا الربَّ لا يبلغ كمال تجليه الأعظم إلا حين يتجسد فى صورة أنثى تجتاح أنوثتها خطيئةُ كل عِرْبيد فى غيابة الليل ! ! قد يتجلى هذا الربُّ فى صورة مَلَكٍ أو رجلٍ ، بَيْدَ أن تَجَلّيه

(١) ص ١٧٧ ج ١ مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية .

(٢) هو محمد بن على بن محمد الحاتمى الطائى الأندلسى مات سنة ٦٣٨ هـ .

فى صورةٍ ماجنةٍ تعْوِل بالشهوة ، وتصرخ بالرغبة ، وتتقتّل بالمفاتن ، وتغازل بالإثم ـ تجليه فى تلك الصورة أحلى وأجمل ، وأتم وأكمل ! ! .

إذ يتجلى فى الرجل بصورة فاعل ، أما فى المرأة فيتجلى فى صورة فاعل ، وصورة منفعل ، وصورة فاعل منفعل معاً فى مَجْلىً واحد(١) ! ! .

تثليث آخر ! ! غير أن وراءه شهوة متمردة تَنْزُو به ! ! عُذْرَاكَ إن جَمَحَتْ بى رغبتى فى الذياد عن الحق إلى ذكر خطايا صوفية ، يَدْمى منها حتى الخزى ، وتثير الحياء فى صفاقة وجه البغى ! ! . عُذْرَاكَ فإنما نجاهد لتدمير الطاغوت الأكبر ، وشيخ الصوفية يشكو منا إلى النيابة ، لأننا نكشف لهم ما افتراه الشيطان من أديان وثنية ، فتن بها الآبقين من الخلق ، وسَمَّاها لهم صوفية ! ! .

فضى الكهان يبشرون بها على أنها توحيد يشع منه وحده الحق ، وإيمان سماوى الروح ، عُذْرِيُّ الحب ، فكان خطرها الناجم الداهم ، هو القاصمة ، بل كانت أشد خطراً على المسلمين من المجوسية ، فهذه مُسْتَعْلِنَةُ الْبَغْىِ لها من قلنسوتها آية . أما الصوفية ، فبَسَمَاتٌ حلوة خَلُوب ، ونجاوى ناعمة شَفَّ رقتها عشق محروم ، ونغمات عِذَابٌ آسرة ، وعمائم منتفخة كالبطون المُتخمة من الحرام ، ولِحًى بيض مُرْسَلَة على قلوب سود ، يعيث فيها مشط مُوَسْوِس ، ومسبحات بألوان الطيف مسحورةُ الْهَيْنَمَة ، لاتمل من الترتيل ، مُوَشَّاةُ الذوائب ، مُنَعَّمَةَ الأنامل ، تصطفق حبَّاتها فى رعونة ثائرة !! .

واجب الشيخ

كان واجب الشيخ ـ وقد ذكرته بهدى الله ـ دعوة أتباعه إلى الإسلام ، يؤمنون بالكتاب والسنة ، ويكفرون بالصوفية ، وتراثها الوثنى ، فإن لم يرض أتباعه بالله وحده ربا ، وبكتابه ـ فَحَسْب ـ إماما ، وبرسوله الحق وحده أسوة

(٣) سيأتيك نصه بلفظه .

وقدوة ، كان حقاً على الشيخ أن يفر إلى الله مُخْبتا مؤمناً ، وأن يترك ـ رَضِيَّ النفس ـ هذا المنصب وأصنامه ، ترجمهما لعنة الله !! .

لماذا أكتب للشيخ ؟

فى خيالىَ الْـكليلِ شَفَقٌ خابٍ من حسن الظن بالشيخ ، وأطياف شاحبة الصور تُخَيِّلُ إلىَّ أن الشيخ على جهالة بدين الصوفية . و بما تطفح به كتبها من وثنية ، ومن أعماق نفسى الحانية ينبعث دعاء ثائر الإلحاح فى بِرٍّ و إشفاق ، يدعونى إلى أن أنشر بين يدى الشيخ ، وصَوْب فكره وعينيه كتاب الصوفية ليرى فيه صور أربابها ـ وتعالى جَدُّ ربنا الحق ـ ، ورسولها ـ و برأ الله خاتم النبيين من بهتانها ـ ، وأوليائها ـ وحاشا أولياء الرحمن أن تمسهم صوفية ـ ، فلعل الشيخ حين يرى هذه الصور التى تفجع النفس والضمير والخلق الكريم والفكر البصير ، يهب بها على الجاهلية الصوفية ثورة حقٍّ قوى لطمه باطلٌ ، وعزم مشبوبٍ أحنقه ظلمٌ خاتل . وهناك يروى التاريخ عنه للآباد الواعية قصة البطولة الفادية ، وتزخر القلوبُ المؤمنة بمشاعر الإعجاب به آيةَ حب عميق ، ودليلَ أخوة فى الله .

أتراك تفعل يا سماحة الشيخ ؟ !

و إلا فسنظَل ـ بعون الله ـ نُلْهب بسياط الحق ظهورَ الآبقين ، ونَدُكُّ بمعاوله ـ غير هَيَّابَةٍ ولاواهنة ـ معابدَ الأصنام ، حتى تخر على سدنتها وعبيدها ، ولن يحول بيننا ـ بتوفيق الله ـ و بين التذكير بماهدى الله إليه ، وفرض علينا الجِلادَ المُسْتَلْئِمَ دونه ، عواصفُ شرٍّ تثيرها علينا أحقاد الصوفية المُسْتَعِرَة ، فما لقلب المؤمن أن يرهبَ فى الحق إلا من فطره ، ولا أن يرغب إلا فى رضاه (٩ : ١٢٩ فإن تَوَلَّوْا ، فقل حَسْبِىَ الله ، لا إله إلا هو . عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم) .

دين الصوفية

للصوفية مدد من كل نحلة ودين إلا دين الإسلام ، اللهم إلا حين نظن أن للباطل اللئيم مدداً من الحق الكريم ، وأن للكفر الدنس روحاً من الإيمان الطهور . والصوفية نفسها تبرأ إلا من دين طواغيتها مؤمنة بأنه هو الحق الخالص . يقول التلمسانى ـ وهو من كُهّان الصوفية ـ « القرآن كله شِرْكٌ ، وإنما التوحيد فى كلامنا(١) » وابن عربى يزعم أن رسول الله أعطاه كتاب فصوص الحكم ـ وهو دين زندقته ـ وقال له : « اخرج به إلى الناس ينتفعون به ـ ويقول : فحققت الأمنية كما حَدَّه لى رسول الله بلا زيادة ولا نقصان » ثم يقول :

فمن الله ، فاسمعوا وإلى الله فارجعوا(٢)

على حين يذكر الحق وتاريخه الصادق أن الصوفية تنتسب إلى كل نحلةٍ مارقة ، وتنتهب منها أخبث ما تدين به ، ثم تفتريه لنفسها ، مؤمنة به ، وتحمل على الإيمان به كل فراشة تطيف بجحيمه ، وإلا فهل من الإسلام أسطورة وحدة الوجود ، وخرافة وحدة الأديان ؟ ! فتلك تزعم أن الله سبحانه عينُ خلقه ، عينهم فى الذات والصفات والأسماء والأفعال ، تزعم أن واهب الحياة ، وخالق الوجود عينُ الصخر الأصم ، والرمة العفنة ! ! ووحدة الأديان تزعم أن كفر الكافر ، وخطيئة الفاجر عين إيمان المؤمن ، وصالحة الناسك ، تزعم أن دين الخليل هو دين أبيه آزر ، وأن إيمان موسى عين كفر فرعون ، وأن وثنية أبى جهل عين توحيد محمد ، فَكُلٌّ رب الدين ورسوله !! كل تَعَيُّنٌ للذات الإلهية ، غير أنها سميت فى تَعَيُّنٍ بمحمد ، وفى آخر بأبى جهل ، وهى هى فى مظهريها ، أو اسميها !! تزعم أن دين إبليس وإيمانه عين دين أمين الوحى ، وروح إيمانه ، بل زادت

---

(١) ص ١٤٥ جـ ١ مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية .

(٢) ص ٤ فصوص الحكم بشرح بالى ط ١٣٠٩ هـ

الخطيئة فجوراً ، فزعمت أن إبليس أعظم معرفة بآداب الحضرة الإلهية من أمين الوحى ، وأسمى مقاماً !! .

أفَمِنْ دين الإسلام هذه الخطايا الكافرة ؟!.

افتراء على دين الله

ولكن مابالى أسرف فى الحجاج ؛ لأثبت ماليس فى حاجة إلى دليل يثبته، بل ما الصوفية ـ نفسها ـ تقر مؤمنة به ؟ ! .

سلوها لِمَ انتبذت من المسلمين مكانا قصياً تسمى فيه المدنسين برجسها صوفيين ، لامسلمين ، والاسمان متقابلان تقابل الظلام الجائر ، والضوء الباهر ؟ سلوها لِمَ تمقت ماسمى به الله من يعبدونه على بصيرة ، وتَجْنَح إلى اسم ماله من دلالة إلا على كفر أو مذلة ؟ سلوها مَنْ هم كهان دينها ، وأحبار طقوسها ؟ سلوها لِمَ تُوَرِّث أحقاد طواغيتها على الكتاب والسنة ؟ سلوها لِمَ تفتن الأغرار عن دين الحق ، فتزعم لهم أن الإسلام شريعة وحقيقة ، تعنى بالشريعة ماأوحاه الله إلى رسوله ، وبالأخرى وساوس الأبالسة النافثين لبدع الصوفية . سلوها ، وسلوها ؟ ولكن لاتكدوا أنفسكم ، فهذا ابن عجيبة الفاطمى الهوى ، الصوفى الذين يلهمكم جواب ماعنه تسألون ، فإليكم ماافتراه : « وأما واضع هذا العلم « يعنى التصوف » فهو النبى صلى الله عليه وسلم علمه الله بالوحى والإلهام ، فنزل جبريل أولا بالشريعة فلما تقررت ، نزل ثانياً بالحقيقة ، فخص بها بعضاً دون بعض ، وأول من تكلم فيه ، وأظهره سيدنا على كرم الله وجهه ، وأخذه عنه الحسن البصرى[1] » وإنها لَفِرْية جائرة الإفك على رسول الله ، وبَهت له بجريمة ملعونة ، جريمة كتمان العلم ، وأى علم ؟ إنه علم الحقيقة فى دين الصوفية ! ! أفيكتم الرسول الحق وعله ودلائله ،

---

(١) ص ٥ إيقاظ الهمم فى شرح الحكم لابن عجيبة جـ١ ط ١٩١٣م . وفى قوله ذاك دليل الصلة الوثيقة بين الصوفية وبين الشيعة التى تؤله أئمتها .

وقد توعد كاتم العلم بعقاب شديد من الله « من كتم علماً يعلمه الله إياه ، ألجم يوم القيامة بلجام من نار[١] » ثم وراء هذا البهتان اتهـام صريح لأبى بكر وعمر وعثمان ، ومعهم خيار الصحابة من السابقين ، بأنهم كانوا أنْضَاء ضلالة وجهالة بما يعرج بالروح إلى محبة الله ، ووراءه محاولة حقودٌ مصممة على تجريد الجماعة الإسلامية من خيار سلفها وخيار خلفها من صفة الإيمـان الحق . وحسب الصوفية أن تبوء هى وحدها بما تبهت به الصديقين والشهداء .

وسيلة المعرفة عند الصوفية

ويدين الصوفية ببهتان آخر يدمغها بالمروق عن الإسلام ، ذلك هو اعتقادها أن الذوق الفردى[٢] ـ لا الشرع ، ولا العقل ـ هو وحده وسيلة المعرفة ومصدرها . معرفة الله وصفاته ، وما يجب له[٣] ، فهو ـ أى الذوق ـ الذى يقوِّم حقائق الأشياء ، ويحكم عليها بالخَيْرِيَّة أو الشَّرِّيَّة ، بالحسن أو القبح ، بأنها حق أو باطل ، فلا جَرَم أن تدين الصوفية بعدد عديد من أرباب وآلهة ، ولا عجب أن ترى النِّحْلَة منها تعبد وثناً بغير ماتعبده به أخرى ، أو تخنع لصنم يكفر به سواها من النِّحل الصوفية ، لاعجب من ذلك كله ، مادامت تجعل « الذوق » الفردى حاكما وقيما على المسميات وأسمائها ، فيضع للشىء معناه مرة ، ثم ينسخه بنقيضه مرة أخرى . هذه الحِدَّةُ فى توتُّر التناقض صبغة الصوفية دائماً فى منطقها المخبول ، ولقد ضربت الصوفيين أهواء أحبارهم بالحيرة والفرقة ، فحالوا طرائق قددا ، تؤَلِّه كلُّ طريقة منها ما ارتضاه كاهنُها صنما له ، وتعبده بما يفتريه هواه من خرافات !!

---

(١) أبو داود والترمذى وابن حبان والحـاكم وصححه من طريق أبى هريرة وقال الترمذى : حسن صحيح .

(٢) يعنى به الذوق الخاص بكل إنسان .

(٣) لم نقل : وما يستحيل عليه . لأن الصوفية تؤمن بأنه سبحانه يجب له كل شىء ، لأنه عين كل شىء ، فلا يستحيل عليه نقص ولا عجز .

على حين يجمعهم على الوحدة هوى واحدٌ ، وغايةٌ واحدة ، هى القضاء على الإسلام والجماعة الإسلامية .

وما إخالك ياسماحة الشيخ تمترى فيما ذكرته لك ، فأنت به خبير ، وإلاَّ ففيم هذه الشِّيَعُ المتطاحنة[1] ، وفيم هذه المشيخات المتنابذة ، كلما دخلت واحدة منها عليك لعنت أختها ، بل فيم هذه الحرب التى يثيرونها عليك فى مكر دنىء ورياء ماكر ؛ إذ جلست على عرشهم دون أن تكون لك قدم ثابتة فى التصوف ، ودون أن تُنَصَّب شيخ طريقة من قبل ؟!! قلها صريحة الجرأة ياسماحة الشيخ ، يهب الله لك هداه ، ومقام الصِّدِّيقين ، وإنه لَلْخَيْرُ الذى تنشده نفس كل مؤمن

الفصل الثانى

آلهة الصوفية

يفترى الصوفية — فمالهم من سجية غير ذلك — أنهم الذين يعرفون الله معرفة لايمس يقينها ريب ، ولا يشوب جلال الحق فيهـا شبهة ، ويَصِمون المسلمين بعمى البصيرة[2] ، وعَمَه العقل ، وخَطَل الفكر ، وجمود العاطفة ، وفساد الذوق ، وخمود جذوة الحياة فى الشعور ، والإغراق العميق السحيق فى المادية الصماء ، والجمود الأحمق على عبادة التاريخ ، ومازالت تلك دعواهم . فما الرب الذى يعبدونه وإذا شئت إحكام الدقة ، فسلهم : ما الرب الذى اختلقوه ، ثم عبدوه ؟

ناشدتك الله — إن مسك فيما أقول وهم ريبة ، أو فتنك منهم عن الحق

---

(١) يقول رويم البغدادى : « لايزال الصوفية بخير ماتنافروا ، فإن اصطلحوا ، هلكوا » ص ١٨١ طبقات الصوفية للسلمى ، فليتنافر المسلمون ، وليتطاحنوا ، فهذا دين الصوفية .

(٢) يقول نيكلسون « والصوفية لايفتئون يعلنون أنهم أمة الله المختارة » ص ١١٧ الصوفية فى الإسلام ترجمة نور الدين شريبة .

غزل ابتسامة ، أو ترنيمة عاشقة بتسبيحة أو دعاء ، ناشدتك الله إلا ماقرأت شيئاً من كتبهم ، لتعرف رب الصوفية الأعظم . اقرأ من الفتوحات ، أو الفصوص ، أو ترجمان الأشواق ، أو عنقاء مغرب ، أو مواقع النجوم ، وكلها لابن عربى . اقرأ من الإنسان الكامل للجيلى ، اقرأ من تائية ابن الفارض وشرحها للنابلسى أو القاشانى ، اقرأ من الطبقات والجواهر والكبريت الأحمر للشعرانى ، اقرأ من الإبريز للدباغ ، اقرأ من كتاب الجواهر ، والرماح وهما للتيجانية ، وروض القلوب المستطاب لحسن رضوان ، بل اقرأ حتى مجموع الأوراد الذى يتعبدون به الآن ودلائل الخيرات ، « وأحزاب » الكهنة منهم فى العشايا والأسحار .

إن الصوفية تنعت ابن عربى بأنه « الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر » وتخر له ساجدة ، والجيلى بأنه « العارف الربانى والمعدن الصمدانى » وابن الفارض بأنه « سلطان العاشقين » والشعرانى بأنه « الهيكل الصمدانى والقطب الربانى » فما أدعوك إذن إلى تلاوة كتب تنقم منها الصوفية دلائل الحق ، وإشراق الهدى ، بل إلى كتب تقدسها الصوفية على اختلاف نوازعهم ، وتباين أهوائهم ، ويجلونها ـ ولا أعدو الصدق إذا قلت يعبدونها ـ ويرونها الأفق الأسمى لنور التوحيد ، والمنبع السلسال لفيوض الربانية !! فإن قرأت شيئاً من تلك الكتب ، فتدبر بعده آية واحدة من كتاب الله ، واقذف بنور الحق الإلهى على دياجير الباطل الصوفى ، وثَمّتَ يروعك ، ويستفز الغِضابَ الثوائر من لعناتك أن تجد الصوفية تدين بربٍ يتجسَّد فى أحقر الصور ، و تتعَيّنُ « هُويتُه وإنيتُه[1] » فى أنتن الجيف ، وتتمثل حقيقته الوجودية صورَ أوهام فى الذهن الكليل ، وظنون حيرى فى الفكر الضليل ، وتهاويل أسطوريةٍ فى الخيال . ألم تؤله الصوفيةُ فى دين كاهنها

(١) الهوية عندهم هى الحقيقة الباطنة للذات الإلهية ، والإنية هى حقيقتها الظاهرة فى مجاليها المتنوعة .

التلمسانى رِمّة كلب تقزز من صديدها الدود[1] ؟!

ومعذرة ياسماحة الشيخ ، فوالذى هدى المسلمين إلى دينه الحق ، وأوجب الجهاد دونه ، ماقلت إلا الحق للحق ، وما رميت إلا بالحق ، وإن شئت فمرحبا بموعد نلتقى فيه للمحاجة ، فاختر ماشئت من أمكنة ، وإن يكن قبة البدوى !!

وهاك من النصوص مايكشف لك فى جلاء عن معتقدات الصوفية ، وسأختار من النصوص مالا يمكر به التأويل ، من كتب تتخذها الصوفية شرعة لها ومنهاجا فى الدين ، وتجعل أوثان مَنْ افتروها مطافات تَسْتَرْوح عندها — كما تزعم — نسائم الجنة ، وعبير الخلود ، ورَوْح الله ، وتضرع إلى جلاميدها الصُّمِّ أن تهب للروح السكينة ، وللقلب اليقين المطمئن ، وأن تمد الوجود بالحياة الفياضة بالخير واليُمْن والبركة ، وأن تكشف لعبادها حقيقة الربوبية والإلهية ليعرجوا إلى الاتحاد بها ، وترجو ماينخر فى عظامها من سوس ، وينهش لحومها من دود ، أن يُصَرِّف كُهَّانَ الصوفية فى أقدار الله ، وأن يجعل لهم السلطان على قضائه ، وأن يُحَلِّق بهم فوق الذُّرى السامقات من أَقْدَاسِ الربانية !!

إله ابن الفارض[2]

يؤمن هذا الصوفى ببدعة الاتحاد ، أو الوحدة سمها بما شئت . بصيرورة العبد

---

(١) مر التلمسانى على كلب أجرب ميت فى الطريق ، فقال له رفيق له — وكان التلمسانى يحدثه عن وحدة الوجود — : أهذا أيضاً هو ذات الله ؟ مشيراً إلى جثة الكلب . فقال التلمسانى : نعم . الجميع ذاته ، فمامن شىء خارج عنها ، انظر ص١٤٥ مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية .

(٢) هو عمر بن أبى الحسين على بن المرشد بن على شرف الدين الحموى الأصل المصرى المولد توفى سنة ٦٣٢ هـ ، ولم نتحدث عمن سبقه من الصوفية كالحلاج أو البسطامى مثلا ، لأننى اخترت أن أنقل عمن يجمع الصوفية جميعاً سلفاً وخلفاً على تقديسهم ، أما الحلاج وغيره فيطعن فيه رياء ونفاقا بعض الصوفية فتركته ، حتى لا يكون لهم رياء معذرة .

ربا ، والمخلوق خلاقا ، والعدم الذاتى الصِّرف وجوداً واجبا ، و إذا شئت الحق فى صريح من القول ، فقل : هو مؤمن ببدعة الوحدة ، تلك الأسطورة التى يؤمن كهنتها بأن الرب الصوفى تعَيَّن بذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله فى صور مادية ، أو ذهنية ، فكان حيوانا وجمادا و إنساً وجناً وأصناماً وأوثاناً . وكان وهما وظنا وخيالا ، وكانت صفاته وأسماؤه وأفعاله ، عينَ ما لتلك الأشياء من صفات وأسماء وأفعال ؛ لأنها هى هو فى ماهيته ووجوده المُطلَق أو المقيَّد ، وكل مايقترفه البُغاة من خطايا ، وما تنهش الضاريات من لحوم ، أو تعرق من عظام ، فهو فعل الرب الصوفى ، وخطيئته وجرمه !!

وإخالك الآن تود لو تُسوَّى بى الأرضُ ، أو تدهمنى — على غِرّة — صاعقةٌ ؛ إذ يجرى على لسان الحق ذكرُ ابن الفارض منعوتا بالزندقة وتعجب أن يكون سلطان العشق الصوفى زنديقاً !!

وما علىَّ — برحمة الله — مماتود ، ولن يمنعنى عجبك فى ذهوله من أن أحكم على ابن الفارض بما ارتضاه هو ديناً له وتدبرَّ ماسأنقل لك عنه من تائيته ، فلعل يزول عجُبك ، وينفثىء غضبك .

جَلَتْ فى تجليها الوجودَ لناظرى ⁂ ففى كلِّ مَرْئِيّ أراها برؤية

يزعم أن الذات الإلهية هتكت عنه حُجبَ الغَيْرِيّةِ ، وجَلَتْ له الحقَّ المُغَيَّب ، فرأى حقيقة الله مُتَعيِّنةً بذاتها فى كل مظاهر الوجود ، رأى هذا الكون المادى بكل مايدب عليه ، أو يغتال الحياة والأعراض فى غياهب ليله السَّاجى ، ومَغَاوِره المظلمة ، رآه هو عَيْنَ الله وماهِيَّتَه ، ورأى وجودَه عين وجوده ، فما ثَمَّ من شىء عند ابن الفارض إلا وهو الله ، بل ماللرب — رب ابن الفارض — وجود سوى وجود تلك الصور المادية ، أو الذِّهْنية المنطبعة عن شىء متحقق ، أو مُتوهَّم ، أومتخيَّل . أما وقد نَعَق بهذا البهتان ، فَلْيَفْتَرِ لنفسه مايترتب على الإيمان به ؛ لهذا راح يزعم أنه بذاته اتحد بذات ر به ، فكانت الثنائية فى الاسم ،

وكانت الوحدة فى الحقيقة والوجود ، وأنه فى جَلْوَة تلك الوحدة يشهد فى ذاته وصفاته وأفعاله ذاتَ الله وصفاتِه وأفعالَه ، وعن هذا يعبر .

وأشْهِدْتُ غَيبى ، إذ بدت ، فوَجَدْتُنى هنالك إيّاها بِجَلْوَةِ خلوتى

شهد «هوية» الوجود الإلهى ، أو باطنه ، و « إنيَّةَ » وجوده هو ، أوظاهره ، فلم يجد للربِّ وجودًا سوى وجوده ولا لذاته كيانًا متقوِّما غير كيانه ، فهتف فى جَدَلِ الْبُشْرَى : أنا الله !!

بَيْد أنه خشى أن يتوهَّم أحدٌ أن هذا الشهودَ وهمٌ طارىء ، أو حال عارض أو صورةٌ من حلم أشْبَل لها فكره وعينه ، خشى هذا ، فقال :

فنى الصَّحْوِ بعد المَحْوِ لم أكُ غَيرها وذاتى بذاتى ، إذ تحلَّت ، تجلَّت

والصحو فى دين الصوفية هو رجوعُ العارف إلى الإحساس بعد سَكْرته بوارِدٍ قوى ، وفيه يشهد العارفُ المغايرةَ بين الذات الإلهية ومظاهرها أو صفاتها ، يشهد أن الكون ليس هو الذات الإلهية ، وإنما هو تجلِّياتُ أسمائها وصفاتها ، ومجالٍ لأفعالها . أما المحو فى دينها فهو امِّحاء الكثرة والغَيْرِيَّة ، والخَلْقِيَّة المتنوعة المتعددة . وفناء السِّوِيَّة ، وتجلى الوحدة المطلقة ، فيرى الصوفى الخلقَ عين الحق ، والمربوبَ عينَ الرب .

فَثمَّتَ إذن فرقٌ عند الصوفية بين الصحو والمحو ، ولكن ابن الفارض أبى أن يؤمن بهذا الفرقِ الْمُبْتَدع ، فهتك الستر ، ومزَّق القناع ؛ ليكشف لك فى قول صريح عن حقيقة معتقد الصوفية ، ومضى مسرعاً يلهث ؛ ليدرك فكرك قبل أن يؤمن بذلك الفرق بين الصحو و بين المحو !! وليؤكِّد لك أن دينَ الصوفية قائمٌ من أول أمره على الإيمان بأن الله سبحانه هو عين خلقه !! على نفى كل مغايرة ـ مطلقةً ، أو مقيدة ، إضافية ، أو نِسْبية ـ بين الخالق والخلق ، سواء فى ذلك حال الصوفى فى الصحو ، وحاله فى المحو ، وهكذا صرَّح ابن الفارض فى

جراأة شَرُود بما يرمز عنه سواه من منافقى الصوفية ، حين يفجؤهم برهانُ الحق ، ولذا يقول .

إلى كَمْ أُوَاخى الستر ، هاقد هتكتُه وحَلُّ أُوَاخى الحُجْبِ فى عقد بيْعَتِى

يعنى أنه عاهد الحقَّ حين بايعه على أن يهتك كُلَّ ستر ، و يحل كلَّ أنشوطة ، حتى يرى كُلُّ ذى بصر أن الله يتمثل دائما فى صور الخلق ، وتتعين ذاتُه بذواتهم !!

وتدبر هذه الصراحةَ الصارخة الجرأة فى قول ابن الفارض : « وذاتى بذاتى ، إذ تحلَّتْ تجلَّتِ » تدبر تجد الزنديق ، يأبى أن يثبت لربه ذاتا ، و يتعالى أن يجعل وجودَه هو فيضَ وجود ربه ، فلم يقل : « وذاتى بذاته » أو « ذاته بذاتى » و إنما قال ؛ ليحكم بالعدم الصوفى على رب الوجود الحق ، وخالقه : « وذاتى بذاتى » فليس ثمت إلا ذاته هو فى الحالين !! ألا تحس الجحودَ طاغِىَ البغى ؟!

ما ثَمَّ عند ابن الفارض من رب ، ولا مربوب . إلا وهو ابن الفارض إنه الخلاق . و إنه هو الوجود ، وواهب الوجود ، وما الربُّ الأكبرُ إلا أثر من آثار قدرته ، أو جُزْئِيٌّ تائه حيرانُ من كُلِّيِّه !! هذا دين ابن الفارض . فبماذا تحكم عليه ؟ ! .

فوَصْفِي ، إذ لم تدع باثنين وَصْفُهَا وهيئتها — إذ واحدٌ نحن — هيئتى

يزعم أن كل ماوصف به اللهُ نَفْسَه ، فالموصوفُ به على الحقيقة هو ابن الفارض ؛ لأنه الوجود الإلهي الحق ، فى أزَلِيَّتِهِ ، وَأبَدِيَّتِهِ ، وديمومته ، وَسَرْمَدِيَّتِه .

فإن دُعِيَتْ كنتُ المجيبَ ، وإن أكُنْ

منــادًى أجابت من دعانى ، ولبَّتِ

إن دُعِىَ اللهُ أجاب ابنُ الفارض ؛ لأنه عينه ، و إن دعى ابن الفارض

لَبَّى الله ، لأنه اسمه ومُسَمَّاه ! ولـكن أتلمح الـكبر جائرَ العُتُوِّ من ابن الفارض على خالقه ؟ إذ يزعم أنه إن دُعِيَ الربُّ ، فما يفعل ابنُ الفارض شيئاً سوى أن يجيب ، أما إذا دُعِيَ ابن الفارض ، فما يكفى الربَّ أن يجيبَ ، وإنما يُهَرْوِل ملهوفاً إلى التلبية ! ! .

ما كفاه زعمه أنه هو الله ، فأكد أن الربَّ الأكبر ماهو إلا صورة شاحبة منه ، وظلٌّ حيرانُ له ! ! .

فقد رُفِعَتْ (١) تاء المخاطب بيننا   وفى رَفْعِهاعن فُرْقَةِ الفَرْقِ رفعتى

الخطاب يستلزم الاثْنَيْنِيَّةَ ، إذ لابُدَّ له من طرفين متقابلين مُخَاطَبٍ ومخاطِب ، ولهذا يكفر ابن الفارض بما يؤكده الخطاب فى آيات الله ، أوفى دعاء الداعى من دلالة على المغايرة بين المتخاطبين !! وينفى صدور خطابٍ أو دعاء منه إلى « غَيْرٍ ما » فما ثمَّ « غَيْرٌ » حتى يخاطبه ، أو يدعوه ! ! .

فإذا ماصدر منه خطاب ، أو دعاء إلى الله ، فلا تحسبن أنه يخاطب غيره ؛ إذ الخطاب صادر منه إليه ، والدعاء متوجِّه به من نفسه إلى نفسه .

لقد كان يقول من قبل أن يُـكْشَفَ عنه الغطاء : أنت أنت ، فلما تَجَلَّتْ له الحقيقة صار يقول : « أنا أنا » فما « أنت » تلك إلا « أنا » ذاتاً ووجوداً ! ! .

ويرى ابنُ الفارض أنَّ إثبات الربوبية الخلاَّقة وحدها لنفسـه شىء دون مقامه الأكبر ، فيفترى أن له الربوبيَّة بوحدانيتها وصفاتها وأسمائها وأفعالهـا ، بملـكها وملـكوتها ، بِرَحْمَانِيَّتِهَا وجبروتها ، بقدرتها القهارة ، وعلمها المحيط الشامل ، بما أبدعت من خلق ، ومنحت من حياة .

---

(١) يصح أن يكون معناه أن الخطاب رفع بينه وبين غيره ، لعدم وجود غير . ويصح أن يكون معناه أن « الفتحة » من تاء الخطاب فى مثل « خلقت » بفتح التاء تحولت إلى ضمة وهى علامة رفع ، فصارت « خلقت » بضم التاء لا فتحها أى صارت تاء المخاطب بفتح الطاء عين تاء المتكلم .

ولا فَلَكٌ إلا ومن نور باطنى به مَلَكٌ يَهْدِى الهدى بمشيئتى (١)
ولا قَطْرَ إلا حَـلَّ من فَيْض ظاهرى به قطرةٌ عنها السحائبُ سَحَّتِ
ولولاى لم يُوجَد وجودٌ ، ولم يكن شُهُودٌ ، ولم تُعْهَد عهودٌ بذمة
فلا حَىَّ إلا من حياتى حياتُه وطوع مرادى كل نفس مريدة (٢)

فبماذا يحكم المؤمن على زنديق يفترى أن ملـكوتَ كلِّ شيء بيده ، وأن الوجودَ كلَّه قطرةُ فيضٍ من جوده ووجوده ، وأن الإرادة البشرية كلهـا طوع هواه .

وكُلُّ الجهات السِّتِّ نحوى توجهت بما تَمَّ من نُسْكٍ وحَجٍّ وعمرة
لها صلواتى بالمقـام ، أقيمها وأشهد فيها أنهـا لى صَلَّتِ

هذه الصلوات يقيمها النُسَّاكُ فى قدس المحاريب ، وهذه الضراعات يَتَبَتَّلُ بها القِدِّيسون ، وهذه الدعوات يَتَهَجَّد بها الْعُبَّاد تحت سَجَوَاتِ الليل ، وهذه المناسكُ ينسكها الحجاج والمعتمرون . إنها لا تُرْفَع فى الحقيقة إلى الله ، وإنما تتوجَّه بها القلوبُ إلى ابن الفارض رجاء رحمته ، وابتغاء رضاه ! .

وَهؤلاء الْمُصَلُّون يُوَلُّونَ وجوهَهم شطر المسجد الحرام . إنهم يُوَلُّونها شطر هيكل ابن الفارض . وهذه النذور يحفد بها الملهوفون ، إنها قرابين العبودية منهم ، يبتغون بها وجهَ ابن الفارض ! .

والله جل شأنه يقول : (٢ : ١١٥ وَلِلهِ المشرقُ والمغرب ، فأينما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجهُ الله) غير أن ابن الفارض يرفع فى وجه الحق باطِلَه ، فيفترى أنه ماثَمَّ إلا وجهه هو ، وأن الـكونَ كلَّه مايُوَلِّى بجهاته الست وجهه إلا إليه ! .

---

(١) يقول تعالى لنبيه الأعظم (٢٨:٥٦ إنك لا تهدى من أحببت ، ولـكن الله يهدى من يشاء) فجعل ابن الفارض نفسه أعظم من محمد ، وقريناً مساوياً لله !!

(٢) أيقول هذه مسلم ؟ إنها لله وحده ، فنسبها ابن الفارض إلى نفسه !!

وذلك الرب الصوفى المَهْيَمان فى ملكوت ابن الفارض ! أيعيش عاطلا بلا عمل ؟ أُيخالفُ عن أمر ابن الفارض ؟ كلا فقد أرغمه ابن الفارض على أن يَرْتَسِم خاشعَ الذل فى المعابد يصلى لابن الفارض ، ويرجو رحمته .

أرأيت إلى سلطان العاشقين : كيف يفترى فى شعره الوثنى كل هذه الخطايا المجوسية ؟ !

ويهفو ابن الفارض لاهث الأنفاث ؛ ليفترى لك مرة أخرى . أنه هو الله .

كلانا مُصلٍّ واحدٌ ساجدٌ إلى حقيقته بالجمع (١) فى كل سجدة

ولكن « كلانا » هذه دلالتها الحتمية على وجود اثنين أو تحقق وجودين يغاير أحدهما الآخر . لهذا كرَّ ابن الفارض يعدو فى لهفة مجنونة ؛ ليستدرك على « كلانا » بما ينسخ ماتوهمه ، فقال :

وما كان لى صلَّى سواى ، ولم تكن صلاتى لغيرى فى أدا كلِّ سجدة

عبـــادة الأنوثة

ولست أدرى لم يُغْرَم الصوفية دائماً بنعوت المرأة يحملونها على ربهم ، فيزعمون أن ربهم يتجلى — غَزَلِىَّ الجمال — فى صورة أنثى عاشقة ملهوفة تَتَفَتَّل بفتون أنوثتها الهيم لحيوان يراودها عن نفسها . إن هذا الإلحاحَ الجسدى فى عبادة الأنوثة يدفعنا إلى محاولة اكْتِنَاهِ مايَعْتَلِجُ به من شعور يتلظى بالنزوات الملتهبات والشهوات العرابيد ؛ لتدرك علة ذلك التَمَجُّسِ الصوفى الذى يؤلِّه نار الجسد . أترى حين استبد بالصوفية عشقُ الأنثى ، ولوَّعهم بالحرمان ، أراقوا الغَزَلَ فى هوى المعشوقة ، فلم تَنُدَّ أنوثتها منهم غليلا ، ولم تُبِح لحمها للناب الملهوف ، أتراهم حين احترقوا تلهفاً حتى إلى ظلى أنثى مبذولة ، فلم ينالوا ، صوَّر لهم مايَؤُجُّ فى غرائزهم من سعير أن الأنثى ليست — إذن — إلا ربا تعالت كبرياؤه ، وتسامى عرشه ؟

(١) الجمع عند الصوفية هو « شهود الحق « أى الله » بلا خلق » .

أم تراهم — والأنوثة تعاطيهم صَهْباء إثمها — أبوا إلا أن يترعوا الدَّنَّ كله ، فراحوا يُمِدُّونها فى الغى ، فزعموا لها أن الحقيقة الإلهية ليست إلا أنثى مشتهاة مشتهاة ، وأن حقائق الوجود كله أنوثة تشرب الشهوات خمر جسدها المُعَتَّق ؟! يمثل ابن عربى الطائفة الأولى ، وستأتيك أنباؤه ، أما ابن الفارض (١) فاسمع إليه يقول :

ففى النشأة الأولى تراءت لآدم بمظهر حوَّا قبل حُكم البُنُوَّة
وتظهر للعشاق فى كل مظهر من اللَّبْسِ فى أشكال حُسْنٍ بديعة
ففى مرة «لُبْنى» وأخرى «بثينة» وآونة تُدْعى « بِعَزَّة » عَزَّت

يزعم أن ربه ظهر لآدم فى صورة حواء ، و « لِقَيْسٍ » فى صورة « لُبنى » و « لجميل » فى صورة « بثينة » و « لِكُثَيِّر » فى صورة « عَزَّة » . فما حواء أم البشر إلا الحقيقة الإلهية ، وما أولئك العشاق سَكِرَتْ على شفاههن خطايا القبل المحرمة ، وتهاوت بهن اللهفة الجسدية الثائرة تحت شهوات العشاق ، ماأولئك جميعاً

---

(١) يصور لنا أحد أتباع ابن الفارض لوناً من ألوان مجون سلطان العاشقين فيقول : « دفع إلى دراهم ، وقال : اشتر لنا بها شيئاً للأكل ، فاشتريت ومشينا إلى الساحل ، فنزلنا فى مركب ، حتى طلع البهنسا ، فطرق باباً ، فنزل شخص فقال : باسم الله ، وطلع الشيخ ، فطلعت معه ، وإذا بنسوة بأيديهن الدفوف والشبابات ، وهم يغنون له ، فرقص الشيخ إلى أن انتهى ، وفرغ ونزلنا ، وسافرنا حتى جئنا إلى مصر ، فبقى فى نفسى شىء ، فلما كان فى هـذه الساعة جاءه الشخص الذى فتح له الباب ، فقال له : ياسيدى فلانة ماتت — وذكر واحدة من أولئك الجوارى — فقال: اطلبوا الدلال ، وقال : اشتر لى جارية تغنى بدلها ، ثم أمسك أذنى ، فقال : لا تنكر على الفقراء ! ! » ص ٣١٩ ج ٤ لسان الميزان لابن حجر العسقلانى طبع الهند ١٢٣٠هـ . هذا هو ابن الفارض القديس يرقص ويغنى والنسوة يرقصن معه ويضربن له الدفوف !! ومع هذا يحرم على تابعه أن ينتقده !! وهكذا كل الشيوخ .

سوى رب الصوفية تجسد فى صور غَوَانٍ تطيش بهُدَاهُنَّ نَزْوَةٌ وَلَهْى ، أو نَشْوَةُ سَكْرَى ، أو رغبة تَتَلَظَّى فى عين عاشق !!.

و يسرف ابن الفارض فى توكيد أنوثة ربه ، وتجليه أبدا فى صورة جسد امرأة يَزِلُّ بها موعد الليل ، فيقول :

ولَسْنَ سواها ، لا ، ولا كُنَّ غيرها وما إنْ لها فى حسنها من شريكة

خشى ابن الفارض أن يَتَوَهَّم أحد فى ربه أنه يغاير حقيقته ، أو تتباين صفاته ، وهو يتجلَّى مرة بعد مرة فى صورة غانية ، أو أن يَظُنَّ أن هؤلاء الغانيات « لبنى ، بثينة ، عزة » تغاير حقائقهن حقيقة ربه فى شىء ما ، خشى ابن الفارض ذلك ، فاستدرك على الأوهام بما يحيلها يقيناً ثابتاً فى أنوثة ربه ، فقال : « ولسن سواها ، لا ، ولا كُنَّ غيرها » وهكذا صدق فيهم قول الله (٤ : ١١٧ إن يدعون من دونه إلا إناثاً ، وإن يدعون إلا شيطاناً مَرِيداً) ماذا يحدث للشباب المسلم ، ومنه لو أنه آمن بهذه الصوفية ؟ ! .

فليفهم كل عاشق يطويه الليل على خاطئة أنه حين يقترف الخطيئة مع أنثاه ، وتعربد فى جسدها الرَّخْص أنيابُه وأظفاره ، ليفهم كل عاشق أن أنثاه هذه التى يعرق أنوثتها ليست إلا رب الصوفية الأعظم ! ! .

ولْيُصَحِّحْ مؤرخو الأدب تاريخه ، فابن الفارض يؤكد أن أولئك العشاق « قيس ، جميل ، كثير » وكل شعراء العشق لم يُريقوا خمور الغزل إلا للذات الإلهية متجسدة فى صور عشيقاتهن القواتل ! ! .

أوَعَيْت إذن علة إطلاق الصوفية على أربابهم أسماء نسوة[1] جُلُّهن عواطل من الفضيلة ، عوارٍ عن الشرف ؟ ! .

وعلة عبادتهم لأجساد تلظَّى فيها الشيطان ، وعربد بخطاياه ؟ ! ذلك لأن

---

(١) أنصت إلى المنشدين اليوم فى حلق الرقص الصوفى أو الذكر كما يزعمون تجدهم يرقصون الذاكرين على مناجاة « ليلى وسعاد » وغيرهما !!

كهان الصوفية أوحوا إليهم أن أربابهم تتجلى دائماً فى صور إناث تجرَّدْنَ لخطايا العشق ، وآثام الليل فى حان الغرام ! ! .

ومعذرة إلى من يقرءون للهدى عما أثرته فى نفوسهم من غثيان بذكر هذا القىء القذر من الكفر الصوفى ، وعما يحسونه بنقل تلك الأبيات من حَرَج تختنق فيه العاطفة ، ويتقلَّى الضمير .

لمن كان سجود الملائكة ؟

ولا يمل ابن الفارض من تكرار إفكه الوثنى يزعم فيه أنه هو الله ، فيضيف إليه أنه عين رسل الله أيضاً ، وعين آدم الأب الأول للبشرية ، وعين الملائكة الذين سجدوا لآدم .

وفِىَّ شهدتُ الساجدين لِمَظْهَرِى [١] فَحَقَّقْتُ أنى كنتُ آدمَ سَجْدتى

وإليك شرح القاشانى ـ وهو كاهن صوفى ـ لهذا البيت : « أى عاينت فى نفسى الملائكةَ الساجدين لمظهرى ، فعلمت حقيقةً أنى كنتُ فى سجدتى آدمَ تلك السجدة ، وأن الملائكة يسجدون لى ـ والملائكةُ صفةٌ من صفاتى [٢] ـ فالساجد صفة منى تسجد لذاتى [٣] » أرأيت إلى شرح القاشانى ؟ لقد نقلته لك بلفظه مثلا لما يشرح به الصوفية أساطير دينهم ؛ لتؤمن أنى لم أمِلْ مع الهوى فيما شرحت لك به أبيات ابن الفارض ، وأظننى ما بلغت مبلغ القاشانى فى الشرح ، فهو صوفى يدين بالتائية .

وحسبنا هذا من سلطان عشاق الصوفية ! ! .

---

(١) يعنى به آدم عليه السلام ، فهو فى دينه تجسد للذات الإلهية التى هى ابن الفارض

(٢) فسر الملائكة بأنها صفات ، ليتقى القول بالغيرية والتعدد ، ولكيلا يعترض عليه بمثل هذا : مادمت تتحدث عن ساجدين وعن مسجود له فقد قلت بذوات كثيرة ، وأغيار عديدة . . لايعترض عليه بمثل هذا لأنه يزعم أن الملائكة ليست ذوات . وإنما هى صفات للذات الإلهية والصفات عنده عين الذات ، فلاتعدد ، ولاغيرية!!

(٣) ص ٨٩ جـ ٢ كشف الوجوه الغر على هامش شرح الديوان طبع ١٣١٠ هـ

إلٰه ابن عربى

أما هذا الطاغوت الأكبر ، فقد افترى للصوفيـة رباً عجيباً يجمع بين النقيضين المُتَوتِّرَيْن فى ذاته ، و بين الضدين الحقيقيين فى صفاته ، فهو الوجود الحق ، وهو العدم الصرف ، هو الخلاق ، وهو المخلوق ، هو عين كل كائن ، وصفاته عين صفات كل موجود وكل معدوم ، هو الحق الكريم والباطل اللئيم ، هو الفكرة العبقرية ، والخرافة الحمقاء ، هو الخاطرة المُلْهَمَة ، والوهم الذاهل ، والخيال الحيران ، والمستحيل الذى لايتصور فيه العقل أبداً أن يخطر حتى مرة واحدة فى بال الإمكان ، والممكن الذى يرى فيه الفكر أجلى معانى الإمكان ، والذى لايتوهَّم فيه العقل وهم استحالة . هو المؤمن ، وهو الكافر ، هو الموحِّد الخالصُ التوحيد ، وهو المشرك الأصم الوثنية . هو الجماد الغليظ ، وهو الحيوان ذو المشاعر المرهفة ، والحساسية المتوقدة ، هو الملاك الساجد تحت العرش ، وهو الشيطان الذى يصطرخ فى سقر ، هو القِدِّيس الناسك يذوب قلبُه فى دموع التسابيح ، وهو العِرْبيد يضج الماخور من بغى خطاياه ، هو الراهبة التى تحيا على محبة الله وتقواه ، وهو الغانية التى تحيا للجسد المبذول ، وتعيش على ثمنه ، هو النور يغمر الوجود بمباهجه ، وهو الظلام مَوَّار الكهوف بالفزع والرهبة ، تلك هى بعض ذاتيات رب ابن عربى ، و بعض خصائص الإلٰه الصوفى ! ! .

ولهذا يؤمن الطاغوت بأن اليهود عُبَّاد العجل ناجون ، بل يؤمن بأنهم كانوا على علم بحقيقة الألوهيـة ، لم ينعم موسى ولا هُرون بلمحة من تجلياته ، ولا ببارقة من انكشاف الأسرار الإلٰهية المغيبة له ! ! لأنهم ماقصروا العبادة على فكرة مجردة خاوية كموسى ، وإنما عبدوا الرب متجليا فى صورة عجل ، فأدركوا من حقيقة الأمر مالم يدركه هٰرون ، وهو أن الذات الإلٰهية لاتعبد إلاحين تتجلى فى صور خَلْقِيَّة ! ! .

ويؤمن ابن عربى بقدسية عبدة الأصنام ، ويمجد صدق إيمانهم وإخلاص

توحيدهم ، يؤمن بالصابئة عباداً يوحدون الله ، ويخلصون له الدين ، يؤمن بسمو إيمان الذين عبدوا ثلاثة آلهة غير أنه يعيب عليهم قصورهم عن إدراك الحقيقة كاملة ؛ إذ عبدوا الله فى ثلاثة أقانيم ، على حين كان الواجب أن يعبدوه فى كل شىء ، فليس الرب عنده هو تلك الأقانيم فحسب ، وإنما هو عين ما يُرى أو يُحَس ، وعين مالا يُرى ، ومالا يُحَس ، فأصحاب الثالوث عنـده مخطئون ؛ لأنهم عبدوا بعض مظاهر الرب ، أو بعض تَعَيُّناته وكان واجباً أن يعبدوه فى الـكل ؛ لأنه هو ذلك الـكل فيما ظهر منه ، وفيما بطن ! !(1) .

ربوبية كل شىء

واسمع إليه يؤكد لك أن كل شىء هو الله سبحانه : « سبحان من أظهر الأشياء ، وهو عَيْنها(2) » « إن العارف من يرى الحَقّ (الله) فى كل شىء ، بل يراه عين كل شىء(3) » وكلمة « شىء » فى دين الطاغوت تُطْلَق حتى على الصور الذهنية والوهمية وعلى العدميات ، فوق إطلاقها على كل موجود له كيانه المادى المستقل المتقوم بذاتياته وخصائصه . فابن عربى كما ترى أصرح الدعاة إلى وحدة الوجود ، بل هو كاهنها الأكبر ! ! .

الربُّ إنسان كبير

واسمع إليه يحكم على ربه بأنه يجب أن يوصف بما يوصف به الخلق ، حتى بما فيهم من نقص وعجز وحمق وجهالة ، ويُحَدّ بما يُحَدُّ به كلُّ كائن على حدة :

(١) اقرأ الفص « العيسوى » و « المحمدى » من فصوص الحكم لابن عربى

(٢) ص ٦٠٤ ج ٢ الفتوحات المكية لابن عربى .

(٣) ص ٣٧٤ فصوص بشرح بالى ، ص ٣٨٢ بشرح قاشانى طبع استامبول ، ص ١٩٢ ج ١ بتحقيق الدكتور عفيفى .

« فما يُحَدُّ شيء إلا وهو حَدٌّ[1] الحق ، فهو السارى فى مُسَمَّى المخلوقات والمبدَعات فهو الشاهد من الشاهد ، والمشهودُ من المشهود ، فالعالم صورته ، وهو روح العالم المدبر له ، فهو الإنسان الكبير[2] » .

الرب هو صور العالم

واسمع إليه يؤكد لك أن ربه هو كل ما ترى من صور العالم : « هى ظاهر الحق ؛ إذ هو الظاهر ، وهو باطنها ؛ إذ هو الباطن ، وهو الأوّل ؛ إذ كان ، ولا هى ، وهو الآخر ؛ إذ كان عينَها عند ظهورها[3] » وتدبر تعريف ابن عربى لربه بقوله : « هو عين ما ظهر ، وهو عين ما بطن فى حال ظهوره ، وما ثَمَّ من يراه غيره[4] ، وما ثم من يبطن عنه ، فهو ظاهر لنفسه ، باطن عنه ، وهو المسمَّى أبا سعيد الخراز[5] ، وغير ذلك من أسماء المرئيات[6] » والعارف الحق بالله عند ابن عربى هو من يرى « سريان الحق (الله) فى الصور الطبيعية والعنصرية ، وما بقيت له صورة إلا ويرى عينَ الحق فيها[7] » .

---

(١) الحد هو أتم أنواع التعريف ، فإذا عرفت الصنم مثلا بحد ما ، فهذا التعريف صادق على الرب الصوفى ، لأنه هو ذلك الصنم نفسه .

(٢) ص ١١١ فصوص الحكم ط الحلبى .

(٣) ص ١١٢ فصوص ط الحلبى .

(٤) يعنى أنك إذا رأيت إنسانا ، أو حجراً ، فقد رأيت الرب الصوفى ، بل الرائى والمرئى هما عين ذلك الرب .

(٥) هو أحمد بن عيسى ممن تكلم فى الفناء الصوفى توفى سنة ٢٧٩

(٦) ص ٧٧ جـ ١ فصوص ط الحلبى .

(٧) ص ١٨١ المصدر السابق .

صفات الرب صفات الخلق

ويحكم ابن عربى على ربه ، ويصفه بالعجز الذليل ، والنقص المشين ، والسفه والحماقة ، وبأنه مناط مذمة وتحقير ومهانة . فيقول : « ألا ترى الحقّ يظهر بصفات المحدَثات ، وأخبر بذلك عن نفسه ، وبصفات النقص ، وبصفات الذم ؟! ألا ترى المخلوق يظهر بصفات الحق من أولها إلى آخرها ـ وكلها حقٌّ له ـ كما هى صفات المحدَثات حق للحق[١] » .

لقد خشى ابن عربى أن يتوهم فيه إنسان أنه يطلق صفات الخلق على الله سبحانه إطلاقاً مجازياً ، أو يطلق صفات الله على خلقه كذلك . خشى هذا ، فمحا توهُّم المجاز عن الأولى بقوله : « كما هى صفات المحدثات حق للحق » فلا تتوهم مجازا مّا فيما يحكم به ابن عربى على ربه ، أو فيما يصفه به من ذم ونقص وعجز . ومحاه عن الأخرى بقوله : « وكلها ـ أى صفات الله من ربوبية وإلهية وخالقية ورازقية ، وسواها مما هو من صفات الله وحده ـ حق له » ، أى للمخلوق، فالخلق يوصف بصفات الله على الحقيقة لا على المجاز !! ذاك دين ابن عربى .

رب الصوفية وجود وعدم

ورب الصوفية فى دين ابن عربى يستغرق كل نسبة عدمية ، أو وجودية « فالعَلِيُّ لنفسه ، هو الذى يكون له الكمال الذى يستغرِق به جميعَ الأمور الوجودية ، والنسب العدمية ، بحيث لا يمكن أن يفوته نعت منها وسواء كانت محمودةً عرفا وعقلا وشرعا ، أو مذمومة عرفا وعقلا وشرعا ، وليس ذلك إلا لمسمَّى الله تعالى خاصة[٢] » .

فأى رب هذا الذى يبعثه وجود ، ويفنيه عدم ؟ أى رب هـذا الذى

(١) ص ٨٠ فصوص راجع ما كتبته فى « دعوة الحق » ص ٣٠ وما بعدها .

(٢) ص ٧٩ فصوص .

يكون مناط الذم من الشرع والعقل والعرف ؟ لقد نعت ابن عربي ربه بكل مذمة ، فلماذا لايذمه الشرع والعقل والعرف ؟ ! .

كل شيء رب للصوفية

لقد كفرت الصابئة ؛ لأنهم عبدوا الكواكب ، وكفرت اليهود ؛ لأنهم عبدوا العجل ، وكفرت النصارى ؛ لأنهم عبدوا ثلاثة أقانيم ، وكفرت الجاهلية ؛ لأنهم عبدوا أصناماً أقاموها لمن مات من أوليائهم ، لتكون مقصد الرجاء ، ومطاف الآمال ، كما كان أصحابها ، وهم ناعمون بالحياة . فماذا تقول فى الصوفية ، أو بماذا تحكم عليها ، وهى تدعو إلى عبادة كل شيء ؟! ألا يقول الجيلى : « إن الحق تعالى من حيث ذاته ، يقتضى ألا يظهر فى شيء ، إلا و يُعْبَد ذلك الشيء ، وقد ظهر فى ذرات الوجود[1] ؟! » و يزيد ابن عربي الفرية جلاء بقوله : « والعارف المكمّل من رأى كُلَّ معبود مَجْلى للحق يُعْبَد فيه ، ولذلك سموه كلهم إلهاً ، مع اسمه الخاص بحجر ، أو شجر ، أو حيوان ، أو إنسان ، أو كوكب ، أو ملك »[2] .

فهل ترانى جَنَحْت إلى غُلُوٍّ مّا حين قلت لك : إن الصوفية استمدت من كل كفر ، ودانت بكل مادان به الكافرون من قبل ، فكانت هى وحدها تاريخ الوثنية كلها ، وحمأتها منذ ابتدعها إبليس ليضل الكافرين ؟! .

ألا ترى ابن عربي حَفِيَّ القلب والشعور والعاطفة بعبادة الحجر والشجر « آلهة الجاهلية » و بعبادة الحيوان « آلهة الفرعونية واليهودية » و بعبادة الإنسان « إله النصرانية والشيعة » و بعبادة الكوكب والملك « أى آلهة الصابئة » ؟! .

---

(١) ص ٨٣ جـ ٢ الإنسان الكامل للجيلى .

(٢) ص ١٩٥ جـ ١ فصوص ، وقد عدد فى هذا النص آلهة الذين كفروا من قبل ، فعبدوا الحجر والشجر والحيوان والإنسان والكوكب والملك ، يعنى الصابئة واليهود والنصارى والذين أشركوا . وصوب عبادتهم ، إذ كل ماعبدوه فى دينه ليس إلا رباً تجلى فى صورة ذلك المعبود .

فالصوفية هي كل ذلك الكفر ، ثم تحته وفوقه ، وعن شماله ويمينه ومن خلفه ومن قُدَّامه كفرها الخاص بها !! وفيما ذكر ابن عربى مايثبِّت اليقين فى قلبك بما أقول .

التَّجَسُّد فى النســاء

وكما عبد ابن الفارض جسد الأنثى ، عبده كذلك ابن عربى ، بيد أن الأول عبد المرأة مستباحة العفة له ، وعبدها الآخر مستعصية الشرف عن أهوائه .

وإليك نصاً واحداً من فصوصه يكشف لك عن مدى إيغال ابن عربى فى عبادة الأنثى « ولما أحبَّ الرجلُ المرأةَ ، طلب الوصلة(١) ، أى غاية الوصلة التى تكون فى المحبة ، فلم يكن فى صورة النشأة العنصرية أعظم وصلة من النكاح(٢) ، ولهذا تعم الشهوة أجزاءه كلها ، ولذلك أُمِر بالاغتسال منه ـ فعمت الطهارة ، كما عم الفناء فيها ـ عند حصول الشهوة ، فإن الحق غيور على عبده أن يعتقد أنه يلتذ بغيره ، فطهَّره بالغسل(٣) ؛ ليرجع بالنظر إليه فيمن فنى فيه ، إذ لا يكون إلا ذلك ، فإذا شاهد الرجلُ الحقَّ(٤) فى المرأة ، كان شهوداً فى منفعل ، وإذا شاهده فى نفسه ـ من حيث ظهور المرأة عنه ـ شاهده فى فاعل ، وإذا شاهده فى نفسه من غير استحضار صورة ماتكون عنه ، كان شهوده فى منفعل عن الحق بلا واسطة ، فشهوده للحق فى المرأة أتم وأكمل ؛ لأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل ، ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة ؛ فلهذا أحب صلى الله عليه وسلم النساء ؛ لكمال

---

(١) يقصد بها مايحدث بين الذكر والأنثى .

(٢) يقصد به ماله من معنى فى أذهان العامة بدليل ماذكره بعده . لايريد الزواج بل شيئاً آخر .

(٣) يزعم أن الله لم يأمر بالغسل إلا ليتطهر العبد مما توهمه من أنه كان مع امرأة ، على حين كان هو مع الربة الصوفية جسداً وخطيئة !!

(٤) الحق فى دين الصوفية هو الذات الإلهية فى وجودها المطلق !!

شهود الحق فيهن[1] ، إذ لايُشاهَد الحقُّ مُجرَّداً عن المواد أبداً ، فشهود الحق فى النساء أعظم الشهود وأكمله ، وأعظم الوصلة النكاح[2] » .

وتستطيع أن تلخص ، وتستخلص من هذا النص وحده دين ابن عربى كله.

إنه يعتقد أن رب الصوفية يتجلى أعظم تجل له فى صورة أنثى يهصر جسدها المستسلم حيوانٌ ثائر الجسد . يعتقد أن العاشقين ينتهبان خطايا الليل ، هما رب الصوفية !! ويلحف على العشاق عربدت بهم خمرة الأجساد من دنان الإثم أن يدينوا بأنهم كانوا مع الرب الصوفى ليلا وخطيئة وغريزة ولذة !! ، فما استغرقوا فى اللذة بأنثى ، بل بالرب المتجسد الخطايا فى أنوثة عصفت بها الرذيلة !! ثم ينحدر ابن عربى فى سرعة مجنونة إلى أعمق الأغوار السحيقة من المادية ، فيؤكد لنا : أن الرب الصوفى شىء مادى ، وأنه لايرى أبداً إلا فى مادة !! هذه هى روحانية الصوفية يامن عنها تذودون !! روحانية يفترى كاهنها الأكبر هذه الفرية الكبرى فيقول : « لايشاهد الحق (الله) مجرداً عن المواد أبداً » ويقول : « وهو من حيث الوجود عين الموجودات ، فالمسمى مُحْدَثات هى العلية لذاتها ، وليست إلا هو[3] » :

وما ينبغى — احتراماً لعقلك ياسماحة الشيخ — أن أدلك على أساطير الزندقة فى تلك النصوص الصوفية ، فإنها تكاد تنشب مخالبها فى العين لتراها ! !

أترى تخزك الندامة على أنك شكوتنا ، فنكأت لك الجراح ، أم تراها تخزك لما ظلمت به مَنْ يود لك الخير ، ويدعوك إليه ، ولأنك فى مكانك هذا تحمل أوزار الصوفية كلها على ظهرك ؟! .

---

(١) يزعم ابن عربى أن علة حب الرسول صلى الله عليه وسلم للنساء هى اعتقاده أنهن الله فى أجمل صور تعيناته وتجلياته ، ورغبته فى الالتذاذ الجسدى المتنوع بربه !!

(٢) ص ٢١٧ فصوص جـ١ ط الحلبى ، ص٤٣٧ ط استامبول بشرح القاشانى ، ص ٤٢٠ بشرح بالى ط ١٣٠٩ هـ

(٣) ص ٧٦ جـ١ فصوص لابن عربى ط الحلبى .

التجسد المسيحى ، والتجسد الصوفى

وتلوذ بى عاطفة من إشفاق تحملنى على ألاَّ أزيد جرحك انتكاساً بذكر نصوص أخر ، غير أننى أود تذكير الشيخ بأن المسيحية حين سلبتها الصوفية رشدها وهداها ، وقداسة الروحانية فيها ، فرغبت بها عن التوحيد الخالص إلى الشرك ؛ بعبادة ثلاثة آلهة !! إن المسيحية حين استعبدتها غواية الصوفية أبت أن تخبط وراءها فى كل مهلكة ، فلم تؤمن بتجسد الذات الإلهية فى كل شىء ، وإنما اختارت جسداً طيباً طاهراً ، شرف الله صاحبه بالرسالة ، وآمنت بأنه التجسد الأعظم لله !! ومع هذا لم تنل من الله إلا لعنة الأبد ، وغضب الأبد ، وسعير جهنم يصلونها ، وبئس المصير .

أماشيخكم الأكبر ، فقد هوى به الكفر ، أو هوى هو بالكفر ، إلى أبعد أعماق الهاوية الساحقة الماحقة ، وانحدر به إلى كل منحدر ، فآمن بتجسد ربه فى أجساد تقيحت من الدنس ، آمن بتجسد ربه فى الجيف ، وفى الأوثان ، وعجل السامرى ، وفرعون موسى ، ثم هَفَتْ به غُلْمَتُهُ الآثمة ، فكشفت عن دخيلة نفسه الآبقة تعبد رباً تتلظى غرائزه ، وتتسعر شهواته ، وتشتهى مفاتنه حين يتجسد فى أنثى طاحت بها نزواتها لقى تحت رغبة كل عابر يراود خطيئة !! .

لماذا عبد ابن عربى المرأة ؟

إن كبيرتكم الأحمر هذا أحب امرأة ذات مرة ، هى ابنة الشيخ مكين الدين . وأين ؟ فى مكة !! .

وهفا العاشق الْمُدَلَّهُ يتلمس جسد المرأة ، وسبيل أنيابه إليها ، راح يتوسل إليها أن تتجرد له ، وأن تبيح قدس عرضها لخطيئته ، فأبت العذراء ، يتلهب حياؤها كرامة أن يلغ فى شرفها ذئب !! .

لقد أرادته للقلب الطاهر ، وأرادها هو للجسد الثائر ، أرادته للطهر والمعبد وأرادها هو للدنس والماخور ، فتمنعت الفتاة عن نابه الطحون ، فنظم فيها ديوانه « ترجمان الأشواق » قُرْبَانًا من شهواته إلى جسدها الفَوَّاح العطر والفتنة ، لعلها تنحدر معه إلى الهاوية ، فتهب له من جسدها مضغة ، أو مِنْ دمها رَشْفَةً ، فذادته الفتاةُ عن حَرَم مخدعها الوَرْدِيِّ ، ولَجَّتْ فى إبائها النبيل الكريم ، وأبت إلا أن تكون عذراء متألقة العرض ، روحانية العاطفة ، مُمَنَّعَة العفة والشرف ، ترى ، هل أراب اليأسُ منها عشقَ ابن عربى ؟ كلا ، فقد استغرق نفسه ووجودَه ، وملأ عليه دنياه فتنة ولهفة وقلقاً عاصفاً ، فلم يَعْرُه اليأس ، ولا مَسَّ لهبَه خمودٌ ، فعاد إلى ديوانه يشرحه بدين الصوفية ، يؤكد لهذه الجميلة النافرة الأبيَّة أنها هى الرب متجسداً فى صورة أنثى جميلة ، وأنه ما أحبَّها إلا لأنها أجمل تعيُّنات الحقيقة الإلهية ، وأنه — إذ يتشهَّاها — فإنما يتشهى فيها أنوثة ربه ، وجسده الفائر ! ! فأبت المرأة إلا أن تكون أنثى شريفة ، لا ربًّا صوفيا يحتسى الآثام ! !

ومضى ابن عربى وراء الأسطورة موغلا فى التيه الموحش ، والدغل الرهيب ، مضى وراءها يمجدها ، ويهتف بها حتى صارت الأسطورة حقيقة صوفية صريحة ، منحها ابن عربى وجوداً حيًّا صريحاً ، وأمدَّها مثله الأحبار الزنادقة معه ومن بعده وهكذا تغزل الصوفية فى « ليلى وبثينة وسعاد » !!

وتسائلهم ، فيزمون الشفاه تهكما من حماقة جهلك ! ! ويرمقونك بالنظر الشَّزْر ، وكأنما يقولون لك : مسكين ! ! ما زال يجهل أن ربنا أنثى جميلة ! ! ضليل !! لم يهتد إلى أن الغانية اللعوب الْهَلُوكَ هى الأفق الأعظم لتجليات الربوبية والإلهية ، وإلى أن جسدها الْمَنْهُومَ الجائع إلى الآثام جسدُ ربنا الأعظم !! وأنها هى هو جسداً فاتنا ، ورذيلة سوداء !!

فقر الإله الصوفى إلى الخلق

الله سبحانه يقول : (٣٥ : ١٥ يـأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغنى الحميد) غير أن الصوفية تؤمن بإله هو الفقير إلى الخلق . فقير إليهم فى وجوده فقير إليهم فى علمه ، فقير إليهم فى بقائه ، فقير إليهم فى طعامه وشرابه ، فقير إليهم فى كل شىء يهب له الظهور بعد الخفاء ، والوجود بعد العدم ، ويحول بينه ، و بين الفناء .

يقول ابن عربى : « فوجودنا وجوده ، ونحن مفتقرون إليه من حيث وجودنا ، وهو مفتقر إلينا من حيث ظهوره لنفسه » ويقول : « فأنت غذاؤه بالأحكام [١] ، وهو غذاؤك بالوجود ، فتعيَّن عليه ما تعيَّن عليك ، والأمر منه إليك ، ومنك إليه ، غير أنك تُسمَّى : مكلَّفا ، وما كلفك إلا بما قلت له : كلفنى بحالك ، وبما أنت عليه ـ ولا يُسمَّى مكلَّفا .

فيحمدنى ، وأحمده ويعبدنى وأعبده [٢] »

ذلك هو رب الصوفية الذى افتراه لها ابن عربى ، وبه يدين أقطابها ، وله يسجدون ! !

إله الجيلى [٣]

وهذا الكاهن الوثنى الأكبر يدين بدين صنميه ابن الفارض وابن عربى ، غير أن اللون الفاضح الصارخ فى زندقته هو اعتقاده أن الله ما هو إلا إنسان

---

(١) أى أسماؤك أسماؤه ، وصفاتك صفاته ، وأفعالك أفعاله ، فلولاك ما سمى ولا وصف ، ولا حكم عليه بحكم لأنك عينه وذاته .

(٢) ص ٨٣ جـ ١ فصوص ط الحلبى .

(٣) هو عبد الكريم بن إبراهيم الجيلانى أو الجيلى توفى نحو سنة ٨٣٠ هـ

كامل [1] ، وأن الإنسان الكامل ما هو إلا الرب الأكبر الجامع بين الحق والخلق فى وحدة ، ولقد سبقه بهذا الإلحاد ابن عربى ، ولكن الجيلى كان حَفِيًّا به أكثر ، مديراً حول محوره زندقته ، ولقد رأى الجيلى ألاَّ يمن بهذه المرتبة على أحد قبله ، فمضى يؤكد القول أن إنسانيته هى أفق الربوبية والألوهية الأسمى .

ادعاء الجيلى الربوبية العظمى

«لى الملك فى الدارين ، لم أر فيهما سواى ، فأرجو فضلَه ، أو فأخشاه
وقد حُزْتُ أنواعَ الكمال ، وإننى جمالُ جلالِ الكل ، ما أنا إلا هو»

هـذا قول الجيلى . والله يقول : (٣ : ١٨٩ ولله ملك السموات والأرض والله على كل شىء قدير) ولكن الجيلى يفترى أن له وحده ملك الدنيا والآخرة وأنه ليس للوجود رب سواه ، ولا ليوم الدين ملك غيره ، وأنه الغنى بذاته ، فلا تنفح قلبه رغبةٌ فى نعمة من أحد ؛ لأنه الوهَّاب للنعم . ولا تلفح نفسه رهبةٌ من سلطان ؛ لأنه ملك الكل ومالكهم ! ! ولم يكتف الجيلى بهذا ، بل مضى يعدِّد أنواع الخلق ، وصور الوجود المادى والحسى والروحى والمعنوى ؛ ليزعم بعدها أنه هو عينها ذاتاً ووجوداً ، فلا يتوهم واهم أن شيئاً ما فى الوجود يغاير الجيلى ، أو يخرج عن حقيقة ذاته ، فقال :

« فمهما ترى من معدن ونباته وحَيَوانه مع إنسه وسجاياهُ
ومهما ترى من أبحر وقفاره ومن شجر ، أو شاهق طال أعلاه
ومهما ترى من صورة معنوية ومن مَشْهَدٍ للعين طاب مُحَيَّاه
ومهما ترى من هيئة مَلَكِيَّةٍ ومن منظرٍ إبليسُ قد كان معناه

(١) يقول الكمشخانلى « الإنسان الكامل المتحقق بحقيقة البرزخية الكبرى عين الله وعين العالم » ص ١١١ جامع الأصول فى الأولياء .

ومهما ترى من شهوة بشرية لِطَبْعٍ ، وإيثار لحقّ تعاطاه
ومهما ترى من عرشه ومحيطه وكرسيه ، أو رَفْرَفٍ عزّ مجلاه
فإنِّيَ ذاك الكلّ ، والكل مَشْهَدى أنا الْمُتَجَلِّى فى حقيقته ، لا هُو
وإنىَ رب للأنام وسيد جميع الورى إسم ، وذاتى مُسَمّاه[1] »

أرأيت إلى الجيلى بأية وثنية ينعق ؟ وبأية مجوسية يدين ؟ أرأيت إليه فى قوله : « أنا المتجلى فى حقيقته لا هو ؟ » يا للجيلى ! ! يحكم على الوجود الحق بالعدم الصرف ! !

أرأيت إليه فى زعمه أنه « رب للأنام وسيد » ؟ !

أرأيت إليه — وقد جُنَّتْ شهوة الزندقة فيه — يفترى أن الشهوات إحدى مُقَوِّمات الوجود الإلهى ، وأنها فى دنسها عين وجوده ؟ ! وأن إبليس فى غَيِّه وتمرده هو عين الرب الأعظم ؟ ! وأن كل اسم فى الوجود هو اسم الله سبحانه ، لأنه عين كل مسمى . وأن كل صفة لكائن ما ، هى لله صفة ، لأنه عين الموصوف بها ؟ فعلام يدل كل هذا ، أو أثارة واحدة منه ؟

أسأل الله ياسماحة الشيخ أن يشرق فى قلبك شعاع من هدى الله ، لتبصر على نوره هذا الكيد الدنىء للإسلام ، تؤجج أحقاده الصوفية ، وتؤرِّث أضغانَه فى خبث خاتل ، ودهاء يفتنك بالبسمات الْعِذاب ، يترقب الفرصة للطعنة النجلاء .

وإن تعجب ، فعجب تقديس الصوفية للجيلى ، وتبرئة ساحته مما يحكم به الحق والعدل عليه ! ! إنها محاولة الرياء الجبان انهتك ستره ، فيلوذ بالبراءة حتى من نفسه ، لتسنح له الفرصة مرة أخرى ، فيجهز على الضحية .

إن تلك الزندقة الجيلية يتوارثها صوفى عن صوفى ، فحق عليهم قول الله (٥٣ : ٥١ أتوَاصَوْا به ؟! بل هم قوم طاغون) .

---

(١) ص ٢٢ وما بعدها جـ ١ الإنسان الكامل للجيلى ط ١٢٩٣ هـ

كيف يجعله الصوفية قطبا عرجت روحه إلى الحق تستلهمه الوحى ، وهو القائل ؟! :

«لى الملكُ والملكوت نَسْجى وصنعتى   لى الغيبُ والجبرُوت منىَّ منشاه[١]»

رب الصوفية نقيضان وضدان

دانت الصوفية كما رأيت برب هو عين كل شىء ، وعين كل ما يطيف بالذهن من صور ، ومن الأشياء ضدان ، ومن الصور نقيضان ، ورغم هذا لم يحجم الصوفية عن وصف ربهم بأنه يجمع فى ذاته بين الشىء وضده ، و بين الصفة ونقيضها . يقول الجيلى : « اعلم أن الله تعالى لما خلق النفس المحمدية من ذاته ـ وذات الحق جامعة للضدين ـ خلق الملائكة العالمين من حيث صفات الجمال والنور والهدى من نفس محمد ، وخلق إبليس وأتباعه من حيث صفات الجلال والظلمة من نفس محمد[٢] » ويقول : « اعلم أن الوجود والعدم متقابلان وفلك الألوهية محيط بهما ؛ لأن الألوهية تجمع الضدين من القديم والحديث ، والحق والخلق والوجود والعدم ، فيظهر فيها الواجب مستحيلا بعد ظهوره واجبا ، و يظهر فيها المستحيل واجبا بعد ظهوره فيها مستحيلا ، و يظهر الحق فيها بصورة الخلق[٣] ، و يظهر الخلق بصورة الحق[٤] » « الألوهية فى نفسها تقتضى شمول النقيضين وجمع الضدين[٥] » .

(١) ص ٢٣ جـ ١ الإنسان الكامل .

(٢) ص ٤١ جـ ٢ المصدر السابق . وتأمل زعمه أن إبليس خلق من نفس محمد !! لقد رمانا الصوفية بالكفر ، لأنا دعوناهم إلى الصلاة على رسول الله بما شرعه الله . فماذا يقولون فى الجيلى ؟

(٣) الحق والخلق وجهان أو وصفان للذات الإلهية فالأول باعتبار باطنها ، والآخر باعتبار ظاهرها .

(٤) ص ٢٧ جـ ١ المصدر السابق . (٥) ص ٦٩ جـ ١ نفس المصدر ،

«تجمعت الأضدادُ فى واحدِ البها وفيه تلاشت فهو عنهن ساطع[1]»

هـذا رب عجيب لم يبتدعه غير خيال الصوفية المخبول . رب موجود معدوم واجب مستحيل ، قديم حديث ، ينعم بالحياة ، ويهلكه الموت ، فهو حى ميت فى آن معاً ! ! هـذا هو رب الصوفية الذى اختلقه الجيلى ، و به تدين الصوفية ، و إيَّاه يعبدون ! !

إله الغزالى[2]

ولعل مما يقلق دهشتك ، ويثير ثائرتك أن يُقْرَن بأولئك هذا الذى افترى له الصوفية أضخم لقب فى التاريخ ، وهو « حجة الإسلام » ليفتكوا بهذا اللقب الخادع بما بقي من ومضات النور الشاحبة فى قلوب المسلمين . فاسمع إلى كاهن الصوفية ـ لا حجة الإسلام ـ يتحدث عن التوحيد ومراتبه « للتوحيد أربع مراتب . . والثانية : أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه ، كما صدق به عموم المسلمين ، وهو اعتقاد العوام !![3] . والثالثة : أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق ، وهو مقام المقربين ، وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ، ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار[4] . والرابعة : ألاَّ يرى فى الوجود إلا واحداً[5] وهى مشاهدة الصِّدِّيقين ، وتسميه الصوفية : الفناء فى التوحيد ، لأنه من حيث

(١) ص ٣٣ جـ ١ المصدر السابق .

(٢) محمد بن محمد بن أحمد الطوسى أبو حامد الغزالى مات سنة ٥٠٥ هـ

(٣) تدبر وصفه لعموم المسلمين بأنهم عوام فى الاعتقاد !!

(٤) فى هـذه المرتبة يقرر وحدة الفاعل ، بدليل ما سيقرره بعد ، وهو أنه لا يشاهد إلا فاعلا واحداً ، فيلزمه نسبة فعل المجرم إلى ذلك الفاعل الواحد .

(٥) قرر فيما سبق وحدة الفاعل ولكنه لم ينف وجود غيره ، أما فى هـذه ، فيقرر وحدة الموجود أى وحدة الوجود ، يقرر أن الذوات على كثرتها هى فى الحقيقة ذات واحدة .

لا يرى إلا واحداً ، فلا يرى نفسه أيضاً ، وإذا لم ير نفسه ؛ لكونه مستغرقاً بالتوحيد ، كان فانياً عن نفسه فى توحيده ، بمعنى أنه فنى عن رؤية نفسه والخلق »

ثم يحدثنا الغزالى عن مقامات الموحدين فى كل مرتبة ، فيصف صاحب المرتبة الرابعة من التوحيد بقوله : « والرابع موحِّد بمعنى أنه لم يحضر فى شهوده غير الواحد ، فلا يرى الكل من حيث إنه كثير ، بل من حيث إنه واحد ، وهذه هى الغاية القصوى فى التوحيد . فإن قلتَ . كيف يُتصوَّر ألاَّ يشاهد إلا واحداً ، وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة ، وهى كثيرة ؟ فكيف يكون الكثير واحداً ؟ فاعلم أن هذه غاية علوم المكاشفات (١) ، وأسرار هذا العلم لايجوز أن تُسطَّر فى كتاب (٢) ، فقد قال العارفون : إفشاء سر الربوبية كفر (٣) » ثم يضرب لنا مثلا عن شهود الوحدة فى الكثرة بقوله : « كما أن الإنسان كثير إن التفَتَّ إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه ، وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد .. فكذلك كل مافى الوجود من الخالق

(١) يكل المعرفة بأسمى مراتب التوحيد إلى علوم المكاشفات ، فما تلك العلوم ؟ إنها قطعا شىء آخر غير الكتاب والسنة ، إنها أساطير الصوفية التى استمدوها من « أذواقهم ومواجيدهم » ثم سجلوها فى كتبهم ، فكأن القرآن وسنة الرسول ليس فيهما مايصل بالقلب إلى قدس الحق من التوحيد الخالص ، فتدبر تجد الغزالى يهدف إلى صرف المسلمين عن هدى ربهم إلى خرافات الصوفية وضلالاتهم .

(٢) اقرأ بعد هذا قول الله تعالى « مافرطنا فى الكتاب من شىء » وأهم شىء هو توحيد الله فى ربوبيته وإلهيته ، ولكن الغزالى يزعم أن حقيقة التوحيد الحق لايجوز أن تسطر فى كتاب ، وهذا معناه أنها ليست فى كتاب الله ، وأنه لايعرفها أحد إلا الصوفية أرباب الكشف !!

(٣) هذا معناه أنه هو وأمثاله من الصوفية يعرفون أسرار الربوبية ، غير أنهم يضنون بها على الكتب ، وأن المسلمين جميعاً لايعرفون حقيقة التوحيد !! ومعناه مرة أخرى : أن كتاب الله ليس فيه الحق من التوحيد !!

والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار من الاعتبارات واحد ، و باعتبارات أخر سواه كثير ومثاله الإنسان ، وإن كان لايطابق الغرض ، ولكنه ينبه فى الجملة على كيفية مصير الكثرة فى حكم المشاهدة واحداً ، و يستبين بهذا الكلام ترك الإنكار والجحود لمقام لم تبلغه ، وتؤمن إيمان تصديق (١) ، و إلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج (٢) حيث رأى الخواص يدور فى الأسفار فقال : فيماذا أنت ؟ فقال : أدور فى الأسفار ؛ لأصحح حالتى فى التوكل ، فقال الحسين : قد أفنيت عمرك فى عمران باطنك ، فأين الفناء فى التوحيد ؟ ! فكأن الخواص (٣) كان فى تصحيح المقام الثالث ، فطالبه بالمقام الرابع (٤) »

---

(١) بهذا الهراء يستدل الغزالى على الوحدة بين الخلق والخالق ، ويحتم علينا الإيمان به !! كنا نحب أن يأتينا بآية من كتاب الله ، أو أثارة من فكر صحيح وبرهان عقلى . بيد أنه لجأ إلى الخيال السقيم يشبه الوحدة بين الله وعباده بالوحدة بين الإنسان وأعضائه !!

(٢) صلب سنة ٣٠٩ هـ لثبوت زندقته .

(٣) إبراهيم بن إسماعيل أبو إسحاق الخواص مات سنة ٢٩١ هـ

(٤) كل النصوص التى ذكرتها من كتاب الإحياء للغزالى جـ ٤ من ص ٢١٢ وما بعدها ط دار الكتب العربية . وعجيب أن يمجد الغزالى الحلاج ، وهو يعلم أنه قائل هذه الأبيات :

سبحان من أظهر ناسوته ... سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا فى خلقه ظاهراً ... فى صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه ... كلحظة الحاجب بالحاجب

* * *

مزجت روحك فى روحى كما ... تمزج الخمرة بالماء الزلال
فإذا مسك شىء مسنى ... فإذا أنت أنا فى كل حال

الطواسين للحلاج ص ١٣٠ ، ١٣٢ . عجيب أن يمجد الغزالى صوفياً يزعم أن الله آكل شارب ، يحب الحياة ويخاف الموت ، ويمحقه العدم ويقتله الحزن، وتزل=

أرأيت إلى من صَنَّمَتْهُ الصوفية باللقب الفخم الضخم ؛ لتفتن به المسلمين عن هدى الله ؟ ! أرأيت إلى الغزالى يدين بوحدة الوجود ، أو الشهود ؟ ! سَمِّها بما شئت ، فعند الكفر تلتقى الأسطورتان ، لا تقل : إن وحدة الوجود أنشودة من البداية ، ووحدة الشهود أغرودة عند النهاية ، فكلتاهما بدعة صوفية بَيْدَ أنها غايرت بين الاسمين ، وخالفت بين اللونين ، ولكن البصر البصير لا يخدعه اسم الشهد سمى به السم الناقع !!

كلتاهما زعاف الرقطاء ، غير أن واحدة منهما فى كأس من زجاج ، والأخرى فى كأس من ذهب !!

ولقد فضح الغزالى سره حين تمثل فى إعجاب بتوحيد الحلاج . وهذا وحده كاف فى إدانة الغزالى بالحلاَّجية ، ولقد علمت ماهى !!

رأى فى الغزَّالى

ولقد فطن إلى حقيقة دين الغزالى المستشرق نيكلسون ، وإلى أنه النافث لجرثومة الصوفية ، فقال : « إن الغزالى أوسع المجال لبعض صوفية وحدة الوجود أمثال ابن عربى وغير هؤلاء من طوائف الصوفية الذين كانوا إخوانا فى ذلك الدين الحر بكل ما لكلمة الدين الحر من معنى[1] » ولقد كنا نحب أن يفطن إلى ذلك بعض من يمجدون الغزالى ، كما فطن إليه ذلك المستشرق المسيحى[2] !!

= به الشهوات ، لأنه عين خلقه !! ألم يجد الغزالى من المؤمنين من يتمثل به فى بلوغ أسمى مراتب التوحيد ؟ ألم يعطفه توحيد أبى بكر وعمر ، فينصرف عنهما إلى تمجيد زندقة الحلاج ؟ ! .

(١) ص ١٠٤ « فى التصوف الإسلامى » ترجمة الدكتور عفيفى .

(٢) سبقه إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رضى الله عنه ، فكشف كشفاً صريحاً مؤيداً بالنصوص القاطعة عن صوفية الغزالى وإن كان لم يستشهد بتلك النصوص التى نقلتها من الإحياء فيما قرأت لشيخ الإسلام .

ويقول جولدزيهر : « وابن عربى الذى أشرنا من قبل إلى تأثره بالغزالى يخضع تفسيره الذى نحا فيه منحى التأويل إخضاعا تاماً لوجهة النظر التى أخذ بها الغزالى[1] ! » ويقول : « خلص الغزالى الصوفية من عزلتها التى ألفاها عليها ، وأنقذها من انفصالها عن الديانة الرسمية ، وجعل منها عنصراً مألوفا فى الحياة الدينية ، وفى الإسلام ، ورغب فى الاستعانة بالآراء والتعاليم المتعلقة بالتصوف ، لـكى ينفث فى المظاهر الدينية الجامدة « كذا !! » . . قوة روحية[2] » ويقول : « إن الغزالى رفع من شأن الآراء الصوفية ، وجعلها من العوامل الفعالة فى الحياة الدينية فى الإسلام[3] » وهكذا لم يعمل الغزالى للإسلام بل للصوفية ، و بعد أن كان المسلمون على حذر من سمها ، وفى انفصال تام عنها حملهم بسحر بيانه على أن يعتنقوا أساطيرها . ويقول كارل بكر « ولقد سادت روح « الغنوص » فرق صدر الإسلام كلها ، ثم سادت التصوف الذى كان يعد فى البدء بدعة خارجة عن الدين ، ولـكنه أصبح بفضل الغزالى خالياً من السم معترفاً به من أهل السنة[4] » هذا هو خطر الغزالى !! صور التصوف للمسلمين رحيقاً خالياً من السم ، فترشفوه ، ففتك بهم

رأى فى خطر وحدة الوجود

يقول « نيكلسون » : « إن الإسلام يفقد كل معناه ، ويصبح اسما على غير مسمى ، لو أن عقيدة التوحيد المعبَّر عنها بـ « لا إله إلا الله » أصبح المراد بها : لاموجود على الحقيقة إلا الله . وواضح أن الاعتراف بوحدة الوجود فى صورتها المجردة قضاء تام على كل معالم الدين المنزل ، ومَحْوٌ لهذه المعالم مَحْواً كاملا »

---

(١) ص ٢٥٩ مذاهب التفسير لجولد زيهر .

(٢) ص ١٥٩ العقيدة والشريعة لجولد زيهر .

(٣) ص ١٦١ نفس المصدر .

(٤) ص ١٠ التراث اليونانى ترجمة الدكتور بدوى .

حقيقة ساطعة ، يقررها مسيحى ، ويكفر بها شيوخ كبار يزعمون أنهم أحبار الدين وأئمته ! ! وهل المقام الرابع للتوحيد فى دين الغزالى إلا مقام القائلين « لاموجود إلا الله » ؟ بل إنها لتسبيحة الصوفية فى العشايا والأبكار !! وإنى لعلى بينة من أنى بهذا الحق الذى أشهد به ، أثير ثائرة الكبار من الشيوخ ، فكتاب « الإحياء » قرآنهم الأول . وبما يهرف الغزالى فيه ، يؤولون كتاب الله ، ويحرفون آياته . وفى وجه الحق من هدى الله يرفعون ضلالة الأساطير من « الإحياء » وخرافة الأوهام من « المشكاة » !!

ولكنى أصرخ بالحق فى وجوه الثائرين : رُوَيْدَكم !! فما نُوَلِّه من دون الله أحداً ، وما نتخذ كتاباً يهدينا غير كتابه ، ولا قدوة غير رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا نسجد لصنم ، ولا نتعق بطاغوت ، وإن يكن هو الغزالى ، أو كتبه[1] !!

دَنْدَنة الغزالى بوحدة الوجود

يقول : « العارفون بعد العروج إلى سماء الحقيقة ، اتفقوا على أنهم لم يرَوْا فى الوجود إلا الواحد الحق ، ولكن منهم من كان له هذه الحالة عرفانا علميا[2] ومنهم من صار له ذوقا وحالا[3] ، وانتفت عنهم الكثرة بالكلية ، واستغرقوا بالفَرْدَانيَّة المحضة ، فلم يبق عندهم إلا الله ، فسكروا سكراً ، وقع دونه سلطان

---

(١) يحاول السبكى فى كتابه طبقات الشافعية تبرئة ساحة الغزالى بزعمه أنه اشتغل فى أخريات أيامه بالكتاب والسنة ، ونحن نسأل الله أن يكون ذلك حقاً ، ولكن لابد من تحذير المسلمين جميعاً من تراث الغزالى ، فكل ماله من كتب فى أيديهم تراث صوفى ، ولم يترك لنا فى أخريات أيامه كتابا يدل على أنه اشتغل بالكتاب والسنة .

(٢) أى وصل إليها عن طريق الدليل والبرهان .

(٣) أى وصل إليها عن طريق الكشف والإلهام .

عقولهم ، فقال بعضهم : أنا الحق[١] !. وقال الآخر : سبحانى ! . ما أعظم شأنى[٢] ! وقال الآخر : مافى الجبة إلا الله[٣] وكلام العشاق فى حال السكر ، يُطوى ، ولا يُحـكى[٤] ! . فلما خف عنهم سكرهم ، وردوا إلى سلطان العقل ، عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد ، بل يشبه الاتحاد ؛ مثل قول العاشق فى حال فرط العشق:

أنا من أهوى ، ومن أهوى أنا   نحن روحان حللنا بدنا[٥]

وتسمى هذه الحالة بالإضافة إلى المستغرق فيها باسان المجاز : اتحادا ، و بلسان الحقيقة توحيداً . ووراء هذه الحقائق أسرار لايجوز الخوض فيها[٦] »توحيد مَنْ ؟؟ أتوحيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، أم توحيد البررة الأخيار من أصحابه ؟ أجيبوا ياضحايا الغزالى وسدنة الأصنام من كتبه ؟

---

(١) قائلها طيفور البسطامى .

(٢) قائلها البسطامى .

(٣) قائلها الحلاج .

(٤) يصف الغزالى هذه المجوسية الصوفية بأنها هتفات أرواح سكرت بعشق الله، ولم يجد الغزالى ماينقد به هـذه الصوفية ـ إن عددته نقداً ـ سوى قوله : وكلام العشاق يطوى ولا يحكى !! ولـكن ماحكم الله ياغزالى ؟ لايجيب !! ، ولـكنه حكم من قبل بأن ذلك أسمى مراتب التوحيد !!

(٥) البيت للحلاج وانظر ص ٣٤ طواسين ، والبيت الذى بعده .

فإذا أبصرتنى ، أبصرته   وإذا أبصرته أبصرتنا

والغزالى يعرف أن ذلك للحلاج غير أنه يتستر على شيطان وحيه ، والحـلاج حلولى يؤمن بثنائية الحقيقة الإلهية ، فيزعم أن الإله : له وجهان ، أو طبيعتان هما : اللاهوت والناسوت ، وقد حل الأول فى الآخر . فروح الإنسان هى لاهوت الحقيقة الإلهية ، وبدنه ناسوته . فإذا كان الغزالى قد رفض القول بالاتحاد ، ودان بما يشبهه ، فقد آمن بما هو أخبث منه ، وهو الحلول . بدليل استشهاده بالبيت الذى عبر به الحلاج عن حلوليته !!

(٦) ص ١٢٢ مشكاة الأنوار للغزالى ط ١٩٣٤ م

زَمْزَمات بالوحدة

وأصِخْ إلى زمزمات الغزالى بأسطورة الوحدة : « الـكل من نوره ، بل هو لا هُوِيَّة[1] لغيره إلا بالمجاز ، فإذن لا نور إلا هو ، وسائر الأنوار أنوارٌ من الوجه الذى تليه ، لا من ذاتها ، فَوَجْهُ كلٍّ مُوَجَّه إليه و مُوَلٍّ شطره (أينما تُوَلُّوا ، فَثَمَّ وجه الله) ، فإذن لا إله إلا هو ، فإن الإله عبارة عما الوجوه مولية نحوه بالعبادة ، والتأليه ، أعنى وجوه القلوب ، فإنها الأنوار والأرواح ، بل كما لا إله إلا هو ، فلا هو إلا هو ، فإن هو : عبارة عما إليه الإشارة ، وكيفما كان ، فلا إشارة إلا إليه ، بل كلما أشرت ، فهو بالحقيقة الإشارة إليه[2] » يفترى أن كل هوية فى الوجود ، هى عين هوية الله سبحانه ، أى حقيقته ! . ولذا لا يمكن أن تقع إشارةٌ ما إلا عليه ! . فإن أشرت إلى صنم ، أو ميت ، فكلتا إشارتيك واقعة على رب الغزالى ، ولم لا ؟ وماهية الصنم أو حقيقته هى عين ماهية الرب الغزالى .

تلك هى الأسطورة التى ابتدعها الغزالى ، ووصى بها كهنة الصوفيـة من بعده ! ! وإليك هينمة الموبذان بخرافة الوحدة مرة أخرى : « لا إله إلا الله توحيد العوام ! ولا هو إلا هو توحيد الخَوَاص[3] ! لأن ذلك أعم ، وهذا أخص

---

(١) الهوية عند الصوفية هى : الحقيقة الباطنة للذات الإلهية ، أو هى الذات قبل التعين فى مادة ، يزعم بهذا أن كل ما تحقق من إثبات الوجود ، فباطنها هوية الله !!

(٢) ص ١٢٤ مشكاة الأنوار للغزالى . وتلك هى الطامة الغزالية ؛ إذ يزعم أنك مهما أشرت إلى شىء ما ، فإشارتك فى الحقيقة واقعة على الله ؛ لأنه عين ذلك الشىء المشار إليه !!

(٣) يزعم أن الإيمان بما توجبه كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» هو توحيد العوام !! لأنه يثبت لله وحده الربوبية والإلهية ، وينفيهما عن غيره . ويثبت بالتالى وجود خلاق وخلق ، وفى هـذا ، أى فى إثبات وجودين ، أو موجودين يغاير أحدهما الآخر ثنائية تناقض صرافة الوحدة ، وهذا شرك عند الصوفية وكاهنهم . ولذا يبهت « لا إله إلا الله » بأنها توحيد العوام . يبهتها بذلك ، وهى توحيد الرسل جميعاً !!

وأشمل وأحق وأدق ، وأدخل بصاحبه فى الفردانية المحضة والوحدانية الصرفة . ومنتهى معراج الخلائق مملكة الفردانية ، فليس وراء ذلك مِرْقاة ! إذ الرقى لا يُتصَوَّر إلا بكثرة ، فإنه نوع إضافة يستدعى مامنه الارتقاء ، وما إليه الارتقاء ، وإذا ارتفعت الكثرة ، حققت الوحدة ، و بطلت الإضافة ، وطاحت الإشارة ، فلم يبق علو ، ولا سفل (١) ، ولا نازل ، ولا مرتفع ، فاستحال التَّرقِّي ، واستحال العروج ، فليس وراء الأعلى عُلوٌّ ولا مع الوحدة كثرة ، ولا مع انتفاء الكثرة عروج ، فإن كان ثم تغيير من حال ، فالنزول إلى السماء الدنيا ، أعنى بالإشراق من علو إلى أسفل ، لأن الأعلى — وإن لم يكن له أعلى — فله أسفل ، وهو من العلم الذى هو كنهه المكنون الذى لا يعلمه إلا العلماء بالله ، فإذا نطقوا به ، لم ينكره إلا أهل الغِرَّة بالله (٢) » .

= أما توحيد الخواص عنده ، فكلمته «لاهو إلا هو» لأنها تثبت وجوداً واحداً ، وتنفى الغيرية والكثرة والتعدد ، تثبت موجوداً واحدا تنوعت مظاهره ، فسميت خلقاً ، وتنفى المغايرة بين من نسميهم الخلق وبين من نسميه الخلاق !! وتثبت أن وجود الأول عين وجود الثانى ، فكما أنه لا وجود إلا وجوده ، فكذلك لا ذات إلا ذاته ، أما تلك الكثرة الوهمية فى الذوات ، فيؤمن بها عمى القلوب !! هذا دين الغزالى .

(١) استعمل نفس هذا التعبير العطار الصوفى فى تذكرة الأولياء ج ٢ ص ٢١٦

(٢) ص ١٢٥ المصدر السابق ، وأقول : إن الله سبحانه أخبر أنه استوى على عرشه ، وأن الملائكة تعرج إليه ، وأن العمل الصالح يرفعه إليه ولكن الغزالى أبى إلا أن يرفع فى وجه الحق وفى حرمه أصنامه هو ، فزعم استحالة العروج ، ونفاه نفياً باتاً ، لكيلا يتناقض مع مايدين به من الوحدة المحضة ، فالقول بعروج أحد إلى الله إثبات للتعدد أو للكثرة أو للغيرية ، إذ يستلزم وجود من منه العروج ووجود من إليه العروج ، وهذه ثنائية تنقض أو تناقض الوحدة التى يؤمن بها الغزالى ، وحدة الوجود ، فإذا قيل بعروج ما ، فالقول به مجازى محض ، إذ العروج ، هو من الذات الإلهية نفسها بنفسها إلى نفسها ، فالذى منه العروج عين من إليه العروج ، وإذا =

ثم يتابع الغزالى الحديث عن الله ، فيقول : « له نزول إلى سماء الدنيا وأن ذلك هو نزوله إلى استعمال الحواس ، وتحريك الأعضاء ، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام : « صرت سمعه ... الحديث » فهو السامع والباصر والناطق إذن لا غيره[1] » والجملة الأخيرة وحدها صريحة فى الكشف عن إيمان الغزالى بالوحدة بين الحق والخلق . إذ يقرر أن كل سامع و باصر وناطق هو الله ! وما إخال مسلما يلمح إيماضَةً من الحق فى تلك الأوهام ، ولا شعاعة من التوحيد فى تلك الأمشاج الغزالية ، و إنما يحس بيَحْمُوم الوحدة الصوفية ، يطغى بسواده هنا ، وهناك ، و يخنق الأنفاس حتى تحتضر ! ولقد شعر الغزالى بما فى مفترياته من شطط متجانف لإثم ، فخاف على باطله أن يقذف عليه بالحق أهله ، فوصف المنكرين لأساطيره بأنهم : أهل غرة ! وَمَنْ أهل الغرة ؟ إنهم الذين يدينون دين الحق من القرآن، و يكفرون بأساطير الغزالى ! ليكن يا كاهن الصوفية ! فما أنت الذى نعرف منه فيصل التفرقة بين الكفر والزندقة ــ كما سميت كتابا لك ــ و إنما نعرف ذلك من كتاب الله الذى يدينك ، ويحكم عليك بما يصعق عابديك وكهان دينك[2] !

ــ ماقيل : نازل أو صاعد ، فالنازل هو الصاعد إذ هما ذات واحدة ، والنزول عين الصعود ، إذ هما وصفان متحدان فى الحقيقة ؛ مختلفان بالاعتبار ، توصف بهما ذات واحدة فى حال واحدة فى آن واحد هى الذات الإلهية . فالملائكة الذين يعرجون إلى الله (٧٠ : ٤ تعرج الملائكة والروح إليه) هم عين الذات الإلهية فى أسماء أخر لها . والعمل الصالح الذى يرفعه الله إليه ، هو عين الذات الإلهية فى وصف آخر لها ، وإلا قلت بالكثرة والتعدد ، وبأن الله غير الخلق !! هذا دين الغزالى فتدبره ، وثمت يلقاك ابن عربى بما تعرفه منه ، ولكن باسم جديد ، وزى ساحر ، ولقب كبير خادع .

(١) ص ١٢٥ المصدر السابق .

(٢) لاتعجب حين ترى الغزالى يجنح فى دهاء إلى السلفية فى بعض ما كتب ، فللغزالى وجوه عدة كان يرائى بها صنوف الناس فى عصره ، فهو أشعرى . لأن نظام الملك صاحب المدرسة النظامية أراده على ذلك ، وهو عدو للفلسفة ، لأن الجماهير ــ

أصنـــام صغيرة

إله ابن عامر البصرى (١)

ولكيلا ترتاب فى أن ما ذكرته لك هو دين الصوفية جميعاً من سلفهم إلى خلفهم ومعاصريهم . أذكر لك دين بعض أصنامهم الصغيرة ، فاسمع إلى ابن عامر فى تائيته التى عارض بها تائية ابن الفارض ، وزنا وقافية ، ولطخها بنفس الزندقة الفارضية !

تجلَّى لى المحبوب من كل وجهـة — فشاهدتُه فى كل معنى وصورة
وخاطبنى منى بكشف سرائر — تعالت عن الأغيار (٢) لطفاً، وجَلَّت
فقـال : أتدرى من أنا ؟ قلت : أنت يا — منـــادى أنا ؛ إذ كنتَ أنت حقيقتى

بهذا بدأ ابن عامر قصيدته ، فكان صريح الزندقة فيها !

نظرت، فلم أُبصِرْ سوى مَحْضِ وحدة — بغير شريكٍ ، قد تغطَّت بكثرة
تكثَّرت الأشياء، والكلُّ واحد — صفاتٌ وذات ضُمِّنا فى هُوِيَّة

ويظل الصوفى يهوى حتى يبلغ القرار السحيق من وحدة الوجود .

= على تلك العداوة ، وهو متكلم ، ولكنه يتراءى بعداوته للكلاميين اتقاء غضب الحنابلة ، أما هو فى كتبه « المضنون بها على غير أهلها » فصوفى إشراقى من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، وفى كتبه الأخرى تجـده أشعريا تارة ، وسلفياً مشوباً بأشعرية تارة أخرى . وهكذا كان يلقى كل فريق بالوجه الذى يعرف أنهم يحبونه ، لايهمه أ كان وجه حق ، أم وجه باطل !!

(١) عامر بن عامر أبو الفضل عز الدين توفى غالباً فى أواخر القرن الثامن الهجرى .

(٢) قول المسلم : تعالى الله عن شريك . أما قول الصوفى: تعالى الله عن الأغيار أى ما ثم غير له ، إذ هو عين كل شىء !!

فأنت أنا ! لا ، بل : أنا أنت(١) . وحدة
مُنَزَّهــــــة عن كل غير وشركة(٢)

إله الصدر القونوى(٣)

يقول فى كتابه « مراتب الوجود » : « فالإنسان هو الحق ، وهو الذات ، وهو الصفات ، وهو العرش ، وهو الكرسى ، وهو اللوح ، وهو القلم ، وهو الملَك ، وهو الجن ، وهو السموات وكواكبها ، وهو الأرضون وما فيها ، وهو العالم الدنياوى ، وهو العالم الأخراوى ، وهو الوجود ، وما حواه ، وهو الحق(٤) ، وهو الخلق ، وهو القديم ، وهو الحادث(٥) » وإخال أنى أنتقص من فكرك ، إن حاولت أنا أن أدلك على خطايا الوثنية فى بذاء القونوى .

إله النابلسى(٦)

يقول معقباً على قوله تعالى : (٤٨ : ١٠ إن الذين يبايعونك ، إنما يبايعون الله) يقول : « أخبر تعالى أن نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم هو الله تعالى وتقدس . وبيعته بيعة الله ، ويده التى مدت للبيعة هى يد الله » ويفسر قول الله لموسى :

---

(١) يقول لربه : أنا أنت وأنت أنا ، وإبليس فى عتو جحوده وكفره قال لربه: « ١٥ : ٣٦ رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون » فلم يكفر اللعين كفر الصوفية ، إذ أقر بربوبية الله . أما هم ، فيبهتون ربوبية الله بأنها عبودية شائنة .

(٢) تائية ابن عامر بتحقيق الشيخ المغربى ط دمشق سنة ١٩٤٨ م

(٣) محمد بن إسحاق توفى سنة ٦٧٣ هـ

(٤) أذكرك بأن الصوفية يعنون بالحق الله سبحانه ، أو هو الحقيقة الإلهية قبل تجليها فى صور خلقية .

(٥) من كتاب مراتب الوجود مخطوط بالظاهرية بدمشق رقم ٥٨٩٥ عام « نقلا عن الإنسان الكامل ص ١١٥ للدكتور بدوى » .

(٦) عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى توفى سنة ١١٤٣ هـ

(٢٠ : ١٣ وأنا اخترتك) بقوله : « بأن تكون أنا ، وأكون أنا أنت ، فاستمع لما يوحَى إليك منى ، وهذا نظير حديث الإنسان الغافل لنفسه ، يحدثها وتحدثه » ويفسر قوله سبحانه لموسى (٢٠ : ٣٩ وألقيت عليك محبة منى ، ولِتُصْنَعَ على عينى) بقوله : « أى ذاتى فأظهر بك ، وتغيب أنت ، وتظهر أنت ، وأغيب أنا ، وما هما اثنان ، بل عين واحدة [1] » وما ألمس من بهتان مُسِفٍ فى فجور الزور ، وقحة الكذب ؛ كبهتان النابلسى يزعم أن الصوفية تعتد بالكتاب والسنة فى إيمانهم بوحدة الوجود ؛ إذ يقول « إن عمدتنا وعدتنا هو التمسك بالقرآن العظيم وسنة نبيه الكريم فى معرفتنا بربنا وإطلاق ما أطلقه على نفسه فى كلامه القديم ، وما أطلقه عليه نبيه البر الرحيم [2] » لم يقنع بالكفر السفيه وحده ، فأضاف إليه بهتاناً دنيئاً ؛ إذ يزعم أن كتاب الله هو عدته فى التمسك بوحدة الوجود ، ويقينى أنك لو قرأت الفقرة الأخيرة ، وأنت غافل عن عقيدة النابلسى ، لأيقنت أنه مؤمن فاض بنور الحق قلبه ، وهكذا كل صوفى يلبس لكل حال لبوسها ، ويعطيك جانباً منه يرضيك ، حتى إذا سكنت إليه ختلك ، فقتلك !

---

(١) عن رسالة اسمها « حكم شطح الولى » للنابلسى مخطوطة بالظاهرية بدمشق رقم ٤٠٠٨ نقلا عن كتاب « شطحات الصوفية ص ١٥٣ للدكتور بدوى »

(٢) نفس المصدر وبمثل هذا الرياء يخدع الصوفية المسلمين عن دينهم ، إذ يلونون الباطل بلون من الحق ، ليمكروا به ، وحق مايقول جولد زيهر : « كان التصوف خصوصاً هو الذى عنى بتصوير كثير من الأفكار الإفلاطونية المحدثة والغنوصية فى صورة إسلامية ، فعن دوائر التصوف صدر الكثير من الأحاديث الموضوعة التى قصد بها إلى تبرير قواعد التصوف » ويقول : « كل تيار فكرى فى مجرى التاريخ الإسلامى زاول الاتجاه إلى تصحيح نفسه على النص المقدس واتخاذ هذا النص سنداً له على موافقته للاسلام ومطابقته لما جاء به الرسول ، وبهذا وحده كان يستطيع أن يدعى لنفسه مقاماً وسط هذا النظام الدينى وأن يحتفظ بهذا المقام » انظر ص ٢١٨ التراث اليونانى لبدوى و ص ٣ مذاهب التفسير لجولد زيهر .

بل هكذا كل نحلة تثير على كتاب الله حرب أضغانها ، فهى لا تستعلن بتكذيب الله فى وحيه ، و إنما تزعم ـ لتفتن الناس عن دينهم الحق ـ أنها تقدسه ولـكنها ـ وهى مقنعة الأهداف بريائها الخاتل ـ تضع لألفاظ القرآن معانى ما أنزل الله بها من سلطان ، وليست لها صـلة ما بألفاظها ، اللهم إلا حين تزعم أن الـكفر معناه الإيمان ، وأن الباطل هو روح الحق ! ولهذا تجد تكذيبها لله شر وأخبث أنواع التكذيب ، وما البهائية فى تَخَنُّث كفرها أو القاديانية فى مكر دعوتها إلا دليل صـدق على ما أقول . فكلتاهما تفترى أنها تؤمن بكتاب الله ورسوله ! وكلتاهما عدو ألد الخصام لِله ، ولرسله ، ولـكتبه .

إله ابن بشيش (١)

لِلوِرْدِ الذى افتراه ابن بشيش سحرُ الأمل ، استَهلَّ بعد يأس فى مشاعر الصوفية ، ورقة البشائر تأسو الدموع وجراح الأحزان ، إذ يرونه ـ على اختلاف طرائقهم ـ وحيا ينفح قداسة ورَبَّانِيةً ، وصلاة يخشع بها سُجَّدُ الملائك ، وتسابيح ترتلها الحور فى خمائل الفردوس !

و إليك هذا الورد الذى يضرع به الصوفية فى معابد الأصنام كما قَبَّل السَّحَرُ جبينَ الليل ! « اللهم صل على مَنْ منه انشقت الأسرار ، وانفلقت الأنوار ، وفيه ارتقت الحقائق » همسات غير خافتة بأسطورة الحقيقة المحمدية الصوفية ، بَيْدَ أن هـذه الهمسات تعلو رويداً رويداً حتى تحول صريخاً وفحيحاً فى قوله : « ولا شىء إلا وهو به منوط ؛ إذ لولا الواسطة ، لذهب كما قيل الموسوط ، اللهم إنه سرُّك الجامع الدالُّ عليك ، وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك » ثم تُجَنّ لهفته ، فيهرول مجنون الخطى إلى هتك الستر عن معتقده ، فيضرع إلى الله بهذه الصوفية الملحدة « وزُجَّ بى فى بحار الأحدية (٢) وانشلنى من أوحال التوحيد ،

---

(١) عبد السلام بن بشيش أو مشيش من كبار شيوخ الشاذلية .

(٢) الأحدية « هى مجلى الذات ليس للأسماء ، ولا للصفات ، ولا لشىء من

وأغرقني في عين بحر الوحدة ، حتى لا أرى ، ولا أسمع ، ولا أجد ، ولا أحس إلا بها » .

أرأيت إلى الصوفية تحت غلائل السَّحَر الْوَرْدِيَّة ، والليل ساجي السكون لا تسمع فيه سوى رفيف أجنحة الرُّؤى ، وهمسات الأحلام ، والسكون في فيض الجمال الغامر ، والبهاء الساحر يثير في القلب المؤمن أزكى مشاعر الإيمان والحب للخلاق البديع ، فيسجد لله في عبودية خالصة . في هذه الجلوات الروحية ، وفي تلك المجالي حيث يتألق نور الجمال ، ويهمس الليل بنجوى الوداع في سمع الفجر يضرع الصوفية إلى الله أن ينشلهم من أوحال التوحيد ؟؟ !

إلٰه الدمرداش (١)

يقول :

لقد كنتُ دهراً قبل أن يُكْشَفَ الْغطا
إخالُك أني ذاكر لك شاكر
فلما أضاء الليل أصبحتُ شاهداً
بأنك مذكور وأنك ذاكر (٢)

حتى هذه الزعنفة التائهة تزعم أن الغطاء كُشِفَ عنها فرأت أنها هي الله ! !

واسمع إليها تقول :

= مؤثراتها فيه ظهور ، فهي اسم لصرافة الذات المجردة عن الاعتبارات الحقية والخلقية ، وليس لتجلي الأحدية في الأكوان مظهر أتم منك إذا استغرقت في ذاتك ، ونسيت اعتباراتك ، وهو أول تنزلات الذات من ظلمة العماء إلى نور المجالي ، وهذه الأحدية في لسان العموم هي الكثرة المتنوعة » هذه هي الأحدية عند الصوفية انظر ص ٣٠ ج ١ الإنسان الكامل للجيلي .

(١) هو محمد الدمرداش المحمدي توفي سنة ٩٢٩ هـ

(٢) ص ١٦ القول الفريد للدمرداش ط ١٣٤٨ هـ

هو الواحد الموجود فى الكل وحده

سوى أنه فى الوهم سُمّىَ بالسُّوى [١]

والكل هنا تعم الشيئية المطلقة فى عمومها وشمولها ، فما ثم إذن عنده من شىء يدركه الحس ، أو يتخيله الوهم ، أو تطيش به الغريزة إلا وهو عين الله ذاتاً وصفة ! ! غير أن الوهم هو الذى حال بين العقول و بين إدراك هذه الحقيقة ، فظنت أن هذه الكائنات المحَسَّة ، وتلك الصور الذهنية شىء آخر غير الله ! ولذا يقول : « فلا وجود سوى الله ، والغير وهم وخيال [٢] » .

إلٰه ابن عجيبة [٣]

وهذا الذى تجرَّع الفاطمية الخبيثة ينقل فى شرحه لحكم بن عطاء الله هذه الأبيات :

أَرَبٌّ ، وَعَبْدٌ ، وَنَفْىُ ضِدٍّ ؟ قلت له : ليس ذاك عندى
فقال : ماعندكم ؟ ، فقلنا وجودُ فَقْدٍ ، وفَقْدُ وَجْدِ
توحيد حَقٍّ بترك حَقٍّ وليس حَقٌّ سواىَ وَحْدى

ويشرحها بقوله : « ومعناها الإنكار على من أثبت الفرق ، بأن جعل للعبودية محلا مستقلا منفصلا عن أسرار معانى الربوبية ، قائماً بنفسه ، ولا شك أن العبودية تضاد أوصاف الربوبية على هذا الفرق ، وأنت تقول فى توحيد الحق : لاضد له ، فقد نقضت كلامك . ولذلك قال : ونفى ضد ؟ ! فالواو بمعنى : مع ، وهو داخل فى الإنكار . أى : أيوجد رب . وعبد مستقبل ، مع نفى الضد

(١) ص ١٤ المصدر السابق .

(٢) ص ١٤ المصدر السابق .

(٣) أحمد بن عجيبة الإدريسى الفاسى نسبة إلى فاس بالمغرب توفى فى منتصف القرن الثالث عشر الهجرى .

للربوبية ، والعبودية تُضَادُّ أوصافَ الربوبية ؟ ! والحق أن الحق تعالى تجلى بمظاهر الجمع فى قوالب الفرق ، ظهر بعظمة الربوبية فى إظهار قوالب العبودية ، فلاشىء ، معه (١) » يريد الفاطمى الخبيث أن يقول : نحن نؤمن بأن الربوبية لاضد لها ، فإذا آمنا بوجود عبودية تغاير الربوبية فى الذات والصفات . فقد تناقضنا ونقضنا ماقلناه ، فالذى ينبغى الإيمان به هو الوحدة المطلقة ، هو أن العبدَ عينُ الرب حتى لا تناقض قولنا : إن الرب لا ضدَّ له ! ! (٢) .

وحسبك هذا من ذلك العِلْج الفاطمى ! .

إله حسن رضوان (٣)

يقول فى منظومته الكبرى « روض القلوب » .

فليس فى الوجود شىء يشهد سواه ، فالأشيا به تُوَحَّد
والكثرة الموجودة الموهومةْ فى ذاتها بوحدة معدومةْ
والحقُّ فى الأشيا جميعاً ظاهر وسِرُّه قامت به المظاهرُ
وكل ذَرَّةٍ من الذرات تُنْبِي بأن الكلَّ عين الذات
فوحدة الوجود لا تفارقُ شيئاً ، ولكن يستفاد الفارق
فبالحدوث والفناء يوصفُ إذن ، ولا يضر إذ يُعَرَّف (٤)

ثم يبشر سالك الطريق الصوفى بقوله :

ولا يزال نوره يزيدُ حتى لديه يكمل التوحيدُ

(١) ص ٢٠٩ وما بعدها إيقاظ الهمم فى شرح الحكم لابن عجيبة .

(٢) يقول جولد زيهر : « عمد الصوفية إلى إقحام آرائهم فى القرآن والحديث بطريق التأويل ، وهكذا ورثوا الإسلام تركة فيلون » ص ١٤٠ العقيدة والشريعة

(٣) توفى سنة ١٣١٠ هـ أى منذ نيف وستين عاماً ! !

(٤) ص ٢٦٩ روض القلوب المستطاب ط ١٣٢٢ هـ

وسر وحدة الوجود ينكشفْ لعينه ، ومنه ذوقاً يرتشفْ
فَتَضْمَحِلُّ الكثرة المشهودةْ له بنور الوحدة المقصودةْ
فلا يرى بعينه المُوَحِّدةْ في الكون شيئاً غير ذات واحدةْ [١]

من بواكير الزندقة

وأصخ ياسماحة الشيخ إلى فحيح الزندقة ينفث سمها الأول طيفور البسطامى أبو يزيد : « خرجت من الله إلى الله ، حتى صاح مِنّى فِيَّ : يامن أنا أنت [٢] » وإليه « سبحانى ماأعظم شأنى [٣] » !.

أرأيت إلى الأصنام الصغيرة . تدين بدين أمها الكبيرة ؟ ! .

تأليه الحيوان النجس

هأنذا شرقت وغربت ، وياسرت ، ويامنت مع الصوفية أحباراً وكهاناً ، قدامى ومحدثين ، ونقلت عن سلفهم ، وسجلت ماضيهم وحاضرهم ، نقلت مايدينون به فى أمانةٍ لم يجنح بها عن قدسها غِلٌّ ولا حقد ولا غضب ، نقلت هذا كله ؛ ليؤمن مَنْ لا يزال على فكره وقلبه غشاوةٌ من سحر الصوفية ، أن الصوفية ـ قديماً وحديثاً فى النصرانية ، وفى اليهودية ، وفى دين مَنْ خدعوك بأنهم مسلمون ـ تؤمن بأن هذا الكون كله ، حتى جيفَه ورِمَمَه وخنازيره ، وكلابَه ماهو إلا حقيقةُ الرب الأعظم « هوية وإنية » . ولذا ينقل محمد بهاء الدين عن زعيم صوفى قوله :

وما الكلب والخنزير إلا إلٰهنا وما الله إلا راهبٌ فى كنيسة [٤]

(١) ص ١١٥ المصدر السابق .
(٢) ص ١٦٠ جـ١ تذكرة الأولياء
(٣) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة .
(٤) النفحات الأقدسية شرح الصلوات الإدريسية ط ١٣١٤ هـ

وناقل هذا صوفى يتمثل بهذا البيت الصوفى فى روعة الحب الخاشع ، ليكشف لك عن روحانية الجمال الصوفى ! .

هذه هى الصوفية فى كتابها ، فماذا ترى ؟ تؤمن بأن الله هو عين خلقه ، وبأن الماخور عربدت فيه الأبالسة ، عين المسجد تَبَتَّلَتْ فيه الرسل ! . وأن الوثنية السامرية عين التوحيد الحق ، وأن الحج إلى مَبْكى اليهود ، أو « كَرْمل[1] » البهائية عين الحج إلى بيت الله . وما والله رميت الصوفية بفرية ، بل بما يدينون به ، ويدعون إليه ، ويحبون أن يُعْرَفوا به ، فما رأى سماحة الشيخ الكبير؟[2] .

نور من القـــرآن

وإشفاقاً على الصوفية أن يجدوا مشقة فى إبصار الحق المتلألىء ، أذكرهم

(١) حيث ثوت رمة الهالك ميرزا حسين على الملقب ببهاء الله !!

(٢) قبل رأى الشيخ ننقل آراء بعض المستشرقين فيما جاء به الإسلام من التوحيد ، فهذا غستاف لوبون يقول ــ وهو يتحدث عن وحدة الوجود ــ : « إن الإسلام يختلف عن النصرانية ، ولا سيما فى التوحيد المطلق الذى هو أصل أساسى ، فالإله الواحد الذى دعا إليه الإسلام مهيمن على كل شىء ، ولا تحف به الملائكة والقديسون وغيرهم ، وللاسلام وحده كل الفخار ، بأنه أول دين أدخل التوحيد المحض ، والإسلام وإدراكه سهل خال مما نراه فى الأديان الأخرى ، ويأباه الذوق السليم من المتناقضات والغوامض ، ولا شىء أكثر وضوحاً ، وأقل غموضاً من أصول الإسلام القائلة بوجود إله واحد ، وبمساواة جميع الناس أمام الله » ص ١٥٨ حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر ، ويقول سيديو : « من شأن مبدأ التوحيد الجليل الذى انتشر بين قوم وثنيين أن يضرم الحمية فى النفس المتحمسة العالية ، ويسود هذا المبدأ القرآن وإليه يعود إبداعه ، ويبدو هذا التوحيد المحض حازماً تجاه علم اللاهوت الذى تورطت فيه الفرق النصرانية ، بعد أن زاد عددها بفعل البدع » ص ٨٨ تاريخ العرب العام لسيديو ترجمة زعيتر ثم يقول فى ص ٨٩ من الكتاب : « ومحمد إذ كان رسول الخالق بلغ أن الله لا ولد له ، وإن إله الكون واحد ، وأن الله مصدر كل قوة ، وأن إلى الله مرد من لم يجيبوا دعوته ، ويود محمد أن يجتذب الناس إلى عبادة خالق كل شىء بغير واسطة » .

يهدى الله من كتابه الحق ؛ ليعرف حقيقة النور مَنْ يخبط فى تيه الظلام ، ويدرك الحق من دوَّخه الباطل ، وينعم بالتوحيد من شقى بالشرك ، ولعل الصوفى الضليل يتخذ من التذكير بآيات الله مَنْجاةً له ، فيجعلها حَكَماً يصدع بالحق والعدالة فى شأن الصوفية .

يقول رب العالمين (١٩ : ٩٢ — ٩٤ إنْ كُلُّ مَنْ فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم ، وعدَّهم عداً ، وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً) (١٠ : ٢ — ٤ إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ، ثم استوى على العرش ، يدبر الأمر ، مامن شفيع إلا من بعد إذنه ، ذلكم الله ربكم ، فاعبدوه ، أفلا تذكَّرون ، إليه مرجعكم جميعاً ، وعد الله حقاً ، إنه يبدأ الخلق ، ثم يعيده) .

يقول سبحانه : إنه خالق السموات والأرض ، فتقول الصوفية : لا ، بل هو عين السموات والأرض ، وما فيهن من دابة ! ويقول سبحانه : إنه يدبر الأمر ، فتصرخ الصوفية : مَيْنٌ وبهتان ، فنحن الذين يدبرون الأمر له ! ويقول الله : ذلكم الله ربكم ، فاعبدوه ، فيضج كل طاغوت صوفى . لا : بل أنا الله لا إله إلا أنا ! ويقول جل شأنه : إليه مرجعكم جميعاً ، فتزعم الصوفية : إن معنى الرجوع هنا أن تعود الذات المتكثرة إلى وحدتها ، فتعود حقاً ، بعد أن كانت خلقاً ! .

(٣٨ — ٣ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ، فاعبد الله مخلصاً له الدين ، ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه[١] أولياء ، مانعبدهم[٢] إلا ليقربونا إلى الله زُلْفَى ، إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ، إن الله لايهدى مَنْ هو كاذب كفار[٣] ، لو أراد الله أن يتخذ ولداً ، لاصطفى مما يخلق مايشاء سبحانه ،

---

(١) يقولون : أما نحن ، فنتخذهم معه !! وهل الشرك إلا هذا ؟

(٢) يقولون : أما نحن فندعوهم !! وهل الدعاء إلا العبادة ، أو مخ العبادة ؟

(٣) وتزعم الصوفية أن الكاذب الكفار هو الرب الأكبر فى صورة كاذب كفار

هو الله الواحد القهار ، خلق السموات والأرض بالحق ، يُكَوِّر الليل على النهار ، ويكوِّر النهار على الليل ، وسخر الشمس والقمر ، كلٌّ يجرى لأجلٍ مُسَمًّى ، ألا هو العزيز الغَفَّار ، خلقكم من نفس واحدة ، ثمَّ جعل منها زوجها ، وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج ، يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خَلْقٍ فى ظلمات ثلاث[١] ، ذلكم الله ربكم له الملك[٢] ، لا إله إلاَّ هو ، فأنَّى تصْرَفُون ؟ » .

ويقول عز من قائل : (٤٢ : ١٠ ، ١١ وما اختلفتم فيه من شىء ، فحكمه إلى الله[٣] ذلكم الله ربى عليه توكلت ، وإليه أنيب . فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً[٤] ومن الأنعام أزواجاً ، يذرؤكم فيه ، ليس كمثله شىء[٥] وهو السميع البصير[٦]) .

(قل : هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد[٧]) .

---

(١) وتزعم الصوفية أن ربها هو ذلك الخلق المتطور فى ظلمات ثلاث « العماء ، الأحدية ، الواحدية » .

(٢) ويزعم الجيلى أن له الملك فى الدارين ويزعم معه كذلك الأحبار ! !

(٣) وتقول الصوفية بل حكمه إلى كتب ابن عربى أو الغزالى أو ابن الفارض ، ويقول غيرهم بل : إلى كتب المذاهب الأربعة .

(٤) وتزعم الصوفية أن الله هو الذى جعل نفسه أزواجاً ، فبدا حقاً فى صورة خلق ، أو إلهاً فى صورة عبد !!

(٥) وتقول الصوفية كما ذكرتك : بل هو عين كل شىء .

(٦) وتقول الصوفية على لسان ابن عربى والغزالى وغيرهما : بل هو عين كل سميع ، وعين كل بصير .

(٧) وتقول الصوفية : بل كل شىء هو له كفو إذ كل شىء فى الوجود هو الذات الإلهية .

فأين أين من هذا التوحيد المشرق بالحق الأعظم . تلك الأساطير المجوسية التي ينعق بهـا ابن عربي ، وينعب ابن الفارض ، و ينبح الجيلي ، وتعوى الصوفية ؟ ! .

واهاً لشيخ الصوفية الكبير ، أيَغَار على الصوفية من مسلم يدعوهم إلى الإنابة إلى الله ، ولا يغار على المسلمين مما تجنيه الصوفية عليهم ، حتى لتكاد تَزْهق ما بقى فيهم من أرْمَاق شاحبة واهنة ؟ ! .

أيغار على تلك الأساطير ، فيشكو إلى النيابة مسلماً ، يحذر المسلمين من التَّرَدِّى فيها ؛ ثم لايغار على الإسلام تكيد له كهنة الصوفية ، وتألو ـ وعلى نابها الأزرق تَتَلَمَّظُ الجرائم ـ أنها مِثَالِيَّةُ الطهر والحب ومعين الروحانية فى الإسلام ؟ ! .

جُبْن النفاق

ولقد ناقشت أحد أتباعكم « الغَلابة » ، فاعترف بالفصوص ، وأنها حق جليل ، و بالطبقات ، وأنها سِجِلٌّ كرامات مقدسة ، فجئت بالمسكين صوب المذياع وكنت أحاضر فى مكان كريم ، يصخب عليه « الدراو يش » فى عيد وثنى يحتفل فيه الصوفية بمولد الوثن الزينبى ـ و برأ الله زينب رضى الله عنها من بهتان الصوفية ـ ورجوت الدرويش الثائر أن يتلو على الحشود من كرامات الصوفية المسجلة فى طبقات الشعرانى ، فما إن قرأ كرامة سيده «على وحيش» ، ورأى الجريمة الباغية، حتى ضرب الأرض بالكتاب صارخاً مُرْتاعاً : هذا مدسوس [1] ! .

---

(١) يقص الشعرانى فى طبقاته كرامات سيده على وحيش معقباً على ذكر كل كرامة بقوله : رضى الله عنه : « كان الشيخ رضى الله عنه يقيم عندنا فى خان بنات الخطا !! وكان كل من خرج « أى بعد اقتراف الجريمة الباغية » يقول له : قف ، حتى أشفع فيك ، قبل أن تخرج ، فيشفع فيه !! وكان إذا رأى شيخ بلد ، أو غيره ، ينزله من على الحمارة ، ويقول له : أمسك لى رأسها حتى أفعل فيها ، فإن أبى شيخ البلد تسمر فى الأرض لايستطيع يمشى خطوة ، وإن سمح حصل له خجل عظيم والناس يمرون ــ

فقلت للمسكين المفجوع فى معبوده ! : حنانيك ، وهل يمكن أن يكفر الصوفية بهذا الكتاب ؟! ، أو يعترفون بأنه مدسوس ؟! فأجاب الدرويش ـ والحقد فى عينيه جمرات تتوهج ، وفى بدنه رِعْدَةُ غَضْبى ـ : إن من يدين بهذا ، فهو كافر ! ومن لايعترف بأنه مدسوس ، فهو كافر ! ثم فر مذعور الرياء ! وهكذا ياسماحة الشيخ ، كلما خشى صوفى افتضاح معبود له ، قال : مدسوس ! حتى إذا خلا إلى شيطانه ، قال : ينفذ الشيخ ما اطلع عليه من قدر الله المغيَّب ! فعمله طاعة ، لامعصية ! .

وليس هذا شأن الصغار منكم ، بل هو أيضاً شأن أحباركم الكبار . فقد زعم لى مثل ذلك الزعم شيخ التيجانية فى مصر حين صدمته ببهتان ابن عربى أمام دراويشه ، وأمام أناس يحرص على أن يوقروه ، ويعظموه ! .

ولقد قلت لذلك الصوفى الصغير ، كما قلته من بعد لشيخه الكبير : سل الصوفية ، وشيخهم الأكبر ، أن يكفروا بتلك الكتب ، فإن فعلوا . كان الخير الذى تظمأ النفس إلى معينه ، وكفى الله المؤمنين القتال ! .

فهل تستطيع ياسماحة الشيخ أن تصنع باسم الله شيئاً ، كهذا ؟ أيمكن أن تصدر بياناً تعترف فيه بالحق غير هياب ، ولا وجل ، فتقول ـ مثلا ـ فيه : « لما فى الفصوص والطبقات و ، ... و ... من مخالفة صريحة لدين الحق ، فإنا نأمر أتباعنا ، أن يكفروا بتلك الكتب ؟ ! » .

أم يمكن ـ مثلا آخر ـ أن تقول : « إن كتاب الفصوص ، أو الطبقات ، أو ... أو ... مدسوس على من نسب إليه ، لأن فيه ، وفيما هو مثله كفراً ! » ؟ ليتك ياسماحة الشيخ تقدمها إلى الله صالحة ! .

= عليه » ص١٣٥ جـ ٢ الطبقات ط صبيح . جريمة فسق منكرة تروى بألفاظ فاسقة وأسلوب فاسق . وإذا أبى صاحب الدابة إلا صيانة عرضها من وحيش عطبه وحيش !! ومع هذا يقول الشعرانى عن وحيش : « رضى الله عنه » !!

إيمان الصوفية بكتبهم

إن الصوفية هنا ، وهناك ، وفى كل مكان يتربصون فيه بالإسلام ، يؤمنون بكتبهم إيماناً عنيداً طاغياً يأسر منهم فى قبضته القاهرة عواطف القلوب ، ومشاعر النفوس وسبحات الخواطر ، وتأملات الفكر ، ويدينون بكل حرف فيها يرمز إلى أسطورة ، وبكل كلمة تُفْشِى خرافة . فما تناوَحَتْ إحساساتهم بالحب إلا لها ، ومافتك بالقلوب أُخْطُبوطهم إلا بها ، وماقتلت عنا كبهم ذباب النفوس إلا بلعابها السام ! .

بيد أنهم حين يلقون المؤمنين ، يقولون رياء ومخادعة : مدسوس ! .

حتى إذا خلوا إلى شياطينهم ، قالوا : نفتن المؤمنين ! .

وإلا ، فإنى أُدَوِّى بِصَيْحَةِ الحق ، تتحدَّى الصوفية وطواغيتها أن يجرؤ واحد منهم على القول : إن تلك الكتب مدسوسة ! .

أو يستنكر ماتطفح به من كفر ، وليأتنا بأثارة من علم ، أو ظن تدل على أنها دِعيَّةُ النسب إلى من افتروها ! .

نعم أُدوِّى بصيحة الحق : إن تلك الكتب ليست بمدسوسة ، ويشهد بذلك التاريخ الحق ، وتواتر النقل الصحيح ، ولكن هَبُوها كذلك ، فما ينفعكم ، وأنتم بها تدينون ، وتؤمنون إيمان عابد الخمر بالدَّنِّ والكأس والعربدة ! .

مدسوسة ! إنها التُّرْسُ الأخير ، يلوذ به من يَنْأَدُ منكم تحت صدمة الحق الصاعقة ! وشهادة زور تُفتَرَى ؛ لينجو بها المجرم من عقاب جريمته ! .

زعمهم أن كتبهم أسرار ورموز

وآخرون من أسارى الصوفية يزعمون أن تلك الكتب أسرار ورموز ، لا يفقهها إلا أولئك الذين أباح لهم الغيب الخفى مكنونه ، وقدس أسراره ، أو الذين هتك الله عنهم الحجاب الأعظم ، فخروا تحت عرشه سجداً يسمعون وحيه ،

ويسجلونه رموزاً[1] فى شعرهم ونثرهم !.

من صفات القرآن ياهؤلاء أنه « بيان للناس » ومن الناس عالمون ، وجاهلون ومنهم أميون وكاتبون قارئون ، ولكن الله جعله بياناً لهم جميعاً ، ميسراً للذكر ؛ ليعبد كل امرىء ربه على بصيرة .

بيد أنى سأنحدر إلى فرية أولئك ، فأزعم أن كتب الصوفية رموز مُقَنّعة بالخفاء ، وأسرار ملثّمة بسحر الغيب ! !

ولكنى أسائلك ، كيف يُعْبَد الله برمز مقنع بالإبهام ، وسر مستغرق فى الغموض يحمل من الكفر وجها ظاهرا ؟ !

أيحق لامرئ أن يعبد ربَّه بشىء أطبق عليه الجهل به ، وبغير ماشرعه الله فى كتابه ، وأوحاه إلى رسوله ؟ !

وأسائلك ـ ولا تغضب إذا ألحفت فى تساؤلى ـ : أتفقهون يا كهنة الصوفية دلائل تلك الرموز ، أم لا تفقهونها ؟ فإن تكن الأولى ، فأبينوا لأتباعكم ؛ لتطمئن قلوبهم بالمعرفة ، ولنزداد فى نقدكم إنصافا ، وإن تكن الأخرى ، فإنها دين الببغاء تردد مالاتعى .

أما مع الحق ، فأقول : لقد قرأت لابن عربى ، ولابن الفارض ، وغيرهما جُلَّ ما كتبوا ، وما شرح به تلاميذُهم تلك الكتب ، فلم أجد فى كل ماقرأت رمزا مَسْتُوراً ، ولا سِرًّا خفياً ، بل دلائل صريحة تكشف فى جلاء صريح عن حقيقة معتقد الصوفية ! !

---

(١) أما الدكتور فيليب حتى ، فيقول : « ودين محمد عملى صريح ، وقلما يشير إلى هدف عال يصعب نواله ، ويكاد أن يكون خلواً من العقد اللاهوتية ، وليس فيه أثر للأسرار الرمزية المقدسة ، أو مراتب الكهنوت ، وما رتبته أصول الرسامة والتكريس والخلافة الرسولية » « كلها مناصب دينية فى المسيحية » ص ١٧٨ ج ١ تاريخ العرب العام .

ترى أى رمز فى قول ابن عربى : «العارف من يرى الله فى كل شىء ، بل يراه عين كل شىء » ؟! إن ابن عربى خشى أن يتوهم أتباعُه حتى « الظَرْفِيَّة » المجازية فى كلمة « فى » أو الحلولية الحلاجية ، وفيها ثُنائيَّة تناقض الوحدة ، خشى ابن عربى ذلك ، فأطاح الوهم بيقينه الجازم ؛ ليؤمن الصوفية بوحدة الوجود إيمانا لاتنال منه شائبةُ وهم ، ليؤمنوا بأن الله هو عين كل شىء ، وأن كل شىء هو الله ! ومن الأشياء القَيْحُ المُنْتِن ، والعِرْض الذبيح ، والجريمة يشخب منها الدم البرىء !! أفى ذلك رمز ؟ أم بيان صريح وقح الجرأة ، سفيه الزندقة ؟!

إن الحق بَيِّنٌ ياسماحة الشيخ ، فاهتف به لله ، وانصره لله ، وإلا فالجزاء شديد بين يدى الله (٢ : ١٦٦ إذ تبَرَّأ الذين اتُّبِعُوا من الذين اتَّبَعوا ، ورأوا العذاب ، وتَقَطَّعَتْ بهم الأسباب)

الفصل الثالث

دين الصوفية فى الرسول

« لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ، ووالده ، والناس أجمعين[١] » هذا قول سيد الخلق ، خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم . ولقد بلوتَ مما ذكَّرتك به دينَ الصوفية ، فهل لمحتَ فيه حتى لمحةَ حَيْرى من حَقٍّ حائر ، أو نفحة وَلْهى من خَبَرٍ شَرُود ؟! هل لمحت منه بارقة خابية من حب لله ، أو لرسوله صلى الله عليه وسلم[٢] ؟ يقينُك ، ويقين كل من يبتلى الصوفية يجزم

---

(١) البخارى وأحمد وابن ماجة عن أنس .

(٢) ما أروع تلك الكلمة التى قهر بها الحق حمدونا القصار الصوفى ، فدمغ بها الصوفية حين سئل : مابال كلام السلف أنفع من كلامنا ؟ فقال : «لأنهم تكلموا =

بأنها ترفع فوق الكتاب المنزّل أيّة خرافة يهرف بها درويش مأفونٌ ممْرور .

أطوار الوجود الصوفية

تدين الصوفية بأن الوجود الإلٰهى له أطوار ، أو مراتب ، أو تنزُّلات ، أو تعيُّنات أو نسب ، أو إضافات ، فكلها ذات مدلول خرافى واحد !!

وأولى تلك المراتب «الْعَمَاء» والوجود الإلٰهى فى هذا الطور لا يوصف بوصف ، ولا يُسمَّى باسم ، ولا يُعرَّف بِحَدٍّ ولا برسم . أو كما يقول الكمشخانلى : « اعلم أن حقيقة الذات الإلهية من حيث هى هى ، امتدادها ـ أعنى مدة بقائها ـ غير مضبوط لأنها من حيث هى كذلك لا وصف لها ، ولا رسم ، فهى العماء ، إذ لا يمكن معرفتها بوجه من الوجوه ، مالم تتعيَّن بصفة . وأول هذه التعيُّنات علمُها بذاتها ، فهذه الصفةُ تَنزُّلٌ لها من الحضرة الإلهية الذاتية التى لا نَعْتَ لها إلى الحضرة الْوَاحِدِيَّة التى هى حضرة الأسماء والصفات ، و تُسمّي : الحضرة الإلٰهية[1] » نقلت لك النص بتمامه ، ليستيقن قلبك بأننا ننصف الصوفية ، فلا نَسِمُهم إلا بما يحبون أن يُعْرَفوا به . وقد يسمى الرب الصوفى فى تلك المرتبة بالوجود الْمُطْلَق ، بيد أن النابلسى فى غُلُوِّ التجريد الذى ينتهى به إلى العدم المطلق ، ينزه الوجود فى تلك المرتبة حتى عن الإطلاق ، لأن وَصْفَهُ بالمطلق قَيْدٌ ، أو صفة له ، فيستلزم أن يكون المطلق مقيدا ، والمقيَّد مطلقا[2] ، فيتوتَّر التناقض بين وصفيه ، و يستلزم أن تكون له صفة ، وهو مجرَّد كل التجريد فى ذلك الطور عن الاسم والصفة !!

ولقد أراد هذا « العماء ، أو الوجود المطلَق » أن يتعيَّن فى صورة ؛ لِيُعْرَف

= لعز الإسلام . ونجاة النفوس ، ورضا الرحمن ، ونحن نتكلم لعز النفس ، وطلب الدنيا وقبول الخلق » هذا قول زعيم صوفى فى القرن الثالث الهجرى فما بالك بما بعده ؟ انظر ص ١٢٥ طبقات الصوفية للسلمى

(١) ص ٩٣ جامع الأصول للكمشخانلى .

(٢) رغم هـذا ، فهو واقع فى التناقض ، لأن الوصف بالسلب ، أى عدم الإطلاق ، قيد أيضاً للوجود ، كالوصف بالإيجاب !!

وليعرف نفسه(١) !! فتعيَّنَ فى صورة « الحقيقة المحمدية » ، فكانت هى التعيُّنَ الأول للذات الإلٰهية ، أو الْفَتْقَ بعد الرَّتْقِ ، أو مِعْبَرَ الوجود من الإطلاق إلى التقييد ، أو من العماء إلى الأحدية ثم الواحدية !!

الحقيقة المحمدية

يعرفها الصوفية بقولهم : « هى الذاتُ مع التعيُّن الأول ، ولها الأسماء الحسنى وهى اسم الله الأعظم »(٢) فمحمد الصوفية ليس بشراً ، ولا رسولا ، وإنما هو الذات الإلٰهية فى أسمى مراتبها ! !

ويقول الدمرداشى : « حقيقة الحقائق هى المرتبة الإنسانية الكمالية الإلٰهية الجامعة لسائر المراتب كلها ، وهى المسمَّاة بحضرة الجمع ، وبأحدية الجمع ، وبها تتم الدائرة ، وهى أول مرتبة تعيَّنت فى غيب الذات ، وهى الحقيقة المحمدية(٣) »

ويقول الكمشخانلى : « صُوَرُ الحق هو محمد ؛ لتحققه بالحقيقة الأحدية والواحدية(٤) » ، فمحمد عندهم هو الاسم الأعظم ، فما الاسم الأعظم ؟ إنه « الجامع لجميع الأسماء ، أو هو اسم الذات الإلٰهية من حيث هى هى أى المطلقة(٥) » !!

ومحمد هو الأحدية ! فما هى ؟ إنها « مجلى الذات الإلٰهية ، ليس للأسماء ، ولا للصفات ، ولا لشىء من مُؤَثِّراتها فيه ظهور ، فهى اسم لِصَرافةِ الذات

(١) هذه علة وضع الحديث الصوفى « كنت كنزاً مخفياً ، فأردت أن أعرف ، فخلقت الخلق ، فبى عرفونى » ويفسر الصوفية « فبى » بكلمة « محمد » لأنها تساويها فى العدد فى حساب الجمل !!

(٢) انظر تحت المادة جامع الأصول فى الأولياء للكمشخانلى والتعريفات للجرجانى

(٣) ص ٧ رساله فى معرفة الحقائق لمحمد الدمرداشى .

(٤) ص ١٠٧ جامع الأصول للكمشخانلى

(٥) ص ٩٢ المصدر السابق .

الْمُجَرَّدة عن الاعتبارات الْحَقِّيَّة[1] وَالْخَلْقِيَّة[2] » .

ومحمد هو الواحدية ، فما هى عندهم ؟ إنها « عبارة عن مَجْلَى ظهور الذات فيها صفة ، والصفة فيها ذات[3] » والفرق بين الأحدية والواحدية : « أن الأحدية لا يظهر فيها شىء من الأسماء والصفات ، أما الواحدية فتظهر فيها الأسماء والصفات[4] » وبهذا يتجلى لك أن الصوفية تعتقد فى محمد أنه هو الله سبحانه ذاتاً وصفة ، وأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وأنه هو الوجود المطلق ، والوجود المقيَّد ، أنه كان ولا شىء قبله ، أو معه ، ثم تعيَّن فى صور مادية سُمِّىَ فى واحدة منها بجماد ، وفى أخرى بحيوان ، وهكذا حتى اندرج تحت اسمه كل مسمًّى ، وصدقت ماهِيَّتُه على كل ماهيَّة !

من هدى الله

ذاك هو محمد الصوفية ، أما محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ، فقد جلا لنا رَبُّه وخالقه ، ومن اصطفاه رحمة للعالمين . جلا لنا حقيقته فى قوله الحكم (١٨ : ١١٠ قل : إنما أنا بشر مثلكم يُوحَى إلىَّ أنَّما إلٰهكم إلٰه واحد) .

ترى هل يصدق على كل بشرى أنه هو ذات الله ، واسمه الأعظم ؟ إن الدين الصوفى يستلزم هذه الزندقة ، بل يستلزم إطلاق تلك الصفات والأسماء على فرعون وأبى جهل ـ وغيرهما من طواغيت الكفر ـ فيصف كُلًّا منهم بأنه : هو الوجود الإلٰهى فى تعينه الأول ؛ إذ كلهم بشر ! .

ونحن نؤمن ـ كما هدى القرآن والسنة ـ بأن أول خلق الله هو القلم أو العرش فمتى خلقت أسطورة الحقيقة المحمدية الصوفية ؟ ! ونعلم بالتواتر القطعى أن عبد الله

---

(١) أى لا توصف بأنها حق ، أو خلق فى تلك المرتبة .

(٢ ، ٣ ، ٤) عن جامع الأصول تحت مادتى الأحدية والواحدية وعن الإنسان الكامل للجيلى جـ ١ ص ٣٠

ابن عبد المطلب تزوج بآمنة بنت وهب ، وأنهما أنجبا طفلاً سمى محمداً ، وأنه نشأ نشأة الخير والطهر والشرف والكرامة ، وضىء الطفولة ، نقى الصِّبا ، طهور الشباب ، فلم يشب نقاء صباه ريبةٌ ، ولم تهف بقدس شبابه نَزْغَةُ هوى ، ولا نَزْعة صَبْوَة ، فكانت دنياه كلها معبداً يطيب أصائله وعشاياه وأسحاره بذكر الله وحده .

ونعلم أنه جَدَّ فى الحياة راعى غنم ، ثم تاجراً ، فكان فى حاليه المثل الأعلى فى الْجِدِّ القوى الصالح ، والأمانة التى تعتصم بالتقوى ، والحكمة الحكيمة فى كل مايُصَرِّف به شئون دنياه ، والرعاية التى تقدس الحق والواجب لكل ماحُمِّل من أمانة ، وأنه كان فى كل أطوار حياته الكاملَ فى الأدب والخلق ، وحكمة العقل وسمو العاطفة ، ونباغة الفكر ، وقوة الإرادة ومضاء العزيمة ، وجلال الشرف وعزة الكرامة ، ونبل المروءة ، وكرم الإيثار والنجدة ، وسماحة النفس ، فلم يغمر قلبه إلا حب الله ، ولم تنزع به الإرادة إلا إلى الخير ، ولا العاطفة إلا إلى السمو ، ولا الفكر إلا فيما ينال به رضاء الله . جوادا مِسْمَاحًا فى سخائه و برِّه ، محسناً كل الإحسان فى كل ما أنعم الله به عليه ، فلم يغضب إلا للحق ، ولم يجبن إلا عن الذنب ، ولم يطمع إلا فيما هو عند الله ، ثم اصطفاه ربه خاتماً للنبيين ، فجاهد فى الله حق جهاده ، و بلغ كل ما نُزِّل إليه من ربه ، وشهد الله له بذلك ، ثم قبضه الله إليه بعد أن صارت كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، فصلوات الله وسلامه عليه .

هذا قبس نستهدى به من حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، فقل لى عن الحقيقة المحمدية ، تلك الأسطورة الصوفية الموغلة فى تيه القدم والعدم : من أبوها ؟ من أمها ؟ ومِمَّ خلقت ؟ ولِمَنْ أُرْسِلَت ؟ .

شأن محمد

وتزعم الصوفية أن شأن محمد هو شأن الله !! اسمع إلى صوفى يقول : « شأنُ

محمد فى جميع تصرفاته شأن الله ، فما فى الوجود إلا محمد » ويقول : « لا يُدْرى لحقيقته غاية ، ولا يُعْلَمَ لها نهاية ، فهو من الغيب الذى نؤمن به » ويقول : « ولما كانت بشريته صلى الله عليه وسلم نوراً محضاً ، كانت فضلاته مقدسة طاهرة ، ولم يكن لجسمه الشريف ظل كالأجسام الكثيفة ، وهذا النور المحمدى ، هو الْمَعْنِيُّ بروح الله المنفوخ فى آدم ، فروح الله نور محمد[1] »

المهاجر من مكة

يقول ابن عربى : « اللهم أفِضْ صِلةَ صلواتك وسلامة تسليماتك على أول التَّعَيُّنات المفاضة من العماء الربَّانى[2] ، وآخر التَّنَزُّلات المضافة إلى النوع الإنسانى ، المهاجر من مكة ـ كان اللهَ[3] ، ولم يكن معه شىء ثانٍ ـ إلى المدينة ، وهو الآن على ماعليه كان ، مُحْصِى عوالم الحضرات الخمس[4] فى وجوده ، سر الْهُوِيَّة فى كل شىء سارية ، الجامع بين العبودية والربوبية الشامل للإمكانية والوجوبية[5] » أرأيت إلى قطب الصوفية الأكبر فى غَيِّ إلحاده الأكبر ، يفترى أن محمداً هو

(١) هذه النصوص عن كتاب النفحات الأقدسية للبيطار ص ٩ ، ١١ ، ١٣

(٢) العماء عند الصوفية « هو الحضرة الأحدية ، وهذه تتعين بالتعين الأول لأنها محل الكثرة وظهور الحقائق والنسب الأسمائية » جامع الأصول مادة العين .

(٣) نصب لفظ الجلالة باعتباره خبراً لكان ، فيكون معنى الجملة « المهاجر من مكة كان هو الله » .

(٤) يجعلها القاشانى ثلاثاً فقط « الفردية وهى حالة وجود الذات الإلهية فى عين الجمع حيث كانت ، ولم يكن معها شىء ثان ، الثانية حضرة الوترية وهى حال بقائها بعد فناء كل شىء فى مقام الجمع ، الثالثة حضرة المعية وهى حالة وجودها مع كل شىء فى عالم التفرقة ، والأولى ماوردت الصفات منها ، والثانية ماصدرت إليها ، والثالثة ماوردت إليها ثم صدرت عنها » كشف الوجوه الغر ص ١٣٣

(٥) ص ٢ مجموعة الأحزاب ط استامبول سنة ١٢٩٨ هـ

الله ، وتأمل دهاء مكره ، فيما يعبر به عن كفره ، فى قوله : « المهاجر من مكة كان الله ولم يكن معه شيء ثان إلى المدينة » إنك حين تقرأ تلك الجملة دون تدبر ستظن أن فيها خللا ، وأن جملة « كان الله ، ولم يكن معه شيء ثان » لا صلة لها بما قبلها ، ولا بما بعدها ، وأعترف أنى خُدِعْت ، فظننت أن هذه الجملة مقحمة ، وحرت فى إدراك هدف ابن عربى من وضع تلك الجملة التى تبين عن حق كريم بين باطل عربيد وآخر لئيم ! بيد أنى عدت إلى النص أتلوه ، وفى فكرى دين ابن عربى ، وثَمَّتَ بدالى هدفُه فى وضح وجلاء ، وتبين لى أن الجملة ليست مقحمة ، وإنما هى لحمة دينه وسداه ، فَلْنَعُدْ إلى الجملة نرتبها كما تحتم قواعد اللغة الصحيحة « المهاجر من مكة إلى المدينة كان اللهَ ، ولم يكن معه شيء ثان » مازدنا شيئاً على قوله ، ولا نقصنا منه ، وكل ما فعلناه هو وضع قوله : « إلى المدينة » موضعه ، بعد أن نأى به ابن عربى عنه ؛ ليمكر به ، ويلتوى على القراء فهمه ! بهذا يبدو لك جَلِيًّا أن ابن عربى يفترى أن المهاجر من مكة إلى المدينة لم يكن هو محمداً رسول الله ، وإنما كان هو الله متجليا فى صورةٍ اسمُه فيها « محمد »

ولا ريب فى أنك تعرف أن صاحب الرسول فى الهجرة كان أبا بكر غير أن ابن عربى يقول : « ولم يكن معه شيء ثان » يعنى أن أبا بكر هو الآخر لم يكن إلا الله متعينا فى صورة اسمه فيها : « أبو بكر » ! .

ومات محمد صلى الله عليه وسلم ، ومات من بعده أبو بكر ! فَأَىُّ إله هذا الذى يتجرع غصة الموت مرتين ؟ بل ما ذلك الإله الذى يموت ويحيا فى كل لحظة آلاف المرات ؟ ! .

لقد دانت الصوفية بأن الرب الأكبر هو عين خلقه ! وفى كل لحظة يعبر بها الوجود تفنى حياة ، وتنبثق حياة ، فياللصوفية ! يعبدون رباً يموت آلاف المرات ، ويولد آلاف المرات فى آنٍ واحد ! .

ومحمد الصوفية له مظهران ، أو اعتباران ، فهو عبد أو خلق باعتبار ظاهره ،

وهو رب أو حَقٌّ باعتبار باطنه ، ولهذا يصفه ابن عربي ـ باعتبار ظاهره ـ بأن له العبودية ويصفه ـ باعتبار باطنه ـ بأنه له الربوبية ! . يصفه بأن له الإمكانية باعتبار ناسوته ، وبأن له الوجوبية ، باعتبار لاهوته ! .

والنابلسي في شرحه لصلاة ابن بشيش يقول : « ما صلى على محمد إلا محمد ، لأن صلاة العبيد عليه ، صدرت منهم بأمره من صورة اسمه[1] » .

كَرَّةٌ من الحق على البـــــاطل

أما محمد خاتم النبيين ، صلى الله عليه وسلم ، فيهدينا الله إلى حقيقته بقوله : (٣ : ١٤٤ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإنْ مات ، أو قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم ؟) . في قوله سبحانه « قد خلت من قبله الرسل » حجة من الحق تزهق الباطل الصوفي كله .

وأما اعتقاد المسلمين في نبيهم الحق ، فهو أنه صلى الله عليه وسلم « بشر مثلنا يوحى إليه » فالقرآن ـ وهو كلام الله وهداه ورحمته ـ يفرض عليهم الإيمان بذلك ، فلا مناص من الإخبات له بالقلب والفكر والشعور ، ويزيدنا القرآن هدى ؛ إذ يقرر أن بشرية الرسول الأعظم مثل بشريتنا ، في أسلوب من القول مشرق الإعجاز في بلاغة البيان وفصاحته ، في أسلوب يفرض على الفكر الإيمان بمعناه البيّن دون أن يشتبه معناه الحق حتى على الأمي الجاهل ، وذلك في قوله (١٨ : ١١٠ قل : إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلَيَّ أنما إلٰهكم إلٰهٌ واحد)

كلام هو الحق والحكمة والهدى في أسلوب جَلِيّ جلي محكَم محكم ، لا يأذن حتى لخاطرة واهية من ظنٍ أن تقتحم عليك قُدْسَ يقينك ، أو أن تحوم خُفْيَةً حوله أو تفسد عليك شيئاً ما من فهمك لمعنى الآية . ومن تدبر « بشر مثلكم » لرأى أشعة الهدى الإلٰهي الأعظم تغمر حوله الوجود كله ، وتهديك إلى الحق الذي

(١) ص ٥٥٧ مجموع الأحزاب ط استامبول .

يجب أن تؤمن به . ألا تراها تجعل بشريتنا هى المقياس الذى به نَقيس بشرية رسول الله الكريم ، حتى لا يفتننا حب هذه البشرية الطهور ، فنظنها خلقاً آخر ، أو نوعاً من البشرية يغاير فى حقيقته بشريتنا ، فلا ندرك كنهها ، ولا شيئاً من خصائصها ؛ لأنها لم تتحقق إلا فى فرد واحد ؟ لقد كان يكفى فى الدلالة على المعنى أن يقال : « قل : أنا بشر » أو « أنتم بشر مثلى » ولكنه سبحانه ـ وهو الحكيم العليم الخبير ـ شاء أن يعرفنا بشرية محمد صلى الله عليه وسلم بما نعرفه نحن من خصائص هذه البشرية التى فطرنا عليها ، وبما نبتليه من قِيَمِها وَمُقَوِّمَاتِها ، وبما نعالج من غرائزها وعواطفها [1] ، وبما نعلمه ـ عن الله ـ من حقيقة بدئها . وغاية منتهاها ، وبما تتجاوب به مع رُوَّاد الوجود من حب أو كراهية . ولذا طعم صلى الله عليه وسلم ، وشرب ، وتزوج ، ونَجَلَ خير البنين . وذاق الشبع والجوع والمرض ، ومست قلبه الأحزان ، وذرفت عيناه الدموع ، وجاشت نفسُه برحمة البكاء ، وغير ذلك مما قضاه الله على البشرية من أقدار فى هذه الحياة ، ثم جاءه صلى الله عليه وسلم مَلَكُ الموت الذى وُكِّلَ بنا .

غير أن بشريته صلى الله عليه وسلم آمنت حق الإيمان بما هداها الله إليه ، وأنعم عليها به ، فأدت حق الله كاملا من الحق والشكر ، وحلّقت فوق قمة السمو الإنسانى الأعظم ، فكانت وحدها هى النجم الأرفع الأسمى ، وَتَأَلَّقَتْ بعبوديتها الخالصة فوق أعلى أفق للتوحيد الخالص ، فما زلَّت بها عاطفة لإثم ، ولا هفت بها غريزة إلى ذنب ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم اتخذ الله وحده ربّاً له ، وجعل رضاه غايته والدعوة إليه هدف كفاحه وجهاده . والغاية العظمى لدنياه ، والفلك الأعظم الذى تدور فيه حياته .

ثم تدبر ما حكم الله به على المشركين الذين قالوا : (٢٥ : ٧ ما لهذا الرسول

---

(١) غرائز البشرية الصالحة وعواطفها نفس غرائز البشرية الطالحة وعواطفها فى الفطرة والفرق أن صاحب الأولى وجهها وجهة الخير ، ووجهها الآخر وجهة الشر

يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق) إنه جل شأنه حكم عليهم بأنهم ضلوا فلا يستطيعون سبيلا ! لتعلم أن هذا الذى استنكره المشركون ليس إلا قدر الله العدل الحكيم الذى قضاه على البشرية ، وقسطاً من أقساطها فى الوجود . وأنه لا يمس مقام النبوة بأثارة من ضِعَة ، إذ النبى ـ قبل كل شىء ـ بشر ، والبشر يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ! .

وتدبر ماوصف الله به رسله جميعاً (٢١ : ٩ وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين) (٢٥ : ٢٠ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ، ويمشون فى الأسواق) تدبر هذه الآيات ؛ لترد بها فرية الوثنية التى تزعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم نجم الحياة الأبدية الخالدة فى الدنيا ، وأن فضلاته كانت مقدسة طاهرة وَإِشْعَاعاً من أضواء الرَّبَّانِيَّة ! .

لماذا ـ إذن ـ كان يتوضأ صلى الله عليه وسلم ، ويتيمم ، ويغتسل ؟ .

وتدبر خطاب الله لنبيه (٣٩ : ٣٠ ، ٣١ إنك ميت ، وإنهم ميتون) ذِكرَ موتنا عقب ذكر موته ؛ لنهتدى إلى أن الموت الذى قُضِىَ علينا هو عين الموت الذى قُضِىَ على نبيه صلى الله عليه وسلم ! ورغم هذا ـ على مافيه من وَضَحٍ وجلاء ـ وجد من يزعم أن موت محمد معناه الحياة السرمدية ، وُجِدَ من يضع للفظ نقيض معناه ، أو يضع للفظ إسفاف الشهوة من هواه ! .

يقول الصوفية : « إنه صلى الله عليه وسلم يحضر كل مجاس ، أو مكان أراد بجسده وروحه ، وأنه يتصرف ، ويسير حيث شاء فى أقطار الأرض وفى الملكوت ، وهو بهيئته التى كان عليها قبل وفاته ، لم يتبدل منه شىء[1] » .

وتدبر تلك الآيات التى يعاتب الله فيها سبحانه نبيه : (١٧ : ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ وإنْ كادوا لَيَفْتِنُونَكَ عن الذى أوحينا إليك ؛ لتفترى علينا غيره ، وإذاً

(١) ص ٢١٩ ج ١ كتاب رماح حزب الرحيم لعمر بن سعيد الفوتى ط ١٣٤٥

لاتَّخَذُوكَ خليلا ، ولولا أن ثَبَّتْنَاكَ ، لقد كِدْتَ تركن إليهم شيئاً قليلا ، إذاً لأذقناك ضِعْفَ الحياة وضِعْفَ الممات ، ثم لا تجد لك علينا نصيراً) .

وَعِيدٌ جليل الـكبرياء ، أَحَدِيُّ القهر والجبروت ، أفتدرك منه وعيدَ رَبٍّ لمثـله ، أو لنفسه ، أم وعيد قادر قهار متعال له ملـكوت السموات والأرض لأشرف عباده ، وخاتم رسله ؟ ! أفلو كان محمد ربًّا يشرك الله فى ربوبيته وإلٰهيته ـ كزعم الصوفية ـ أكان يبتليه الله بمثل ذلك الوعيد الذى يغمر النفس خشيةً ورهبة ، ويقهر عبوديتها قهر الرضى والحب على أن تُخْبِتَ لله وحده ، وعلى ألاَّ تتعدى حدوده قَيْدَ لحظة ، أو خاطرة ! ؟ .

وهل أشد على نفس المؤمن من أن يتوعده الله بفقدان النصير ، وبعذاب يتجرعه ضعف الحياة ، وضعف الممات ؟ ! .

أفى قضايا العقل ـ ودينكم يؤمن بربوبية محمد ـ أن يتوعَّد الربُّ نفسه ، وينذرها بعذاب الحياة والموت تصلاه ضعفين ، وبالوحدة الصَّمَّاء تقتل فى النفس الشعور بالحياة ؟ ! .

أشرف صفات الرسول فى أشرف مقاماته

والله سبحانه يصف رسوله بأشرف الصفات ـ وهى العبودية ـ فى أشرف مقاماته ، وأخلدها ذكرا ، وأجلها أثرا وغاية (١٧ : ١ سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) يصفه ربه بالعبودية الصرفة الخالصة وحدها فى تلك الليلة التى استشرف فيها قِمَّة السُّمُوِّ الأعظم ، وتألَّقت أمجادُه الخوالد الذكريات . آه لو قيل : « أسرى بمحمد » فحسب ، إذَنْ لراح الصوفية يثيرون ما يفتنون به من شبهات لا تجد من اللفظ النورَ القوى الذى يبددها ، إذَنْ لآ لَوْا أن محمداً لم يكن بشراً ، ولا عبداً ، وإنما كان روحاً إلٰهياً سُخِّرت لقدرته الآفاق ، وعُبِّدت لقهره مُتُونُ الفضاء ، فجاءت كلمة « عبده » فى الآية حجة

الحقّ المتلألئة التي تبيد الظنون ، وتبدد كل شبهة تختلس الفتنة للعقول بأوهامها .

جاءت برهاناً رَبّانياً ـ لا ينقض أبداً ـ على أن محمداً صلى الله عليه وسلم ، ما كان إلا بشراً يُوحَى إليه ، حتى فى تلك الليلة التى وقف فيها دون عرش ربه الأعظم ، يقبس من نور الله وهداه ، فما بالك به فى كل أصائل عمره وعشاياه ؟! .

ويصفه سبحانه بالعبودية فى مقام الدعوة إليه (٧٢ : ١٨ وأنه لما قام عبد الله يدعوه ، كادوا يكونون عليه لِبَدًا) وتدبر إضافة « عبد » إلى « الله » ليغمرَ يقينُ الحق قلبك ، فلا يشتبه عليك الفرق الجليل العظيم الكبير بين عبودية محمد وربوبية ربه وألوهيته ، ولا تفتنك مجوسية الصوفية تبهت الحق بزعمها أن محمداً هو الله ! !

ويصفه سبحانه بالعبودية فى مقامٍ هو الْفَيْصَل الحق الأكبر بين كون محمد دعياً ، وكونه نبياً ، ذلك هو مقام التحدِّى بالمعجزة العظمى ، معجزة القرآن (٢٣:٢ وإن كنتم فى رَيْبٍ مما نزّلنا على عبدنا ، فأتوا بسورة من مثله) .

والرسول نفسه يضع لنا على الطريق صُوًى ومنارات ؛ حتى لا نحيد عنه ، فنهلك ، ويرشدنا إلى الحق ؛ حتى لا تزيغ بنا غلواء الشاعرية فى الحب ، فيقول صلى الله عليه وسلم : « لا تطرونى ، كما أطرت النصارى المسيح بن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » ويدوِّى صوته الأخاذ الرائع بصيحة الحق ، يعظ بها ذلك الصحابى الذى جرفه غلو الحب ، فقال لنبيه : « أنت سيدنا ! » فصاح به ؛ ليصمت ، ثم أرسلها تعبر الأجيال والأحقاب والدهور عظةً شافية هادية « إنما السيد الله تبارك وتعالى [1] » فما إن تهامست تحت قبة الفلك الأصداء الراعشة الخافتة الواهنة المذعورة من قَوْلة الصحابى ، حتى تجاوبَ الوجودُ كله بِدَوِىِّ الصيحة الهادية من الرسول ، تحول بين الأخرى وبين أن تطمئنَ

---

(١) عن حديث رواه النسائى بسند جيد .

فى سمع ، أو تهز وتراً من قلب ، وما زالت قلوب المؤمنين تتجاوب بعظة محمد العظيم فى حب و إجلال . فصلى الله عليه وسلم .

وفى الصلاة — وهى شعيرة الحب العابد — علمنا الرسول عن أمر ربه أن نشهد أن محمداً عبد الله ورسوله ، ولـكن الصوفيـة تأبى إلا أن تدين بأن ذلك الحق باطل وخطيئة ، فتكذب الله ورسوله ، وتقول : لا بل محمد هو الرب الأعظم !

وفى حديث الشفاعة يقص علينا الرسول صلى الله عليه وسـلم أن عيسى عليه السلام — وقد ناشده الخلق أن يستأذن ربَّه فى أن يشفع لهم عيسى عنده — يقول : « اذهبوا إلى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » ولـكن الصوفية تأبى إلا اتهام عيسى بالحقد على محمد ، وجحود فضله ، فتقول : لا ، بل هو رب نعبده ، ونضرع إليه أن يهب لنا ما يملـكه الله وحده ، فيهتف الصوفيـة حتى يصكوا سمع الصخر — إن كان له سمع — : « الشفاعةَ يا محمد » !

تدبر ما ذكرتك به من آيات الله ؛ لتؤمن أن محمداً صلى الله عليه وسـلم ، لم يبلغ مابلغ من عظمة وكمال وسمو إلا بإخلاص الدين لله وحده ، وأنه كان بشراً يوحى إليه ، لا الله ، ولا شريكه كما تفترى الصوفية !

آراء المستشرقين (١)

ومما يلوع النفس بالحسرة ، والقلب بالأسى أن يدرك المستشرقون — على عداوتهم للإسلام — هذا الحق ، ويظل الصوفية — ومنهم أحبار كبار يختالون أنهم أئمة الإسلام — مصرين فى جحود أصم على عداوة ذلك الحق . يقول نيكلسون : « إذا بحثنا فى شخصية محمد ، فى ضوء ماورد عنه فى القرآن من آيات ، وما أثر عنه من الحديث فى الصدر الأول ، وجدنا الفرق شاسعاً بين الصورة التى صُوِّر بها فى

(١) لا أذكر رأى هؤلاء احتجاجاً به ، وإنما هو لبيان أن هـذا الحق ، قد أدركه هؤلاء المستشرقون على عداوتهم ، فقرروه . على حين يعاديه الصوفية ويكفرون به .

ذلك العهد ، و بين الصورة التى صَوَّر بها الصوفية أولياءهم ، أو تلك الصورة التى صور بها الشيعة إمامهم المعصوم . وظهر من المقارنة أن صورة شخصية الرسول لاتَفْضُل عند الموازنة صورة الولى الصوفى ، أو صورة الإمام الشيعى ، إن لم تكن دونهما ، ذلك أن الولى الصوفى والإمام المعصوم ، قد وصفا بجميع الصفات الإلهية ، بينما وصف الرسول فى القرآن بأنه بشر فيه كل ماللبشر من صفات ، وأنه ينزل عليه الوحى من ربه بين آن وآخر ، ولكنه لايتلقاه مباشرة عن الله ، بل بواسطة الملَك ، وأنه لم ير الله قط ، أو يطلع على أسراره ، وأنه لايتنبأ بالغيب ، ولا يفعل المعجزات ، أو خوارق العادات ، بل هو عبد من عباد الله ورسول من رسله [1] »

ثم يتحدث الرجل عن محمد عند الصوفية ، فيقول : « فمحمد إذن ليس المصدر الذى يستمد منه جميع الأنبياء والأولياء علمهم بالله ، فحسب ، بل هو الحقيقة الإلهية السارية فى الوجود بأسره ، كما أنه العلة الأولى فى خلق كل ماهو مخلوق ، والعقل الكلى الذى يصل مابين الوجود المطلق « الله » و بين عالم الطبيعة ، وليس العالم إلا صورة الحقيقة المحمدية ، كما أن الحقيقة المحمدية ليست إلا صورة الله [2] »

ويقول جولدزيهر : « إن صورة النبى كما صورتها السنة ، قد أصابها التعديل والتحوير ، لكى تتلاءم مع تقديس الأولياء ، حتى نجم عن ذلك أن العقائد الشعبية ، وضعت صورة للنبى تتعارض تماماً مع البيانات البشرية التى صَوَّر بها القرآنُ والسنة مؤسسَ الإسلام الأول [3] » .

ويقول هنيرش بكر : « من الثابت أن الغنوص قد أثر فى إيجاد هذه الصورة

---

(١) ص ١٥٨ فى التصوف الإسلامى ترجمة الدكتور عفيفى .

(٢) ص ١٦٠ المصدر السابق .

(٣) ص ٣٣٤ العقيدة والشريعة لجولد زيهر .

التى صورتها العصور الوسطى الإسلامية المتأخرة لمحمد، وكان سبباً فى إيجاد مايشبه عبادة محمد، وهذه العبادة، وتلك الصورة مخالفتان لما كان عليه الإسلام الأول كل المخالفة، أما أولياء الله فى الإسلام، ففى مقابل الأرواح القدسية فى الهلينية «هم الكائنات الروحية الوسيطة بين الذات الإلهية و بين المادة عند الغنوصية» حتى أن محمدا - وهو نموذجهم الأعلى - ينتهى بأن يصبح هو العقل الموجود منذ الأزل، وأن يكون الرحيم المُخَلِّص القدير، وعن طريق هذا المذهب، انقلبت فكرة الوحى التى كانت موجودة فى الإسلام الأول إلى ضدها[٢]».

ويقول فيليب حتى: «والعقيدة الثانية فى باب الإيمان هى أن محمداً رسول الله، وخاتم النبيين، وفى علم الإلهيات القرآنى ليس محمد إلا بشراً لم يتم الله على يده من العجائب غير إعجاز القرآن، إلا أن التقاليد والأساطير التى اصطنعتها العامة، من بعد، نسجت حول هامة الرسول هالة من النور الإلهى[٣]» وهكذا يدرك يهود ومسيحيون حقائق من الإسلام يتعامى عنها أحبار الصوفية، لقد تجرد أولئك المستشرقون قليلا من التجرد، ولكنهم فهموا كثيراً من الفهم الصائب، فوصفوا الحق ببعض صفاته، ولولا أنك على بينة من عقائدهم الأسطورية الباطلة، لظننتهم فى قولهم هذا مسلمين يتهجدون فى المحاريب فى نور من القرآن!.

أو يرضيك أن يصدع بذلك الحق، قوم لم تلن قلوبهم لدين الحق، وأن يسجد الصوفيون للباطل، يعبدون خرافاته، و يمجدون أساطيره، و يزعمون أنهم أئمة الدين وأعلامه ؟!.

لقد تزعمت ياسماحة الشيخ هذه الجماعة التى دوَّخها الباطل، فهلاَّ ذكَّرتهم

---

(٢) ص ١٢ التراث اليونانى ترجمة الدكتور بدوى.

(٣) ص ١٧٧ ج ١ تاريخ العرب العام لفيليب حتى.

بهدى الله ، وجاهدتهم ؛ لتحملهم عليه ، فيؤمنوا به ، وتخبت له قلوبهم ؟!

كل شيء من نور محمد

بهذا يدين الصوفية ، وفيه يتغزلون ، ولقد عبر الدباغ عن هذه الأسطورة إذ يقول : « اعلم أن أنوار المكونات كلها من عرش وفرش وسماوات وأرضين وجنات وحجب ، وما فوقها ، وما تحتها إذا جمعت كلها ، وجدت بعضا من نور النبي ، وأن مجموع نوره ، لو وضع على العرش ، لذاب ، ولو وضع على الحجب السبعين التى فوق العرش ، لتهافتت ، ولو جمعت المخلوقات كلها ، ووضع ذلك النور العظيم عليها ، لتهافتت ، وتساقطت[1] » .

ويقول تيجانى : « لما خُلِق النور المحمدى ، جمع فى هذا النور المحمدى جميع أرواح الأنبياء والأولياء جميعا جمعاً أحَدِياً ، قبل التفصيل فى الوجود العينى ، وذلك فى مرتبة العقل الأول[2] » .

ويقول الحلوانى فى قصيدته « المستجيرة » يخاطب رسول الله .

أنشاك نوراً ساطعاً قبل الورى ... فرداً لفرد ، والبرية فى العدم
ثم استمد جميع مخلوقاته ... من نورك السامى ، فياعظم الكرم
فلذا إليك الخلق تفزع كلهم ... فى هذه الدنيا ، وفى اليوم الأهم
وإذا دهتهم كربة فرجتها ... حتى سوى العقلاء فى ذاك انتظم
جُدْ لى ، فإن خزائن الرحمن فى ... يدك اليمين ، وأنت أكرم من قسم[3]

والله تعالى يقول : (٢٣ : ١٢ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين) ، ومحمد صلى الله عليه وسلم إنسان . وإلا فليأتوا

---

(١) ص ٨٤ ج ٢ الإبريز .

(٢) ص ١٤ ج الرماح لعمر بن سعيد .

(٣) ص ١٤ وما بعدها من رسالة لأحمد عبد المنعم الحلوانى .

له بصفة أخرى ! والرسول نفسه صلى الله عليه وسلم يقول : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم[1] » .

تحدث الرسول عن النور ، وعمن خلق منه ، فلم يذكر عن نفسه أنه خلق من نور ، كما ذكر عن الملائكة ، وتحدث عن آدم الأب الأول للبشرية ، وعن خلقه ، وأنه خلق مما ذكر الله فى القرآن ، يعنى من طين لازب ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ابن آدم ! ، فلمن تنتسب الحقيقة المحمدية الصوفية ؟! .

وفى كتاب الله آية واحدة تدك وحدها كل مايوفض إليه الصوفية من نصب أقاموها لهذه الأسطورة ، تلك هى قوله سبحانه لنبيه (٣ : ١٢٨ ليس لك من الأمر شىء) وكلمة شىء أوسع كلمة فى العربية دلالة على العموم والشمول ، حتى أطلقها بعضهم على الموجود والمعدوم ، بل يعمم ابن عربى دلالتها ، حتى يجعلها تتناول الصور الذهنية ! وفوق هذا جاءت كلمة « شىء » نكرة فى سياق النفى فزاد عمومها وشمولها .

وتدبر قوله سبحانه : (٤٦ : ٩ قل : ما كنت بِدْعاً من الرسل ، وما أدرى مايُفْعَل بى ، ولا بكم ، إن أتَّبِع إلا مايوحى إلىَّ ، وما أنا إلا نذير مبين) .

فهل يدين الصوفية فى الرسل جميعاً بما يدينون به فى محمد ، إذ ليس هو « بِدْعًا من الرسل » ؟!

وتدبر قوله سبحانه لنبيه : (٧٢ : ٢١ ، ٢٢ قل : إنى لاأملك لكم ضرًّا ، ولا رَشَدًا ، قل : إنى لن يجيرنى من الله أحد ، ولن أجد من دونه مُلْتَحَدا) .

هذا هو هَدْى القرآن ، فقارن بينه ، و بين مافترته الصوفية من إفك حول النور المحمدى الذى خلق منه كل شىء !! وثَمَّتَ توقن أنه ليس فى الإمكان

---

(١) مسلم وأحمد فى مسنده عن عائشة رضى الله عنها .

ـ حتى فى النادر المعجز منه ـ إيجادُ نسبٍ مابين ماهدى الله إليه و به من الحق ، و بين ماضل به الصوفية ، وأضلوا خلقاً كثيرا .

تدبر قول الله تجد الهدى فى إشراقه ، والحق فى جلاله والحكمة فى نورها الإلهى ، وتأمل إفك الصوفية ، تجده قيئاً من الكفر المتقيِّح !!

أكان محمد يعرف القرآن قبل نزوله ؟

مما تأفكه الصوفية أن جبريل عجب حين رأى محمداً يتلو القرآن قبل أن يعلِّمه إيَّاه !! فسأل جبريلُ ، فأجابه النبي : ارفع الستر مرَّةً حين يُلقي إليك الوحيُ ، ففعل جبريل ، فرأى محمدا هو الذى يوحى إليه ، فصاح مُسبِّحًا : منك ، و إليك يامحمد ؟ ! !

ومازال يهذى بهذه الأسطورة فى الرحاب الفساح من الأزهر رجل لاعمل له سوى إثارة الحرب مؤرِّثة الأحقاد على الكتاب والسنة !!

و يتناقل هذه الأسطورة صوفى عن صوفى فى كل حمأة وثنية ، أو حانة صوفية . ولم لا ؟ وقد فحَّ بهذه الفرِية أفعوان الصوفية الأكبر ابن عربى ؛ إذيقول مفسراً قول الله سبحانه (٢٠ : ١١٤ ولاتَعْجَلْ بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وَحْيُه) : « اعلم أن رسول الله أُعْطِى القرآن مُجْمَلاً قبل جبريل من غير تفصيل الآيات والسور ، فقيل له : لاتعجل بالقرآن الذى عندك قبل جبريل ، فتلقيه على الأمة مُجْمَلاً ، فلا يفهمه أحد عنك لعدم تفصيله (١) » .

ردُّ هذه الفِرْية

و بطلان هذه الفرية بَدَهِيٌ يحكم به مَنْ فى قلبه بارقةٌ من إيمان ، بيد أن غشاوة الصوفية على بصائر مُعْتنِقيها حالت بينها و بين إدراك الحقيقة الإيمانية

---

(١) ص ٦ الكبريت الأحمر للشعرانى على هامش اليواقيت والجواهر ط ١٣٠٧ هـ

الأولى ، وهى أن رب الوجود هو الله وحده لاشريك له ، فَلِم لا تحول بينها وبين إدراك بطلان تلك الفرية ؟! لهذا نذكرك بهَدْى الله سبحانه : (٥٣ : ٥-٧ عَلَّمه شديدُ القوى ، ذو مِرَّةٍ فاستوى ؛ وهو بالأفق الأعلى) . آيات بينات تهديك إلى أن الذى علم رسولَ الله القرآن هو جبريل ، وإلى أنه صلى الله عليه وسلم : لم يكن على علم بشىء مامنه قبل أن يَنْزِل جبريل به عليه .

(٢٥ : ٣٢ ، ٣٣ . وقال الذين كفروا : لولا نُزِّل عليه القرآنُ جملةً واحدة كذلك لِنُثَبِّتَ به فؤادك ورتلناه ترتيلا ، ولا يأتونك بمثل ، إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) .

ويقول ابن عربى أنه نزل عليه جملة واحدة ، فقوله قول الكافرين !! ومن قوله سبحانه (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) نؤمن بأن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يعلم بآية ما من كتاب ربه إلا فى ليلة القدر ، فمتى علم الرسول القرآن مجملا ؟ أقبل ليلة القدر ، أم بعدها ؟ ومن عَلَّمه إياه مجملا ؟ أجبريل ، أم غيره ؟ ائتونى بأثارة من علم ، إن كنتم صادقين . ويهب الله للحق برهاناً تنجاب به كلُّ ريبة : (٤٢ : ٥٢ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ، ما كنتُ تدرى ما الكتاب ، ولا الإيمان) أيفهم الصوفية ، أم هى اللجاجة فى العناد ؟ (١٠ : ١٥ ، ١٦ . وإذا تُتْلى عليهم آياتنا بينات ، قال الذين لايرجون لقاءنا : إئت بقرآن غير هذا ، أو بَدِّله ، قل : مايكون لى ن أُبَدِّله من تلقاء نفسى ، إن أَتَّبِع إلا مايُوحَى إلىَّ ، إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم ، قل : لوشاء الله ماتلونه عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمراً من قبله ، أفلا تعقلون ؟) .

وفرية الصوفية تناقض هذه الحجة الإلٰهية على صدق محمد .

أولا يذكر الصوفية أن رسول الله حين فجأه الوحىُ ، كان يقول — وجبريل يغطه : « ماأنا بقارىء » ؟ !

وأنه عاد إلى زوجه الطيبة الطهور فى خوف وقلق ، وأن هذه المؤمنة العظيمة

قالت له قَوْلتَهاَ التى طَيَّبها الإيمانُ بروحانيته « والله لايخزيك الله أبدا »

أفكان يحدث هذا ، أو بعضه ، لو أنه صلى الله عليه وسلم ، كان على بينة من القرآن ، قبل نزوله عليه ؟ لم قال : ماأنا بقارىء ؟ يكررها ثلاثاً ؟ لم عاد خائفاً حتى زمَّلُوه ودَثّروه ؟ لم بَثَّ ذات نفسه إلى زوجه خديجة ، ولم ذهب معها إلى ورقة ابن نوفل ؟! كل هذا حدث منه صلى الله عليه وسلم حتى بعد نزول الوحى عليه !! أهذه دلائل علم سابق بالقرآن ، ويقين جازم به قبل نزول جبريل عليه به فى ليلة القدر ؟ ، أم دلائل مشاعر نفس مؤمنة تقية ، فجأها من الله سبحانه ، مالم تكن تدريه من قبل ؟ !

واهاً للصوفية !! تبصر نور الشمس يتوهج ، فتقول ياللظلام الدامس !! كبعض الطير يعشيه النهار !!

ولقد كان أعداء الرسول يسألونه مُحْرِجين مُتَعنّتين ، يبتغون تكذيبه ، والتجديف عليه ، فلم يكن يجيبهم بشىء ـ لأنه لايعرف الجواب ـ عماسألوه عنه ، إلا بعد أن ينزل جبريل عليه به . سألوه عن الروح ، وعن فتية الكهف ، وعن ذى القرنين ، فقال صلى الله عليه وسلم : غدا أجيبكم !! وأنساه حرصه النبيل على إقامة الحجة عليهم وهدايتهم ، فلم يقل : إن شاء الله ، ففتر عنه الوحى حتى حَزَبه الأمرُ ، وبلغت به الشدة مبلغها ، ولم لا ؟ وعدُوُّه مُتَرَبِّصٌ به ، حريص على تكذيبه ، وعلى أن يثير الشبهات حول رسالته ، ورغم هذا يفتر عنه الوحى !! ثم مَنَّ الله عليه به ، فعلم عن الله جواب ماسألوه عنه فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لجبريل : « لقد رِثْتَ علىَّ ، حتى ظن المشركون كل ظن » فنزل قوله تعالى : (١٩ : ٦٤ وما نتنزَّل إلا بأمر ربك[١]) أفكان يحدث هذا ، لو أن رسول الله ، كان على بينة من القرآن قبل نزوله ؟ لماذا لم يجب مَنْ سألوه ؟ لأنه لم يكن يعرف الجواب ، ولكن ابن عربى يكفر بكل تلك الدلائل ، ويفترى

(١) انظر تفسير ابن كثير فى هذه الآية .

أسطورته ، فتَوُجُّ فى الصوفية كالفار فى الهشيم ، وتنتشر كالوباء الفتّاك ، وتظل دينا يكتبه الشعرانى ويهرف به حمقى الصوفية !!

وعذرنا فى إطالة الرد على هذه الفرية أنها دين قوم يحسبون على الإسلام ، ومن أئمته ، ومازال عَدُوُّ ربه « فلان » ينعب بها حتى اليوم فى رحاب الأزهر ، يضج بها نعيبُه ، والمؤذن يقول : الله أكبر !!

تعالوا إلى كلمة سواء

فما رأى صاحب السماحة فى تلك الوثنيات ؟ ألا يذكى فى نفسك الحسرة ، وفى أعماق قلبك السعير ، أن ترى الصوفية تبهت الحقَّ بما لم يَبْهَتْهُ به إلحادٌ من قبل ، وتجحد به جحوداً ، ليس كعناده عناد ، ولا كبغيه بَغْىٌ . لا تدعْ رُعْبَ القلق يعصف بك ، فيقلب على السهد جنبيك بحثا عن كيد تكيد لنا به ، بل (٣ : ٦١ تعالَوْا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألاَّ نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) .

نحب أن نحتكم إلى الكتاب والسنة . لا تقولوا : قال فلان ، فما أذكركم إلا بقول الله . اذكروا ابن عباس حبر هذه الأمة ، وهو يقول لمن جادله بقول نسبه إلى العمرين : « يوشك أن ينزل الله عليكم ناراً من السماء ، فتحرقكم أ أقول لكم : قال الله . وتقولون لى : قال أبو بكر ، وقال عمر ؟ » فاحذروا أن يقع بكم ما أشفق منه ابن عباس على مجادليه ، واختر يا سماحة الشيخ للمحاجَّة أى مكان تشاء ، ولن أقول لك قبلها : أنا المصيب ، وإنما أقول لك ما علمه الله لنبيه — وهو الذى ملأ الله قلبه باليقين الثابت والهدى والحق — (٣٤ : ٢٤ وإنا ، أو إيَّاكم ، لعلى هدى ، أو فى ضلال مبين) .

أما أن تشكو منا إلى النيابة — ولها احترامها — فهو فرار جبان من صدمة الحق ، وعجز ذليل فى الدفاع عن الرأى ، ولا نرتضى — رغم ما صنعت بنا — أن تَمَسَّك ريبةٌ من تلك النقائص ، وأنت العالم الكبير الذى تولى من قبل الخطير الكبير من مناصب الأزهر ! .

الفصل الرابع

وحدة الأديان

آمنت الصوفية بأن الله سبحانه هو عين خلقه ، هذه الأسطورة ـ أسطورة وحدة الوجود ـ استلزمت عند الصوفية الإيمان بوحدة الأديان سواء منها مانسجته عناكب الأوهام ، وافترته أساطير الخيال ، وفارت به الشهوات ، أو ما أوحاه الله إلى رسله ، ولهذا آمن الصوفية سلفهم وخلفهم بأن الإيمان والتوحيد عين الكفر والشرك ، و بأن الإسلام على هداه وقدسه ، عين الدين المجوسى فى ضلاله ورجسه

دين ابن عربى

وكعهدك بى أذكرك بما اختلقوه من إفك حول تلك الأسطورة ؛ ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا مَنْ حَيَّ عن بينة .

يقول ابن عربى :

عقد الخلائق فى الإله عقائدا ... وأنا اعتقدت جميع ما عقدوه[١]

و يقول :

لقد كنتُ قبل اليوم أنكر صاحبى ... إذا لم يكن دينى إلى دينه دانى
لقد صار قلبى قابلا كل صورة ... فَمَرْعى لِغزْلانٍ ، وديرٌ لرهبان
و بيتٌ لأوثانٍ ، وكعبةُ طائف ... وألواحُ توراةٍ ، ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنَّى توَجَّهَتْ ... ركائبُه ، فالدين دينى و إيمانى[٢]

و يحذر ابن عربى أتباعه أن يؤمنوا بدين خاص ، و يكفروا بما سواه ، فيقول: « فإياك أن تتقيَّد بعقد مخصوص ، وتكفر بما سواه ، فيفوتك خير كثير ، بل

---

(١) انظر شرح الفصوص لعبد الرحمن جامى شرح الفص الهودى .

(٢) ص ٣٩ ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق لابن عربى .

يفوتك العلم بالأمر على ما هو عليه ، فكن فى نفسك « هَيُولى [١] » لصور المعتقَدات كلها ، فإن الله تعالى أوسع وأعظم من أن يحصره عَقْد دون عَقْد ، فالكلُّ مُصيبٌ ، وكل مُصيبٍ مأجورٌ ، وكل مأجورٍ سعيدٌ ، وكل سعيدٍ مَرْضِيٌّ عنه [٢] » .

وهذا الدين الأسطورى يستلزم حتما نفى عذاب الآخرة ، فرَبُّ الصوفية فى دينهم كل مشرك وكل موحِّد ، ويستحيل أن يعذب الرب نفسه ، ولهذا يقول ابن عربى :

فلم يبق إلا صادق الوعد وحدَه ... وما لِوَعيد الحقِّ [٣] عينٌ تُعايَنُ
وإن دخلوا دارَ الشقاء ، فإنهم ... على لَذَّةٍ فيها نعيمٌ مُبايِن
نعيمُ جنان الخُلدِ فالأمر واحد ... وبينهما عند التَّجَلِّى تبايُن
يُسَمَّى عَذابا من عذوبة طعمه ... وذاك له كالقشر ، والقشرُ صائن [٤]

وهكذا يوغل ابن عربى إيغالاً سحيقاً فى الغُلُوِّ العجيب من التناقض ، ويكدح شيطانيته ؛ لتبتدع من البدع مايقضى به على بقية الخير اليتيمة من إيمان المسلمين ! لقد آمن بأن الرب عين العبد ، وأن الإيمان صِنْوُ الكفر حقيقة وغاية ، فما الذى يمنعه من الإيمان بأن الوعد عين الوعيد ؟ وأن نعيم الجنة وكوثرها عين عذاب السعير وغسلينها ؟ لم يمنعه شىء ، فصرح كما ترى به ! فأى قضاء على الدين

---

(١) الهيولى لفظ يونانى بمعنى الأصل والمادة ، وفى الاصطلاح الفلسفى هى « ما به الشىء بالقوة ، أو جوهر فى الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال » ، وقد استعملها ابن عربى هنا بمعنى القابل ، أى الذى تنطبع فيه صور المعتقدات كلها ، وينفعل بها ، وتصدر عنه أفعاله طبقاً لمعتقداته المتنوعة .

(٢) ص ١٩١ وما بعدها فصوص الحكم بشرح بالى ط ١٣٠٩ هـ

(٣) يعنى بالوعد النعيم فى الآخرة ، ويعنى بالوعيد عذاب الآخرة . يريد من هذا نفى العذاب مطلقاً فى الآخرة حتى للمشركين .

(٤) ص ٩٤ فصوص ج ١ بتحقيق الدكتور عفيفى .

والأخلاق ، أشد طغياناً من ذلك ، إذا كان العمل الصالح يستوى والعملَ الخبيث ، وإذا كانت الفضيلة عين الرذيلة ، وإذا كان الخيرُ قرينَ الشر ، وما مصير الإنسانية لو أنها آمنت بهذه الصوفية ؟ !

الحكم بنجاة فرعون

ولهذا يحكم ابن عربى بنجاة فرعون موسى ، يقول معقبا على قوله تعالى (قرة عين لى ولك) : « فبه قَرَّت عينُها بالكمال الذى حصل لها ، وكان قرة عين لفرعون بالإيمان الذى أعطاه الله عند الغرق ، فقبضه طاهراً مطهراً ، ليس فيه شىء من الخبث[1] » ويقول عن فرعون أيضاً : « فنجاه الله من عذاب الآخرة فى نفسه ، ونجّى بدنه ، فقد عمته النجاة حِسًّا ومعنى[2] » .

واقرأ بقية ما افتراه فى « الفص الموسوى » من كتابه الفصوص ، ففيه يفضل فرعون على موسى ! .

دين الجيلى

الجيلى يؤمن بوحدة الوجود ، كما بينت لك ، وأنقل لك هنا نصاً يدينه ، ويكشف عن معتقده هذا ، وهو إيمانه بأن الله عين خلقه .

وما الخلق فى التمثال إلا كثلجة ... وأنت بها الماء الذى هو تابع
وما الثلج فى تحقيقه غير مائه ... وغَيْران فى حكم دعته الشرائع[3]
ولكن بِذَوْبِ الثلج يُرْفَع حكمُه ... ويوضع حكمُ الماء ، والأمر واقع

(١) ص ٢٠١ المصدر السابق .
(٢) ص ٢١٢ المصدر السابق .
(٣) تأمل سخريته بالشرائع ، لا لشىء سوى أنها تحكم بالمغايرة بين الخلق والخالق فى الذات والصفات . والجيلى يشبه الوحدة بين الله وخلقه بالوحدة بين الثلج والماء ، فكلاهما عين الآخر ، فالثلج ماء متجمد ، والماء ثلج ذائب ، فالمغايرة بينهما فى الاسم ، لا فى الحقيقة ، كذلك الله وخلقه ، إذ المغايرة بينهما فى الاسم فقط ، كالمغايرة بين الماء فى حال تجمده ، وبينه فى حال ذوبانه .

تَجَمَّعت الأضدادُ فى واحد البها ... وفيه تلاشت،وهوَ عنهن ساطع[1]

ولإيمان الجيلى بوحدة الوجود ، آمن بوحدة الأديان .

وأسلمتُ نفسى حيث أسلمنى الهوى ... ومالِيَ عن حكم الحبيب تنازع

فَطَوْرًا ترانى فى المساجد راكعا ... وإنِّىَ طوراً فى الكنائس راتع

إذا كنتُ فى حكم الشريعة عاصيا ... فإنِّىَ فى علم الحقيقة طائع[2]

ويقول مفسراً لا إله إلا الله : « يعنى الإلهيـة المعبودة ليست إلا أنا ، فأنا الظاهر فى تلك الأوثان ، والأفلاك والطبائع ، وفى كل ما يعبده أهلُ كل ملة ونِحْلة ، فما تلك الآلهة كلها إلا أنا ؛ ولهذا أثبت لهم لفظ الآلهة ، وتسميته لهم بهذا اللفظ من جهة ما هم عليه فى الحقيقة تسمية حقيقية لا مجازية . . . إنه أراد أن يبين لهم أن تلك الآلهة مظاهر ، وأن حكم الألوهية فيهم حقيقة ، وأنهم ما عبدوا فى جميع ذلك إلا هو ، فقال : لا إله إلا أنا ، أى ما ثَمَّ من يُطلَق عليه اسم الإله إلا وهو أنا . . لا إله إلا أنا ، أى ما ثَمَّ إلا أنا ، وكل ما أطلقوا عليه اسم الإله ، فهو أنا[3] » .

هذه الوثنية الطاغية الجاحدة تُبَشِّر بها الصوفية على أنها التوحيد الخالص ، ورَفيفُ الروحانية من قُدُس السماء !

إبليس عند الجيلى

وعجب يدهش منه العجب ، أن ترى الصوفية حَفِيَّة دائماً بتقديس عدو الله ، كفرعون ، وإبليس ، ثم تزعم للناس أن أقطابها أحِبّاء الله وأوِدّاؤه ، وأنهم

(١) ص ٢٣ جـ ١ الإنسان الكامل للجيلى ط ١٢٩٣ هـ

(٢) ص ١٤٣ جـ ١ إيقاظ الهمم فى شرح الحكم لابن عجيبة ط ١٣٣١ هـ

(٣) ص ٦٩ جـ ١ الإنسان الكامل للجيلى ، وتراه يصوب عبادة الأصنام ، وعبادة الأفلاك ، وعبادة الطبيعة ، لأن هذه الأشياء التى عبدت ليست إلا ذات الله متعينة فى تلك الصور ، ومسماة بتلك الأسماء !!

مشارق ألوهية ور بو بية ، وأن لهم القدرة الخلاقة القهارة التى تُسَخِّر الوجود كله لقبضتها الظلوم ! لقد مَجَّد ابنُ عربى فرعونَ ، حتى فضله على موسى كليم الله ، وهاهو الجيلى يمجد إبليس العدو الأول لله وللبشرية !

يقص الله علينا إباء إبليس عن السجود لآدم ، وقوله : « أنا خير منه » فيقول الجيلى : « وهـذا الجواب يدل على أنَّ إبليس من أعلم الخلق بآداب الحضرة ، وأعرفهم بالسؤال ، وما يقتضيه من الجواب » واقرأ بقية خطاياه فى كتابه « الإنسان الـكامل » ؛ لتراه فى إعجابه الرائع بإبليس ، وتقديسه له ، وحكمه بأنه فى الفردوس يوم القيامة ، يقول الجيلى ص ٤٢ جـ ٢ من الإنسان الكامل «لايُلْعَن إبليس أى لايطرد عن الحضرة الإلهية إلا قبل يوم الدين ؛ لأجل مايقتضيه أصله ، وهى الموانع الطبيعية التى تمنع الروح عن التحقق بالحقائق الإلهية ، وأما بعد ذلك فإن الطبائع تكون لها من جملة الـكمالات فلا لعنة ، بل قرب محض ، فحينئذ يرجع إبليس إلى ما كان عليه عند الله من القرب الإلهى .. قيل إن إبليس لما لعن هاج وهام لشدة الفرح حتى ملأ العالم بنفسه ، فقيل له : أتصنع هكذا ، وقد طردت من الحضرة ؟ فقال : هى خلعة أفردنى الحبيب بها لا يلبسها مَلَكٌ مقرب ولا نبى مرسل » هذا نص الجيلى بلفظه !

دين ابن الفارض

يقول فى تائيته الـكبرى :

فبِى مجلسُ الأذكار سَمْعُ مُطَالِعٍ ... ولى حانَةُ الخمار عينُ طليعـة
وماعقدالزُّنَّارَ(١) حُكْماسوى يدى ... و إن حُلَّ بالإقرار بى،فَهْى حَلَّتِ
و إن نار بالتنزيل محرابُ مسجد ... فما بار بالإنجيل هيكلُ بِيْعَـةِ(٢)
وأسفارُ توراة الـكليم لقومه ... يناجى بها الأحبارُ فى كل ليلة

(١) مايشده النصارى على أوساطهم .
(٢) معبد النصارى .

و إن خرّ للأحجار فى البُدِّ[1] عاكفٌ فلا وَجْهَ للإنكار بالعصبية
وما زاغت الأبصارُ من كل مِلَّةٍ وما راغت الأفكارُ من كل نحلة
وما احتارمَنْ للشمس عن غِرَّةٍ صبا[2] و إشراقها من نور إسفار غُرَّتى
و إن عبد النارَ المجوسُ ، وما انطفت كما جاء فى الأخبار فى ألف حجة[3]
فما قصدوا غيرى ، و إن كان قصدهم سواى ، و إن لم يُظْهِروا عَقْد نية

حانات الخمر ، ومواخير الخطايا ، وصَلَوات[4] اليهود ، و بِيَع النصارى وهيا كل المجوس والصابئة ، و بيوت الأصنام ، ومجالس الذكر ، ومساجد الله ، كلها عند ابن الفارض ساح فِساحٌ يُعْبَد فيها الله عبادة يحبها و يرضاها[5] ؛ لأنه المعبود فيها والعابد !! وهذا المشرك العاكف على الأصنام يسجد لصخورها الصُّم ، وهذا الصابىء الساجد فى معبد الكوكب ، وهذا المجوسى يتبتل بضراعته إلى النار ، وهذا اليهودى التائه يريق الدموع على مَبْكاهُ ، و يُؤَجِّج سعير الحقد على الله ، كل هؤلاء عند ابن الفارض على بينة من الهدى والفرقان ، فما هم فى دينه إلا الذات الإلٰهية متعينة فى صور بشرية !!

---

(١) الصنم أو بيت الأصنام .
(٢) مال قلبه .
(٣) يشير إلى مايقال من أن نار المجوس التى ظلت تشتعل ألف عام خمدت ليلة مولد النبى .
(٤) أمكنة عبادتهم .
(٥) يقول جولد زيهر : « مهما تظاهر الصوفيون بتقديرهم للاسلام ، فلغالبيتهم نزعة مشتركة إلى محو الحدود التى تفصل بين العقائد والأديان ، وعندهم أن هذه العقائد كلها لها نفس القيمة النسبية إزاء الغاية المثلى التى ينبغى الوصول إليها » ص ١٥١ العقيدة والشريعة .

الفصل الخامس

شيوخ الصوفية وكراماتهم[١]

عبادة الأحبار والكهان

ما ألحفت الصوفيةُ فى شىء إلحافها فى الدعوة إلى اتخاذ شيوخها أربابا من دون الله ، ففرضت على الدرويش أن يكون وطاء ذليلا لشيخه مُسْتَعْبَدَ الفكر سليب الإرادَة كجثة الميت فى يد الغاسل ، وجعلت هذه العبودية الممتهنة أولى الدلائل على طاعة المريد لشيخه ، وعلى حبه له ، وعلى أنه يرقى معارج الوصول إلى حظائر القدس . اسمع إلى طيفور البسطامى يقول : « من لم يكن له أستاذ ، فإمامه الشيطان[٢] » وإلى صاحب لطائف المنن يزعم : « من لم يكن له أستاذ يصله بسلسلة الأتباع ، ويكشف له عن قلبه القناع ، فهو فى هذا الشأن لقيط لا أب له ، دعىٌّ لا نسب له[٣] » وإلى محمد عثمان يقرر آداب المريد مع شيخه : « ومشاهدتك له فى كل حال وَرَدَ عليك أنه بواسطته إليك يا فتى ، ومنها أن تجلس جلوس الصلاة عنده ، وأن تفنى فيه ، وألا تجلس فوق سجادته ، وألا تتوضأ بإبريقه ولا تَتَّكِئ على عكازه ، واسمع ما قال بعض الأصفياء : من قال لشيخه : لم ؟ ! لايفلح ، ولتكن محضره فى قلبك وخيالك ، فإن غفلت عنه وقتاً، فهذا من مقتك ، واجتهد فى أن تنال مقام الفناء فيه ، فَمِنْ ثَمَّ ترق إلى مقام البقاء به[٤] » وقد نظمها مصطفى البكرى ، فقال :

---

(١) لاينكر مسلم إكرام الله لأوليائه بما وعدهم به من أن لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ونستطيع أن نعرف من القرآن ما يكرم الله به أولياءه فقد وصفهم الله بأنهم المؤمنون المتقون ، فاقرأ فى القرآن ما أعده الله للمؤمنين المتقين ، تعرف ما يكرمهم الله به ، ولكنك لن تجد فيه مايزعمه الصوفية .

(٢) ص ١٤٧ كتاب الفتوحات الإلهية فى شرح المباحث الأصلية ط ١٩١٣ م

(٣) ص ١٤٦ المصدر السابق . (٤) الهبات المقتبسة لمحمد عثمان ط ١٩٣٩ م

وسَلِّمِ الأمر له ، لا تعترضْ ولو بعصيانٍ أتى أذَى فرِض
وكن لديه مثلَ مَيْتٍ فانى لدى مُغَسِّلٍ ؛ لتمسى دانى
ولا تَطَأْ له على سجادة ولا تَنَمْ له على وسادة(١)

وقد سبقه الجيلى بهذا .

وكُنْ عنده كالميْت عند مُغَسِّلٍ يُقَلِّبُه كيف يشاء ، وهومطاوع(٢)

وتحتم الصوفية على المريد ألا يعصى شيخه فى أمر أو نهى ، وإن رآه يخالف السنة المحمدية(٣) ولكى يظل الدرويش تحت قبضة الشيخ يستذل كرامته ، ويغصبه ماله وعرضه ، قررت الصوفية على لسان الشعرانى أن من أشرك بشيخه شيخا آخر وقع فى الشرك بالله(٤) ، وأن من أخذ الطريق على غير شيخه ، كان على غير دين(٥) . وكتب الصوفية طافحة بمثل تلك المنكرات التى تهدر الكرامة والقِيَمَ الإنسانية النبيلة ، وتجعل من الإنسان لَقًى طريح الذل والهوان والصغار ، وموطئا مستعبدا لكل نعل نجسة باغية الوَطْء ، تنزو بالرجس الحقير ، وهذا سر ماترى عليه الصوفية من انشطارها شطرين ، شطر معبود ، وآخر عابد ، وسرُّ مايروعك إذ تبصر شيخا كبيرا كبيراً يلعق نعل طفل صغير مازال يتعثر فى خراءته ، ويتلطخ بنجاسة بوله ! ! لالشىء سوى أنه حفيد مولاه شيخ الطريقة ، ففيه سِرُّه ، وفيه رَبَّانِيَّتُه(٦) !! وسر مخالفة الصوفية جميعاً عن أمر الله ؛ لما يدينون به من أن

---

(١) بلغة المريد للبكرى . (٢) منحة الأصحاب للرطبي ص ٧٥

(٣) انظر ص ١٣١ قواعد الصوفية . (٤) ص ١٥٤ المصدر السابق .

(٥) ص ١٠٣ ج ٢ لطائف المنن وقد شاكلوا الإسماعيلية فى ذلك إذ يزعمون أن من أشرك مع إمامه سلطة أخرى أو ارتاب فى وجوب الطاعة له ، كان كمن أضاف للنبى نبياً آخر ، وكمن شك فى نبوته ، وبذا صار كمن وضع مع الله إلهاً آخر . انظر ص ٢١٨ العقيدة والشريعة لجولد زيهر .

(٦) نصبت مشيخة الطرق طفلا سنه خمس سنوات شيخاً لسجادة كبرى فى مصر انظر ص ١٥٤ المجموعة الدمرداشية ! !

شيوخهم لا يهمسون بهمسة إلا عن وحى من الله ، فقلوبهم العروش التى استوى عليها برحمانيته ، وسماوات كبريائه وجلاله وجماله ، وأقداس وحيه التى يفيض منها هداه !! يقول القشيرى : « من صحب شيخا من الشيوخ ، ثم اعترض عليه بقلبه ، فقد نقض عهد الصحبة ، ووجبت عليه التوبة !! على أن الشيوخ قالوا : حقوق الأستاذين لاتوبة منها »[١]

لماذا يتوسل الصوفية بالقبور

لن أجادلك هنا يا سماحة الشيخ فى توسل الصوفية بالمقبور ، وبالقبور[٢] فإنه أهون ماتقترف الصوفية وضحاياها من وثنية ، وأحبارها لايتراءون بالولاء الخاشع لأصنام القبور حبا فى المقبور ، بل لما يُجْمَع لأوثان الموتى من نذور !!

آراء المستشرقين فى التوسل

يقول جولدزيهر : « بقى كثير من عناصر الديانات السابقة للإسلام ، واستأنفت حياتها فى المظاهر العديدة الخاصة بتقديس الأولياء . وفى الحق ليس من شىء أشد خروجاً على السنة القديمة من هذا التقديس المبتدع المفسد لجوهر الإسلام والماسخ لحقيقته ، وإن السنى الصادق الحريص على اتباع السنة لابد أن يعده من قبيل الشرك الذى يستثير كراهيته واشمئزازه » ويتحدث عن تقديس العامة للأولياء ، فيقول : « وأضرحة الأولياء والأماكن المقدسة الأخرى هى موضع عبادتهم التى يرتبط بها أحياناً مايظهره العامة من تقديس وثنى غليظ لبعض الآثار

---

(١) ص ١٥١ الرسالة للقشيرى .

(٢) قال الجنيد عن قبر معروف الكرخى : « قبر معروف ترياق مجرب يستشفى به ويتبرك » انظر ترجمة معروف فى الرسالة للقشيرى والطبقات للسلمى ، وهكذا عبدت الصوفية القبور منذ نشأتها !!

والمخلفات ، بل إن العامة تخص الأضرحة ذاتها بما لا يقل عن العبادة المحضة » ويتحدث عن الولى المحلى : « ويخشى الواحد منهم أن يحنث فى يمين حلف فيه باسم الولى أكثر مما يحمر خجلا عندما يحلف بالله باطلا[(١)] » ويقول رونلدسن : « بالرغم من التوحيد المصرح به فى القرآن فإن الأمم الإسلامية ، لازالت تحتفظ بكثير من العادات الوثنية ؛ فإن من أهم الصفحات فى الحياة الدينية للعوام فى جميع الأمم الإسلامية ، هو تقديسهم لقبور الصالحين ، وفى هاتين القضيتينساير العلماء المحدثون[(٢)] اندفاعَ الرأى العام ، وقد أصبح لكل قوم أئمة محليون يزورون قبورهم وآثارهم ، فيفرح ذلك الإمام ، ويشفع لهم ، وينجيهم من الفقر والمرض[(٣)] !! » وهكذا يدع الصوفية الفرصة سانحة لعدو الإسلام ، ليجدف عليه بما يقترف الصوفية !! تأمل فيما قاله ، تجده صوفية مُصَوَّرة بكل خبثها !!

لن أجادلك فى التوسل ، وفى أنه شرك أصم ، إذ التوسل خَبَثُ شرك آخر أشد خبثاً منه ، فالصوفية يعتقدون أن أولياءهم ليسوا بشراً ، وإنما هم آلهة تخلق ماتشاء وتختار ، أوهم — كما نقلنا لك من قبل — ذات الله سبحانه وتعالى تجسدت مرة فكانت تيجانية ، وأخرى ، فكانت نقشبندية ، وأخرى فكانت رفاعية ، أو شاذلية ، أو بُرْهامية !!

صوفى يخطب الجمعة عارياً

الشعرانى كاهن الخطايا الصوفية ، يبشر بها ، ويكافح فى سبيل الدعوة إليها ، وعجيب أن ترى الشعرانى يعقب على ذكر كل اسم صوفى يتزَّى جسده فاحشة

---

(١) النصوص السابقة عن ص ٢٣٤ ، ٢٣٢ العقيدة والشريعة .

(٢) التعميم خطأ ، فالمحدثون بحق يرون هذه البدعة من الشرك ، ولعله يقصد من وضعوا الأحاديث التى نسبت زوراً إلى رسول الله ، وترشح لقبول هذه البدعة .

(٣) ص ٢٦٦ عقيدة الشيعة .

بقوله : «رضى الله عنه» ! اسمع إلى الكاهن يبشر بهتك العورة كرامة ! « ومنهم الشيخ إبراهيم العريان ، كان يطلع المنبر ، ويخطبهم عريانا ، فيقول : السلطان ، ودمياط ، وباب اللوق ، بين الصورين ، وجامع طولون ، الحمد لله رب العالمين ، فيحصل للناس بسط عظيم (١) »

أَمِنْ رَفِيفِ الروحانية بعبير القدسية مَنٌّ الولى على حشد محشود بعورة مكشوفة ، وهذيان مخبول ؟!

تصور ، واجعل خيالك رحيباً رحيباً مُجَنَّحاً بتهاويل الشاعرية ، حتى يمكن أن يتصور مشهد ولى يبارك المصلين بهتك عورته !!

تصور ذلك المعبود يصعد إلى المرقاة الأخيرة من المنبر فى يوم جمعة ، حتى إذا أنعم الشهود فيه الأبصار ، وحدَّقوا إليه بالأفكار ، ورَنَوْا إليه بالقلوب ، ابتغاء تَرَشُّف العظة الهادية . حتى إذا هوَّمت عليه النواظر ، وطافت به المشاعر ، وحوَّمت حوله الأحلامُ والعواطف ، هتك الستر عن عورته فضلاً منه ونعمة ؟! ذلك المعبود على منبره ، فى جامعه ، فى جمعته يجمع الناس حوله ؛ ليعظهم عظة تصلهم بأسباب السماء ، فيسمعهم ذلك الهراء المخبول ، وهو مُنْهَتِكُ السوءة : « باب اللوق . الخ » .

تلك الصورة الوثنية التى يراها الخيال الفسيح الذى قد يستشرف غيب الأبد ، وقُنَّةَ الأزل فى تصوراته ، ويهب للمستحيل أحياناً وجوداً فى تهويماته ـ يراها أشد استعصاء عليه من تصور وجود المستحيل ، بيد أن الشعرانى يؤكد لنا أنها حقيقة صوفية ، فيدين بها ، ويبشر بها ، ويدعو الله أن يَغْمُرَ مُقْتَرِفَها برضاه ، ولا يأخذنَّك العجبُ ؛ فإنه صوفى ! .

إننا نعرف من كتاب الله أن الآدمية عوقبت على ذنبها الأول بكشف السَّوْءة !

---

(١) ص ١٢٩ جـ ٢ الطبقات للشعرانى ط ابن شقرون

(٧ : ٢٢ فدَلّاهما بغرور ، فلما ذاقا الشجرة ، بدت لهما سَوْءاتُهما) .

فماذا يريد الشعرانى من دين ؟ .

صوفى يبهت البرىء بذنبه

ويمضى الشعرانى فى تمجيد شيخه العريان فيقول : « وكان يخرج الريح بحضرة الأكابر ، ثم يقول : هذه ضرطة فلان ، ويحلف على ذلك ، فيخجل ذلك الكبير منه[1] » .

ولَشَدَّ ما يَشْدَخ العجب رأسه من العجب من صوفى يقدس الصوفية خطاياه ، ويجعلون من معجزات قطبَانيته بَهْتُ البرىء بذنبٍ افترى هو جريرته ، أو بخطيئة « ذَوْقية » يمجها حتى ذوق الخنفساء ! .

هذا مع استحلال الكذب المفضوح العريان ، مقسما بالله على صدقه ! .

أرأيت إلى الصوفية كيف تعبد خاطئاً ينفث مثل هذه اليحاميم المنتنة الخانقة فى مجالس العظماء ، ثم لايمنعه فساد ذوقه ، وسوء أدبه من أن يقذف سواه بذنبه ، ويحلف بالله على صدق بهتانه ؟! .

الصوفى يُؤْجَر على كشف عورته

وإليك ماأفكه الدباغ : « إن غير الولى إذا انكشفت عورته ، نفرت منه الملائكة الكرام ، والمراد بالعورة : العورة الحسية ، والعورة المعنوية التى تكون بذكر المجون وألفاظ السفه ، وأما الولى ، فإنها لاتنفر منه ، إذا وقع له ذلك ؛ لأنه إنما يفعله لغرض صحيح ، فيترك ستر عورته لما هو أولى منه[2] » .

لقد جعلها الشعرانى كرامة خاصة بالعريان ، أما الدباغ ، فيجعل من كشف العورة دستوراً فى الولاية الصوفية ! ، أما الكمشخانلى ، فيحدثنا عن أنواع الأولياء

---

(١) نفس الصفحة والمصدر السابق .

(٢) ص ٤٣ جـ ٢ الإبريز للدباغ ط ١٢٩٢هـ

المتصرفين ، فيقول : « والرحمانيون وهم ثلاثة أيضاً ، وهم عند الوحى يجلسون عرايا ، ويسمعون الوحى ويفهمون المراد منه[١] » ! فتأمل الصوفية تزعم أن أولياءها يسمعون الوحى ! ومن هم ؟ سفهاء عرابيد ، تخذتهم الخطايا دعاة مجونها وسفهها ! وألسنة تعبر عن سوءاتها ! .

جرد ياسماحة الشيخ كتيبة من علمك ، وسلطان منصبك ؛ لتؤدب هؤلاء الأقطاب الذين يهتكون عوراتكم ، ولعل هذه العورات المتكشفة فى فجور أجدر بأن تشكوها إلى النيابة ممن يدعوكم إلى سترها ، ورتق فتوقها المفتضحة ! .

تطور الصوفيين إلى وحوش وغيرها

يقول الشعرانى عن الغمرى : « ودخل عليه سيدى محمد بن شعيب ، فرآه جالساً فى الهواء ، وله سبع عيون » ويقول . عن الشيخ أبو على : « تدخل عليه تجده جندياً ، ثم تدخل عليه ، فتجده سبعاً ، ثم تدخل عليه فتجده فيلا . وكان يقبض من الأرض ، ويناول الناس الذهب والفضة »[٢] .

ترى لو أن مسلماً قتل صوفياً وهو « فيل ، أو سبع » أتلزمه الدية ، أم يلزمه القصاص ؟ يزعم الشعرانى أن ذلك الشيخ المتطور إلى فيل وسبع قد قطعه بعض الناس بسيوفهم ، وأخذوه فى تليس ، ثم أصبحوا ،فوجدوا الشيخ حيا جالساً[٣] ! خطايا : ثم ذكر الشعرانى من جرائم شيوخه مايفسد الصبى على أمه الطهور بأسلوب تستحى حتى البغى أن تهمس به فى حانتها المعربدة ، فاقرأه ، تجد ثورة الخطيئة من جسد أوجعه الشبق ! .

(١) ص ١٣٣ جامع الأصول فى الأولياء .
(٢) ص ٨٠ ، ٨١ جـ ٢ الطبقات .
(٣) ص ٨٠ المصدر السابق

اقرأ ماسجله عن كرامات على وحيش وأبو خودة(١) ، وغيرهما ، ثم اذكر ما كان يقترفه المجرمون من قوم لوط ، وبأية جريرة منكرة أخذهم الله أخذة رابية ! وثمت ترى الشعرانى يجعل من هذه الفاحشة الموبقة كرامة لسادته هؤلاء ! معقباً على ذكر كل جريمة يقترفها فاسق منهم بقوله : رضى الله عنه ! ولاتعجب ، فتلك الجريمة دين الصوفية من قديم . قال يوسف بن الحسين الرازى : « نظرت فى آفات الخلق ، فعرفت من أين أُتوا ، ورأيت آفة الصوفية فى صحبة الأحداث، ومعاشرة الأضداد ، وأرفاق النسوان(٢) » . وإنه ليعترف بعدها بما يدينه بتلك الخطايا فيقول : « كل ما رأيتمونى أفعله ، فافعلوه إلا صحبة الأحداث ، فإنه أفتن الفتن(٣) » ويقول : « عاهدت ربى أكثر من مائة مرة ، ألا أصحب حدثاً ، ففسخها على حسن الخدود ، وقوام القدود ، وغنج العيون ، وما سألنى الله تعالى معهم عن معصية(٤) » ويقص الخراز أنه رأى إبليس فى النوم ، فقال له:«تركت لى فيكم لطيفة . قلت : ماهى ؟ قال : صحبة الأحداث ، قال أبو سعيد : وقل من يتخلص من هذا من الصوفية(٥) » .

ولقد وبخ الله سبحانه قوم لوط بقوله : (٢٦ : ١٦٥ أتأتون الذكران من العالمين ؟ » ولعنهم ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل ، فما بالك بالصوفية ، وقد اقترفت هذه الجريمة فى صورة نكراء منكرة مسفة فى الخزى والضعة والحقارة ،

---

(١) ص ١٢٢ ، ١٣٢ ج ٢ طبقات ط صبيح ويقول الشعرانى عن أبى خودة : « وكان رضى الله عنه إذا رأى امرأة ، أو أمرداً راوده عن نفسه ، وحسس على مقعدته سواء كان ابن أمير أو ابن وزير ولو كان بحضرة والده أو غيره ، ولا يلتفت إلى الناس » .

(٢) ص ١٩٠ طبقات الصوفية للسلمى . (٣) ص ١٨٩ نفس المصدر

(٤) ص ١٩١ نفس المصدر . (٥) ص ٢٣٢ نفس المصدر .

اقترفتها مع الذكران ومع العجماوات من الدواب ! ؟ وأين ؟ على قارعة الطريق ، وعلى مشهد من كل رائح إلى السوق ، أو غاد منه ! ذلك ماذكره الشعرانى، وجعله كرامة ربانية لأوليائه ، ويزيدها تفصيلا ، فيزعم أن « وحيشاً » كان يرغم صاحب الدابة على أن يستذلها له عند اقتراف الجريمة(١) ! وينازعنى الحياء ؛ لكيلا أسطر لك جرائم الصوفية بأسلوب الشعرانى ، فخذ بكتابه ، وطالع فيه أية ترجمة لصوفى ، وثمت تطالعك الجريمة بوجهها الدميم الصفيق الغليظ المنكر !.

رِمَّة تتصرف فى الوجود

يقول الشعرانى : « إن شيخى أخذ على العهد فى القبة تجاه وجه سيدى أحمد البدوى ، وسلمنى إليه بيده، فخرجت اليد الشريفة من القبر(٢)، وقبضت على يدى قال سيدى الشناوى : يكون خاطرك عليه ، واجعله تحت نظرك ، فسمعت سيدى أحمد يقول من القبر : نعم ! . ولما دخلت بزوجتى ، وهى بكر ، مكثت خمسة أشهر لم أقرب منها ، فجاء ، وأخذنى ، وهى معى ، وفرش فرشاً فوق ركن قبته ، وطبخ لى حلوى ، ودعا الأحياء والأموات إليه ، وقال : أزل بكارتها هنا ، فكان الأمر تلك الليلة ، وتخلفت عن حضورى للمولد ، وكان هناك بعض الأولياء ، فأخبرنى أن سيدى أحمد البدوى كان ذلك اليوم يكشف الستر عن الضريح ، ويقول : أبطأ عبد الوهاب ، ماجاء ! » ثم يزعم أن البدوى يدعو العرب والعجم

---

(١) طالعها فى الطبقات جـ ٢ ص ١٣٥ ط صبيح .

(٢) يذكر الصاوى فى حاشيته على شرح الخريدة للدردير ، أن الرفاعى وقف تجاه قبر الرسول ، وناجاه بهذين البيتين :

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها ... تقبل الأرض عنى ، وهى نائبتى

وهذه دولة الأشباح ، قد حضرت ... فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى !!

قالوا : فخرجت اليد من القبر . ويظهر أن الشعرانى أبى إلا أن تكون له ولسيده البدوى تلك الكرامة !!

ويسوقهم إلى مولده ، وأنه أرى الشعرانى كثيراً من الأحياء والأموات من الشيوخ والزَّمْنى بأكفانهم يمشون ويزحفون معه يحضرون المولد[١] ! ويقول عن الحريثى : « قصدته فى حاجة ، وأنا فوق سطوح مدرسة أم خوند بمصر ، فرأيته خرج من قبره يمشى من دمياط . إلى أن صار بينى وبينه نحو خمسة أذرع ، فقال : عليك بالصبر ، ثم اختفى ! »[٢] .

هنا يكاد الإنسان يفقد عقله ! إذ لا يتصور حتى ممن به مسكة ولهى من عقل أن يهرف ، ويخرف بمثل ذلك الخبال ولكن لاعجب ، فكل صوفى عدو للعقل فوق عداواته للشرع . كل صوفى يؤمن بأن « الذوق » وحده هو وسيلة المعرفة ، أما العقل عندهم ، فطاغوت أخرق ، وأما الشرع ، فمادِّيَّة تنشب مخالبها فى الصخر ، دون أن ترمق السماء بنظرة واحدة ! أو هو نوع من عبادة التاريخ الميت ؛ ولهذا تتباين عندهم قيم الأشياء ، تبعاً لتباين الأذواق ! وقد يرى الصوفى الباطل ، فيما يرى غيره فيه الحق ! ولا يضيرهم أن يتوتر التناقض بين ما يؤمن به صوفى ، ويكفر به آخر غيره ، فكلاهما فى الدين الصوفى على حق .

ولعل هذا سر فريتهم « من اعترض ، انطرد ! » إذ ربما حكمت بالشرع أو بالعقل على شىء ما بأنه باطل ، وهو فى « ذوق[٣] » شيخك حق ! فتعرض نفسك للطرد من حظيرته .

---

(١) اقرأ ترجمة السيد البدوى فى طبقات الشعرانى .

(٢) جـ ٢ ص ١٥٤ المصدر السابق ويروون أن رجلا قصد إلى ضريح صوفى « مشتكياً فمد له من القبر بعود الريحان خطابا مكتوبا فيه بيت من الشعر لم يجف مداده » انظر ص ٣١٨ جـ ٢ شرح الحكم لابن عجيبة .

(٣) يعرف القيصرى الذوق بقوله : « مايجده العالم على سبيل الوجدان والكشف لا البرهان والكسب ، ولا على طريق الأخذ بالإيمان والتقليد » ص ١٩٣ مطلع خصوص الكلم ، أو هو « أول درجات شهود الحق بالحق فى أثناء البوارق المتوالية عند أدنى لبث من التجلى البرقى » ص ١٠١ جامع الأصول للكمشخانلى ، ويقول =

على هذا يحمل الشيوخُ الدراويشَ ، ويستعبدونهم ، فمايفعل الشيخ من شيء ، إلا ويوحى إلى درويشه أنه فعله عن أمر إلهى ، وإن يكن مافعله خطيئة خاطئة . ولا يملك الدرويش إلا أن يؤمن ! ألا ترى الجنيد يجيب ـ حين سئل : أيزنى العارف ؟ ـ بقوله : « نعم ! وكان أمر الله قدراً مقدوراً » ! حَقٌّ لو أنه بباطل . ذلك الجنيد ! زانٍ ويسميه عارفاً ! أى مؤمناً بلغ ذروة الإيمان ، لأنه رأى القضاء فى لوح الغيب فنفذه (١) !.

والرسول يقول « لايزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ».

تنكر الصوفية على العقل أنه وسيلة إلى المعرفة ، ويرهقها حنقاً منه أن يحكم بالمغايرة بين الضدين ، أو بين النقيضين ، وتنكر على الشرع تفرقته بين الإيمان والكفر ، أو الخير والشر ؛ إذلا تؤمن بغير « الذوق » سماء وحى ، وقدس إلهام !

ولهذا كان من اصطلاحاتهم المشهورة : « من ذاق عرف » أى من جعل « الذوق » وحده الوسيلة إلى المعرفة ، كان حقاً من العارفين بكنه الحقائق الربانية !

أرأيت إلى الشعرانى يؤكد أن سيده البدوى حَىٌّ رغم تعفن البلى فى رمته ؟ ! ، وأنه يطبخ ويغسل ، ويدعو الأحياء والموتى إلى مولده ؟ ! أرأيت

= ابن عربى : « اعلم أن العلوم الذوقية الحاصلة لأهل الله مختلفة باختلاف القوى الحاصلة مع كونها ترجع إلى عين واحدة » ص ١٠٧ فصوص الحكم ط الحلبى ، ويعنى بالعين الواحدة : الذات الإلهية !!

(١) يقول الدباغ : « إن الولى الكبير فيما يظهر للناس يعصى ، وهو ليس بعاص ، وإنما روحه حجبت ذاته ، فظهرت فى صورتها ، فإذا أخذت فى المعصية فليست بمعصية » ص٤٣ جـ ٢ الإبريز . ويقول : « يتصور فى طور الولاية أن يقعد الولى مع قوم يشربون الخمر ، وهو يشرب معهم ، فيظنونه أنه شارب الخمر ، وإنما تصورت روحه فى صورة من الصور وأظهرت ما أظهرت » ص٤١ المصدر السابق . وهكذا يقررون أن الرذيلة فضيلة .

إليه يؤكد أنه حين أخطر « الحربى » فى باله ، قام من قبره ، وهرول إلى مصر على قدميه من دمياط ؟ ! .

حجة من الحق

أسائلك ـ وما تُضْنينى كثرة التساؤل ـ ألهذه الوثنية صلة بقرآن ، أو فكر ؟

هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقد وُورى فى قبره ، فيعز على ابنته فاطمة أن يهيل أصحاب أبيها العظيم الترابَ على وجهه الكريم ، فتقول ملتاعة القلب بالأسى والحزن : « أوَ هانَ عليكم أن تهيلوا التراب على وجه رسول الله ؟ » .

ويجيبها أَنَسٌ بالحق ، يأسو فى قلبها الحزين لوعة العاطفة ، ويُجْلى عنه رانَ الهموم . « لولا أننا أُمِرْنا بذلك ، مافعلناه » .

ترى لِمَ لَمْ يَفْصِل رسولُ الله بعد موته فى الخصومة التى احتدمت بين وزيره الأول أبى بكر ، وبين ابنته الحبيبة فاطمة ؟ . ولِمَ لَمْ يحل بين عائشة وبين يوم الجمل ؟ ولِمَ لم يُنْذِر عمرَ بالمكيدة التى دبرت له حتى قُتِلَ بها ؟ ولماذا لم يحلْ بين خنجر المجوسى وبين صدر عمر الغامر[1] الإيمان ؟ ! . ولماذا لم يحْمِ عثمان ذا النورين من قاتله ؟ ! وعليًّا من السكين الخاتلة القاتلة ؟ !

وهذا ريحانته سيد شباب الجنة الحسين رضى الله عنه يحيط به عدوه كاليأس الظَّلوم بالأمل الكريم ، وهاهو يرفع على يديه طفله فى عمر الزهرة النديَّة ، ثم يناشد عدوه حَسْوَةً من ماء يبل بها غليل عصفوره الظمآن ! .

فلم ينل إلا سهماً غادراً ينفذ إلى صدر الصغير الرقيق ! .

فلماذا لم يمدد رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه بكأس من سلسبيل ؟

---

(١) أما الشعرانى ، فيتحدث عن كرامة سيده الشريف المجذوب ، فيقول : « ولما طعن أصحاب النوبة سيدى علياً الخواص جاءه الشريف ، ورد عنه الطعنة » ص ١٣٥ جـ ٢ الطبقات !!

أو ليمنع السهم الغادر عن هَتْك الشِّغَافِ من الطفل الصغير ، ومن قتل أبيه البطل الأبِيِّ الكريم ؟ ! .

جواب ذلك كله : لأنه صلى الله عليه وسلم كان لا يملك شيئاً يمدهم به ، أو يعين ، إذ هو ميت ، ولم يُرْوَ عنه فى حديث صحيح أو ضعيف ، ولا فى تاريخ يعنى بالحقائق أو الأساطير ، أنه أَمَدَّ بشىء ، أو أعان بعونٍ ما ، بعد أن توفاه مَلَكُ الموت الذى وُكِّلَ به .

فلو أن الله سبحانه أعطى خصائص الحياة الدنيا فى القبر لميت يعين بها الأحبة ، أو يمدهم بقدرة منه ، لوهبها لمحمد صلى الله عليه وسلم ! بيد أنك ترى هذه الأحداث الجسام تدهم خيار الصحابة ، والبَرَرَة الرياحين من آل بيته ، فلا نسمع أنه صلى الله عليه وسلم أمدَّهم بشىء ! ؛ لأنه لا يقدر على ذلك ! .

أما البدوى رغم موته ، فينعم بالحياة الزاخرة القادرة فى الدنيا ، ويهبها لمن يشاء من الموتى ، ويقضى حوائج الخلق ، ويعطى العهود ، ويكلم الطائفين حول صنمه ، وهو رمة عفنة ! .

ألا ترى الشعرانى يحب أن يؤكد لك أن هذا البدوى الأسطورى العجيب ، أفضل وأكرم عند الله من سيد الخلق ؟ ! .

صوفى يدبر الأمر

يقول الدباغ : « رأيت ولياً بلغ مقاماً عظيما ، وهو أنه يشاهد المخلوقات الناطقة والصامتة ، والوحوش ، والحشرات ، والسموات ، ونجومها ، والأرضين وكرةُ العالم بأسرها تستمد منه ، ويسمع أصواتها وكلامها فى لحظة واحدة ، ويمد كل واحد بما يحتاجه ، ويعطيه مايصلحه من غير أن يشغله هذا عن ذلك[1] » .

---

(١) ص ٧٣ ج ٢ الإبريز للدباغ .

يصِف عبداً بصِفَاتِ الربوبية والإلٰهية !! ويقول أحمد التيجـانى[١] عن نفسه : « روحى » روحه صلى الله عليه وسلم تمد الرسل والأنبياء ، وروحى تمد الأقطاب والعارفين من الأزل إلى الأبد[٢] ، وإذا جمع الله تعالى خلقه فى الموقف ينادى مناد بأعلى صوته يسمعه كل من فى الموقف : يأهل المحشر ، هذا إمامـكم الذى كان مددكم منه ، كل ما فاض من ذوات الأنبياء تتلقاه ذاتى . ومنى يتفرق على جميع الخلائق[٣] » ويصفه تابع له بقوله : « إذا توجَّه أَغْنَى وَأَقْنَى ، وبلغ المنى[٤] » ويصفه آخر بقوله : « لا يتلقى واحد من الأولياء فيضاً من حضرة نبى إلا بواسطته[٥] » وآخر بقوله « نفوذ بصيرته الربانية التى ظهر مقتضـاها من إظهار مضمرات ، وإخبار بمغيباتٍ ، وعلم بعواقب الحـاجات ، وما يترتب عليها من المصـالح والآفات[٦] » . ويقول البسطامى : « رفعنى « أى الله » فأقامنى بين يديه وقال لى : يا أبا يزيد : إن خلقى يحبون أن يروك ، فقلت : رَبِّى بوحدانيتك وألبسنى أنانيتك ، وارفعنى إلى أحديتك ، حتى إذا رآنى خلقك ، قالوا : رأيناك لتـكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هناك[٧] » . وَنَعْتُ « حرازم » للتيجانى ، بأنه يُغْنِي وَيُقْنِي ، ويعلم الغيب ، نَعْتٌ له بصفات الله . فالله سبحانه يصف نفسه بقوله : (٥٣ : ٤٨ وأنه هو أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ) (٧٢ : ٢٦ عالم الغيب ، فلايظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً) .

الـكلاب أولياء الصوفية

إن البشرية فى الأغوار السحيقة من تاريخها المظلم ، وفى تيهها الوثنى ، لم تؤله

---

(١) أحمد بن محمد أبو العباس ولد سنة ١١٥٠ هـ

(٢) نفس ما ادعاه لنفسه الطاغوت ميرزا حسين على الملقب بالبهاء !!

(٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) ص ٥ ج ٢ رماح حزب الرحيم وما بعدها ، ص ٣ جواهر المعانى ص ٤٦ ، ٤٧ ج ١ لعلى حرازم .

(٧) اللمع للطوسى ص ٣٨٣ مطبعة بريل بليدن .

كلباً ، بيد أن الصوفية أرادت التجديد فى صور الشرك ، وأن تبتدع أصناماً جديدة ، فألَّهت مالم تُؤَلِّه أحطُّ الوثنيات فى التاريخ !.

نقلت لك عن التلمسانى اعتقاده أن رمة الكلب ، هى ذات الرب الصوفى ! وعن محمد بهاء الدين مانقله عن مشائخه من تأليه الكلاب والخنازير ، فاسمع إلى الشعرانى يحدثنا عن كرامات سيده العجمى .

« وقع بصره على كلب ، فانقادت إليه جميع الكلاب ، وصار الناس يُهْرَعُونَ إليه فى قضاء حوائجهم ، فلما مرض ذلك الكلب ، اجتمع حوله الكلاب يَبكون ، فلما مات ، أظهروا البكاء والعويل ، وألهم الله تعالى بعض الناس ، فدفنوه ، فكانت الكلاب تزور قبره ، حتى ماتوا ، فهذه نظرة إلى كلب ، فعلت مافعلت فكيف لو وقعت على إنسان [١] ؟ » ويقص الشعرانى عن هذا العجمى : إنه كان يخرج من خلوته ، فكل من وقع عليه نظره ، انقلبت عينه ذهباً خالصاً [٢] !!

إفكٌ وحق

ترى ينالك الرضى ياسماحة الشيخ عما افتراه الشعرانى ؟ ! إنى أصيح صيحة مدوية بالحق لعلها تهز ضميرك الدينى ، وأسائلك : أسائل ماتعلمته فى الأزهر ، حتى وصل بك إلى منصب القوامة المقدسة عند الصوفية على دينهم ، هذا الدين الذى يفترى له كهنته وأحباره أنه ربيع الحياة الروحية الرَّفَّافُ بالخير والحب !! ومعين الهداية الفياض بالحق والحكمة !! وأقباس من النور الأزلى ، على أشعته يصل إلى هدفه الأبدُ والخلود !! ومجالى الفردوس حيث الحور مَجْلُوَّاتُ الجمال ،

(١) ص ٦١ جـ ٢ الطبقات ترجمة العجمى .

(٢) نفس المصدر السابق وهذا معناه أنه رجل شديد الخطورة على الإنسانية ، فكيف يكون ولياً من يكون سبباً فى حرمان الناس من نعمة البصر ؟ كيف يكون ولياً وهو نكبة على المجتمع ؟

وحيث الملائك فى سجود القسابيح !! أما هذا الدين فى نظر الحق ، فنفايات مَجَّتها مجوسية الفرس ، والهند ، وزندقة الغنوصيين ، وإلحاد الفلاسفة ، ووثنية الصابئة وعبدة الأصنام ! ، إنه حمأة الشر والفساد من دين أولئك جميعاً ، بيد أن لطواغيته أسماء إسلامية ، ففتنوك بهذا الشفِّ الرقيق ، فلم ترهم ، وهم يدسون السم لك فى الرحيق !! إنه أخس دين عُبد به الشيطان ، إذ افْتَنَّ فى افتراء بِدَعِه !! إنه السم الزعاف يقسم لك : إنه سُلافة الخلود !! ، والأفعوان الحقود يزعم : أنه ملاك رحمة ومحبة !! والليلة السوداء فى قبر المشرك تؤكد لك أنها وضاءة صبح الجنة !! والدمامة الشوهاء تتراءى فى الماخور الدنس بَرْزَةً تتقتَّل أنوثتُها الطاغية ! ! إنه الصوفية تزعم أنها إسلام !!.

خزى صوفى

ولقد سجل هذا الخزى والعار مستشرق إنجليزى صاحب الصوفية فى مصر فأعطته العهد ثم مضى — بعد ابتلائهم — يسجل عليهم مخازيها ، ويرمى بها المصريين جميعاً فى كتابه : « ويزور المصريون الأضرحة معتقدين أنهم سينزلون عليهم البركات ، وإما بقصد التماس البرء من مرض ، أو طلب النسل ، ويعتبر المسلمون أولياءهم المتوفين شفعاء لهم عند الله ، ويقدمون لهم النذور [(١)] »

ويقول : « وقد جرت العادة أن يقوم المسلمون [(٢)] كما كان يفعل اليهود بتجديد بناء قبور أوليائهم وتبييضها وزخرفتها وتغطية التركيبة أو التابوت أحيانا بغطاء جديد ، وأكثر هؤلاء يفعلون ذلك رياء كما كان يفعل اليهود » ويقول جولدزيهر وهو يتحدث عن بدعة الموالد : « وكان علماء المسلمين لا يزالون

---

(١) ص ١٦٧ ومابعدها كتاب « المصريون المحدثون » للمستشرق « لين » والمسلمون أبرياء من هذا الشرك الذى يقترفه الصوفيون ، ويرمى به الرجل جميع المسلمين .

(٢) يحمل على المسلمين أوزار الصوفية ، فما يفعل هذا مسلم . ولكنها الصوفية .

حتى القرن الثامن الهجرى يعدونه « أى الاحتفال بمولد النبى » مخالفاً للسنة ، ونهت عنه غالبيتهم على اعتبار أنه بدعة مستحدثة فى الإسلام . . وتنطبق هذه الحالة أيضاً على أعياد دينية أخرى ، نشأت فى القرون المتأخرة ، واضطرت أن تجاهد ؛ لكى يقرها العلماء بعد أن وصموها دهراً طويلا : بأنها من البدع الدخيلة[(١)] »

ويقول جوتييه : « وتقديس الأولياء إلى درجة قد تقرب من العبادة الذى نراه انتشر بعد فى جميع الأقطار الإسلامية يشير فى الحقيقة إلى رد فعل من الأمم والشعوب التى فتحها الإسلام ضد العقلية الإسلامية التى لا تسلم بوسطاء أو شفعاء لدى الله . إنه لم يثر ضد إجلال الأولياء والرسول إلى مايقرب من العبادة أى ضد هذا التغيير الخطير فى العقلية الإسلامية الأولى إلا الطائفة الوهابية[(٢)] »

لايسوءنا أن يسجل هذه المخازى أولئك المستشرقون ، ويحملونها على المسلمين جميعاً ، ولكن الذى يجب أن نخزى به ، هو أن ندع هؤلاء الصوفية يقترفون هذه الجرائر ، وينفثون سمومها ، فيكيد للإسلام بها عدوه ، ويرمى المسلمين جميعاً بالحماقة والغباوة وعبادة الأساطير ، ويقول فى كل كتاب : هذا هو الإسلام !! وهم يوقنون أنه دين الصوفية ، لادين الله ، ولكنهم عدو يهتبل الفرصة ؛ ليمحق بها عدوًّا له ، ربما أخذتنا العزة ضد هؤلاء المستشرقين وحدهم . بيد أن الواجب هو أن تأخذنا العزة بالحق ، فنجتث الصوفية من أصولها ، وكفاها أن جعلت عدو الإسلام يحمل كل خزى لها عليه !! ليس أولئك المستشرقون هم عدونا الأول ، وإنما عدونا من ملكهم هذا السلاحَ يقاتلوننا به . وليس غير الصوفية !!

---

(١) ص ٢٢٧ العقيدة والشريعة .

(٢) ص ١٥٨ المدخل تأليف جوتييه ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى ، أما الوهابية فكلمة ابتدعها أعداء الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب مقابل نقده الحق للعصبية المذهبية المقيتة .

أنواع الكرامات

يزعم المناوى أن للصوفيين أنواعاً من الكرمات .

« النوع الأول : إحياء الموتى ، وهو أعلاها ، فمن ذلك أن أبا عبيد اليسرى غزا ، ومعه دابة ، فماتت ، فسأل الله أن يحييها ، فقامت تنفض أذنيها ، وأن مفرجا الدمامينى أحضر له فراخ مشوية فقال : طيرى بإذن الله تعالى ، فطارت . ووضع الكيلانى يده على عظم دجاجة أكلها ، وقال لها : قومى بإذن الله ، فقامت ، ومات لتلميذ أبى يوسف الدهمانى ولد ، فجزع عليه ، فقال له الشيخ : قم بإذن الله ، فقام ، وعاش طويلا ، وسقط من سطح الفارقى طفل ، فمات فدعا الله ، فأحياه[1] »

نفس المعجزات التى مَنَّ اللهُ بها على إبراهيم وعيسى ، وعلى الذى مَرَّ على قرية وهى خاويةٌ على عروشها !! ويقول الكلاباذى : « أجمعوا على إثبات كرامات الأولياء ، كالمشى على الماء ، وكلام البهائم ، وطىّ الأرض ، وظهور الشىء فى غير موضعه[2] » وقد نظمها حسن رضوان .

وإن تجلى جَلَّ شأنه على وَلِيِّه بقدرةٍ تجمَّلا
وشاهد الأشياء تحت قبضته وأنها تكونت عن قدرته
شهود غيب ، غير أنه ظهرْ عليه منه فى الشهادة الأثرْ
وَمِنْ هنا أحوال أرباب الْهِمَمْ كمشيهم فوق المياه بالْقَدَمْ
أو الهواء ، أو على السحاب أو طَيّ أو خبز من التراب
أو غير هذا من أمور خارقة لعادة ، والشرط أن توافقه[3]

ومن هنا دانت الصوفية بأولياء لهم « التصرف العام والحكم الشامل العام

---

(١) ص ١١ الكواكب الدرية لعبد الرءوف المناوى ط ١٩٣٨ م

(٢) ص ٤٤ التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذى ط ١٩٣٣ م

(٣) ص ٢٣٩ روض القلوب المستطاب .

فى جميع المملكة الإلهية ، وله بحسب ذلك الأمر والنهى والتقرير والتوبيخ والحمد والذم[١] » .

ويتحدث الكوهنى عن معجزات سلامة الراضى : « حملت إحدى زوجات الإخوان ، وفى التاسع مات الجنين ، وبقى عشرة أيام ميتا ببطن أمه ، وعند الوضع ذاكر هذا الأخُ شيخَنا ، فقال : كذلك يافلان ؟ ! وبتمامه تم الوضع طبيعيا كأن لم يكن هناك وليد مات منذ عشرة أيام . وأحد الإخوان كُفَّ بصره ، فذاكر حضرةَ الأستاذ ، فقال له : إن كتمت الأمر ، أبصرت ، فرضى بالشرط فمسح على عينه ، فأبصر ، وكان لبعض وجهاء بندر الجيزة ابنة وحيدة أصابتها حمى ، وبعد شفائها ، خرست ، فلم تتكلم أبدا ، فعرضوها على الأطباء سنوات ، فلم تُشْفَ ، فأحضروها لشيخنا ، ونظر إليها نظرة ، فسألها عن اسمها ، فنطقت به ، وذهب خرسُها فى الحال[٢] » .

نفس المعجزات التى من الله بها على عيسى عليه السلام .

وهكذا تدين الصوفية بأن من أوليائها من يبرىء الأكمه والأبرص ويحيى الموتى وكثير من هؤلاء الذين نسبت إليهم تلك القدر الإلهية طائفة تمردت على الله تمرد الشيطان ! .

الصوفية يملكون كلمة التكوين

تزعم الصوفية أن شيوخها يقولون للشىء : كن ، فيكون ، فيتحدث أحدهم عن الولى الذى استخلفه الله ، فيقول : « إنه خليفة يملكه الله كلمة التكوين متى قال للشىء : كن ، كان من حينه[٣] » .

---

(١) ص ٧٩ ج ٢ جواهر المعانى لحرازم .

(٢) ص ٢٥٨ طبقات الشاذلية الكبرى للحسن بن محمد الكوهنى الفاسى ، وقد ألف كتابه فى حياة شيخه « الذى مات من عهد قريب جدا » .

(٣) ص ٨ ج ٢ جواهر المعانى لعلى بن حرازم .

ويقول أبو السعود : « إن الله أعطانى التصرف منذ خمس عشرة سنة ، وتركناه تظرفاً » ويعلق ابن عربى على هذا بقوله : « وأما نحن ، فما تركناه تظرفا وإنما تركناه لكمال المعرفة »[١] ترى ماذا كان يعمل الله ، وأبو السعود يتصرف فى الوجود ؟ . هكذا يجعل الصوفية أولياءهم شركاء لله .

معجزات الرسل من قدرة الله

أما رسل الله ، فما كانت معجزاتهم طوع أيديهم ، كما تزعم الصوفية لشيوخها ، ولا بأمرهم ، وإنما كانت بيد الله وحده ، وبأمره ، يكرم بها نبيه متى شاء سبحانه، لا متى شاء الرسول . ماضرب موسى بعصاه الحجر ، أو البحر بأمره ، وما انفلق البحر بقدرته ، وإلا ففيم كان خوف موسى من أن يدركه فرعون وجنوده ، لو أنه كان حتى على ظنٍ من قدرة عصاه على فلق البحر ؟! .

بل لماذا مسته رعدة الخوف حين ألقى السحرة حبالهم وعصيهم ، حتى ثبته الله بقوله : (٢٠ : ٦٨ لا تخف ، إنك أنت الأعلى) أهذه آية قدرة على صنع المعجزات ؟ أم هو العجز البشرى يضرع فى صدق إلى قدرة الله المنقذة ؟ .

وما نزل جبريل بالقرآن على محمد بأمره ، أو إرادته ، بل بأمر الله وحده وإرادته (١٩ : ٦٢ وما نتنزل إلا بأمر ربك) .

وتدبر ، يتجل لك الهدى بينا من قوله سبحانه : (٢١ : ٦٩ قلنا : يانار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم) ماقالها إبراهيم ، وإنما القائل لها ـ لأنه القادر عليها ـ رب إبراهيم . فأين من هذا زعم الصوفية ، أن شيوخها يُصَرِّفون أقدار الوجود بنزغات الهوى ، وعواء الشهوات ؟! ويقولون للشىء كن ، فيكون ؟! تعالى الله عما يأفك الخرّاصون علواً كبيراً ! .

ثم ماذا يستفيد الخلق من دجاجة يردها الكيلانى إلى الحياة ؟ ومن دابة ،

---

(١) ص ١٢٩ جـ ١ فصوص ط الحلبي .

يحيي اليسرى منها العظام ، وهي رميم ؟! ومن كرامات الحريثي ووحيش يقترفان بغي الجريمة على مدرجة الطريق ؟!.

إن الصوفية ـ كما رأيت ـ قد حكمت بأن معجزات أولي العزم من الرسل طوع الهوى من البُلْه الخَرْقىٰ المشعبذين من أوليائها ! فماذا يمنع أدعياء الصوفية من الزعم بأن الله سبحانه أوحى إليهم قرآناً ، كما أوحى إلى محمد[١] ، مادامت الصوفية تحكم بأن معجزات الرسل أثارة من قدرة المعتوهين ، ومقترفي الإثم والخطايا ؟ بل مادمتم يا كهنة الصوفية قد حكمتم بأن لأوليائكم حياة كحياة الله،وقدرة قهارة شاملة ، كقدرته ، فالله سبحانه ، يقول : (٣٦ : ٧٨ قال : من يحيي العظام ، وهي رميم ؟ قل : يحييها الذي أنشأها أول مرة) ولقد زعمتم أن إحياء العظام ، وهي رميم من قدرة أوليائكم ؟ ولا ريب في أن من يقدر على أن يهب لغيره الحياة ، قادر على أن يهب الديمومة لنفسه ، والخلود الأبدي لحياته . و إلا ، فكيف يهب لغيره ، مالا يهب ، أو يستطيع أن يهبه لنفسه ؟! أرأيت إلى الصوفية ، كيف يصفون الحمقى الشاردين في تيه الضلالة بما يوصف به الخلاق العلي الكبير وحده؟

رجاء آخر

بودي أيها الصوفي ـ و إنه لود الإخلاص الصادق ـ أن ترفع على راحتيك كتاب الله ، ثم تتدبر بعض آياته بالفكر البصير ، والقلب الخشوع ، والنفس المستعبرة ، و يقيني أنك حينئذ ، ستثور ثورة العاصفة على عاد ، تدمر أصنام الصوفية وأوثانها ، وترجم باللعنات الغضاب طقوسها وكهنوتها ! وستغمر نفسك القلقة سكينة الإيمان ، و يقين التوحيد .

إننا في قرن حطم العلم فيه الذرة ، الجوهر الفرد الذي دان به الأشاعرة ركناً

---

(١) ادعاها ربيب الصوفية ميرزا محمد على الملقب « بالباب » ومن بعده مسيلمة ميرزا حسين على الملقب بالبهاء . وادعاها غلام أحمد القادياني !!

سادساً من أركان الإسلام ، فهل يمكن أن تعين ـ أعاننى الله وإياك ـ على تحطيم تلك الطواغيت الصماء ، تقف عقبة كئودا فى سبيل الوصول إلى الله ، وتنشر الخرافات العفنة والأخلاق العفنة ، وتجمع حول عفونتها ذباباً عفناً كثيراً ! .

سماع نطق الجمادات

يعدد ابن عربى أنواع الكرامات ، فيقول : « ومنها سماع نطق الجمادات على مراتب نطقها فى العوائد وخرقها[١] » والله يقول : (١٧ : ٤٤ ولكن لاتفقهون تسبيحهم) فهل نصدق المفترى ؛ لنكذب الله سبحانه ؟ ! : « ومنها مكالمته للملأ الأعلى ومحادثته لهم[٢] » .

ترى أكلم الصديق وعمر الملأ الأعلى ؟ بل أكلم الرسل قبل البعثة ، أو فى غير أوقات الوحى ؟ ولكن مَنْ الرسل عند الصوفية ؟ إن أى زنديق صوفى أفضل عندهم من خاتم النبيين . ألا ترى البسطامى يفترى : « تالله ، إن لوائى أعظم من لواء محمد[٣] » ويقول : « لأن ترانى مرة ، خير لك من أن ترى ربك ألف مرة[٤] » .

صوفى يطوف بالملكوت

يخاطب صوفى ربه بقوله : « إن قوماً طلبوك ، فأعطيتهم طى الأرض ، والمشى على الهواء ، وكنوز الأرض ، فانقلبت لهم الأعيان » ثم يتحدث عما أنعم

---

(١) ص ٧٥ مواقع النجوم لابن عربى ط ١٣٢٥ هـ

(٢) ص ٨١ المصدر السابق ، وقد أخذها ابن عربى عن أستاذه الغزالى ، وزاد هذا فقال : إن الولى يُنادَى من سرادقات العز ، كما نودى موسى !!

(٣) عن السهلجى والشعرانى فى لطائف المنن ، ص ١٢٥ ، نقلا عن شطحات الصوفية للدكتور بدوى .

(٤) المصدر السابق .

عليه به ربه ، فيقول : « أدخلني فى الفلك الأسفل ، فدوَّرني فى الملكوت السفلى ، فأرانى الأرضين ، وما تحتها ، إلى الثرى ، ثم أدخلني فى الفلك العلوى ، فطوف بى فى السماوات ، وأرانى مافيها من الجنان إلى العرش ، ثم أوقفنى بين يديه ، فقال لى : سلنى أى شىء رأيت حتى أهبه لك ، فقلت : ياسيدى مارأيت شيئاً أستحسنه ، فأسألك إياه ! »[1] حتى عرش الله ، لم يستحسنه هذا الصوفى الوقح ، ومع ذلك يزعم أن الله قال له : « أنت عبدى حقاً ! » .

أتراه ، وهو يطوف بجوف الأرض ، لم ير « البترول » ، فيدل على مكانه قومه ؟! .

والبيومى[2] يزعم أنه رأى الشيخ دمرداش فى السماء ، وأنه قال له : لاتخف فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وأنه كان يرى النبى فى الخلوة ، وأنه سمعه يقول لأبى بكر : اسع بنا نطل على زاوية دمرداش ، وأنه دخل على السيد البدوى ، ورأى النبى عنده ، وأنه خشى أن يكون واهما فى رؤية النبى ، فرأى الدمرداش عند ضريحه يقول له : مد يدك إلى النبى فهو حاضر عندى[3] ! .

صوفى يضمن الجنة لمن يطعمه

يزعم طاغوت التيجانية الأول مايأتى : « أخبرنى سيد الوجود يقظة ، لامناماً : كل من أحسن إليك بخدمة ، أو غيرها ، وكل من أطعمك يدخلون الجنة ، بلا حساب ، ولا عقاب ، فسألته لكل من أحبنى ، ولكل من أحسن لى بشىء من مثقال ذرة ، ومن أطعمنى طعامه ، كلهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب وسألته لكل من أخذ عنى ذكراً ، أن تغفر لهم جميع ذنوبهم ، ماتقدم منها ، وما

---

(١) ص ١٠٢ قوت القلوب لأبى طالب المكى ط ١٣٥١ هـ

(٢) على بن حجازى بن محمد البيومى توفى سنة ١١٨٣ هـ

(٣) ص ٣٢٠ جـ ١ عجائب الآثار للجبرتى .

تأخر ، وأن يرفع الله عنهم محاسبته على كل شىء ، وأن يكونوا آمنين من عذاب الله من الموت إلى دخول الجنة ، وأن يكونوا كلهم معى فى عِلِّيِّين فى جوار النبى ، فقال لى صلى الله عليه وسلم : ضمنت لهم هذا ضمانة ، لاتنقطع ، حتى تجاورنى ، أنت وهم فى عليين ! »[١] .

والله سبحانه يقول لمحمد : (٢٨ : ٥٦ إنك لا تهدى من أحببت) ويقول محمد صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة : « اعملى فإنى لن أغنى عنك من الله شيئاً » وتشهد امرأة جليلة لصحابى عند موته بقولها : أشهد أن الله قد أكرمك ، فيقول لها رسول الله معاتباً ، يضع الصواب مكان الخطأ : « وما يدريك أن الله قد أكرمه ؟ وإنى لأرجو له الخير والله إنى لرسول الله ، ولكننى لا أدرى مايفعل بى غداً ؟ ! » أما التيجانى ؟ ! لقد قرأت قوله ، فبم تحكم عليه ؟ ، غير أنى أضع إصبعك على قوله : « وكل من أطعمك » لأريك مبلغ حرص الصوفية على انتهاب أقوات الناس ؟ ! .

قلب الصوفى أوسع من عرش الله

يقول البسطامى : « لو أن العرش ، وما حواه مائة ألف مرة فى زاوية من زوايا قلب العارف ، لما أحس به ، فقلب العبد الخصوصى بيت الله ، وموضع نظره ، ومعدن علومه ، وحضرة أسراره ، ومهبط ملائكته ، وخزانة أنواره ، وكعبته المقصودة ، وعرفاته المشهودة[٢] » .

الملكوت فى بطن صوفى

والدبَّاغ الفاطمى الهدف يقول : « إنى أرى السموات السبع والأرضين

---

(١) ص ٩٧ وما بعدها ج ١ جواهر المعانى فى فيض التيجانى لعلى حرازم .

(٢) ص ١٢٠ ج ٢ فصوص الحكم لابن عربى ط الحلبى ، ص ١٤١ مواقع النجوم

السبع ، والعرش داخلة وسط ذاتى ، وكذا مافوق العرش من السبعين حجابا[١] »

كرامات شتى

واقرأ فى طبقات المناوى زعمه أن الصوفية يخاطبون الموتى ، وأن جده خاطب الشافعى رضى الله عنه فى قبره ، وأن روح « ذا النون المصرى [٢] » كانت تُدَبِّر أجساماً عدة [٣] ، وأن الخوَّاص ، كانت تنزل عليه الموائد من السماء ، وأن الخضر كان يسقيه ، واقرأ فيه تفضيل البسطامى [٤] الأولياء على الأنبياء [٥] وأن طارقاً طرق بابه ، فقال البسطامى : من تطلب ؟ فقال : أبا يزيد ، فأجابه : مافى البيت غير الله [٦] ، واقرأ للسلمى زعمه أن داود والخضر ، لقيا إبراهيم بن أدهم ـ وهو « بوذا » الصوفية ـ وخاطباه ، وأكلا معه ، وعلماه اسم الله الأعظم [٧] .

الجنة والنارُ بيدِ مَنْ ؟

يزعم الدسوقى أنهما بيديه ، فيفترى : « أنا بيدى أبواب النار أغلقتها ، و بيدى جنة الفردوس فتحتها ، من زارنى أسكنته جنة الفردوس ، وما كان ولى متصلا بالله ، إلا وهو يناجى ربه ، كما كان موسى يناجى ربه [٨] » .

معجزات الرسل بعض كرامات الصوفية

يفترى الدباغ هذا البهتان المجوسى ، فيقول : « كل ماأعطيه سليمان فى ملكه

(١) ص ٧٣ جـ ٢ الإبريز للدباغ

(٢) هو ثوبان بن إبراهيم النوبى توفى سنة ٢٤٥ هـ

(٣) سيأتيك زعم الدباغ أن روح القطب تدير ٣٦٦ جسدا .

(٤) هو طيفور بن عيسى أبو يزيد البسطامى توفى سنة ٣٦١ هـ

(٥) هذا دين الصوفية ، فابن عربى يقول :

مقـــام النبوة فى برزخ فويق الرسول ، ودون الولى

(٦) اقرأ كل هذا فى الكواكب الدرية للمناوى فى تراجم من ذكرت أسماءهم

(٧) ص ٣٠ ، ٣٤ الطبقات للسلمى ، ص ٨ الرسالة للقشيرى .

(٨) اقرأ ترجمة الدسوقى فى الطبقات للشعرانى .

وما سخر لداود ، وما أكرم به عيسى ، أعطاه الله وزيادة لأهل التصرف من أمة النبي ، ومكنهم من القدرة على إبراء الأكمه والأبرص . وإحياء الموتى[١] »

النَّشْلُ كرامة صوفية

وأبى الدباغ إلا أن يفضح أقطابهم بهذه الكرامة ، كرامة السرقة خلسة ، فيقول : « إن الولى صاحب التصرف ، يمد يده إلى جيب من شاء ، فيأخذ منه ماشاء من الدراهم ، وذو الجيب لا يشعر[٢] » والدباغ قطب صوفى معبود .

أأدلك على ردغة الوثنية فى تلك الشِّرْكيَّات ، أم تراها فى غير حاجة إلى دلالة ؟ وكذلك الظلام ، وكذلك النَّتن ، وكذلك اليَحْمُومُ الخانق ! .

الله ـ وتعالى علواً كبيراً ـ وعرشه وكرسيه ، ملكه وملكوته ، والعالم كله إنسه وجنه ، حيوانه وجماده ، عُلْوِيُّه وسفليه . مشاعر الناس وخواطرهم وإرادتهم وعواطفهم وقلوبهم ونفوسهم . كل أولئك فى دين الصوفية الآثم تحت قبضة طواغيتها ، وبطشهم ، وَطَوْعَ سعار غرائزهم الضارية ، وجنون شهواتهم المنهومة الآبقة ! .

القطب وأعوانه

أسطورة خرافية ، تنزع إلى تجريد الله من الربوبية والإلهية ، وَخَلْعِهِمَا على وَهْمٍ باطل سُمِّىَ فى الفلسفة : « العقل الأول » وفى المسيحية : « الكلمة » وفى الصوفية : « القطب » ! .

والقطب : هو أكمل إنسان متمكن فى مقام الفردية ، أو الواحد الذى هو موضع نظر الله فى الأرض فى كل زمان ، عليه تدور أحوال الخلق ، وهو يسرى فى الكون ، وأعيانه الباطنة والظاهرة سريان الروح فى الجسد ، ويفيض روح

(١) ص ١٢ الإبريز للدباغ ج ٢

(٢) ص ١٤ المصدر السابق .

الحياة على الـكون الأعلى والأسفل ، وقد يسمى « الغوثَ » باعتبـار التجاء الملهوف إليه (١) .

القطب القديم والقطب الحادث

والقطب عند الصوفية نوعان . أحدهما : حادث أو حِسِّى ، وهو ماسبق الحديث عنه ، والآخر قديم ، أو معنوى ، وهوالحقيقة المحمدية . يقول القاشانى : « وهو ـ أى القطب ـ إما قطب بالنسبة إلى مافى عالم الشهادة من المخلوقات يَسْتَخْلف بدلا منه عند موته من أقرب الأبدال منه ، أو قطب بالنسبة إلى جميع المخلوقات فى عالم الغيب والشهادة ، ولا يَسْتَخْلف بدلا من الأبدال ، ولا يقوم مقامه أحدٌ من الخلائق ، وهو قطب الأقطاب المتعاقبة فى عالم الشهادة لا يسبقه قطب ، ولا يخلفه آخر ، وهو الروح المصطفوى المخاطب بلولاك ، لما خلقتُ الـكون (٢) » .

حقيقة القطبانية

يقول كاهن التيجانية الأكبر أحمد : « إن حقيقة القطبانية ، هى الخلافة العظمى عن الحق مطلقاً فى جميع الوجود جملة وتفصيلاً ، حيثما كان الربُّ إلهاً ، كان هو خليفة فى تصريف الحـكم وتنفيذه فى كل مَنْ له عليه ألوهية لله تعالى ، فلا يصل إلى الخلق شىء كائناً ما كان من الحق إلا بحكم القطب ، ثم قيامه فى الوجود بروحانيته فى كل ذرة من ذرات الوجود ، فترى الـكون كله أشباحاً

---

(١) انظر جامع الأصول للـكمشخانلى والتعريفات للجرجانى تحت مادة « قطب »

(٢) ص ١٠٣ جـ ٢ كشف الوجوه الغر للقاشانى ، وقد ادعى ابن الفارض لنفسه أنه القطب القديم وقطب الأقطاب

فبى دارت الأفلاك ، فاعجب لقطبها الـ محيط ، والقطب مركز نقطة
ولا قطب قبلى عن ثلاث خلفتـه وقطبيـة الأوتاد عن بدليـة

لاحركة لها ، وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلاً ، ثم تصرفه فى مراتب الأولياء ، فلا تكون مرتبة فى الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه ، فهو المتصرِّف فى جميعها ، وَالْمُمِدُّ لأربابها ، به يُرْحَمُ الوجود ، وبه يبقى الوجود فى بقاء الوجود رحمة لكل العباد ، وجوده فى الوجود حياة لروحه الكلية وتنفس نفسه يُمِدُّ الله به العلوية والسفلية . ذاته مرآة مجردة ، يشهد فيها كل قاصدٍ مقصده[١] » .

عِلْم القطب

يتحدث تيجانى عنه بقوله : « ومما أكرم الله به قطب الأقطاب ، أن يعلمه علم ماقبل وجود الكون ، وماوراءه ، ومالا نهاية له ، وأن يعلمه علم جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من جميع الموجودات ، وأن يخصصه بأسرار دائرة الإحاطة ، وجميع فيوضه ، وما احتوى عليه[٢] » .

خصوصية القطب

« قطب الأقطاب فى كل وقت لا تقع بينه وبين الرسول حجابية أصْلا ، وحيثما جال رسول الله من حضرة الغيب ، ومن حضرة الشهادة ، إلاوعين قطب الأقطاب متمكنة من النظر إليه ، لايحتجب عنه فى كل لحظة من اللحظات[٣] » وحسبك هذا من تلك الأسطورة[٤] التى ألَّهتها الصوفية ، وجعلت منها رَبًّا أكبر يُعْبَد ، وَيُخْشَى ، وَيُرْهَب[٥] !! .

(١) ص ٨١ وما بعدها جواهر المعانى .
(٢) ص ٧٩ جـ ٢ المصدر السابق .
(٣) ص ٦٣ المصدر السابق .
(٤) كتبت عنه مقالا ضافياً فى مجلة الهدى النبوى
(٥) العجيب أن ابن الحاج ـ وله سابقة فضل فى محاربة البدعة ـ يؤمن بهذه الأسطورة ويقول عن القطب « إن الله تعالى يديره فى الآفاق الأربعة من أركان الدنيا =

أعوان القطب

أولاً : الإمامان ، وهما بمنزلة الوزيرين له ، أحدهما لعالم الملك ، والآخر لعالم الملكوت . ثانياً : الأوتاد الأربعة : وقيل هم ثلاثة ، كلما مات قطب الوقت أقيم مكانه واحد منهم ، وعِلْمُهُمْ فَيْضٌ من قطب الأقطاب ، وإن ماتوا ، فسدت الأرض ! ثالثاً : الأبدال : والبدَل حقيقة روحانية تجتمع إليها أرواح أهل ذلك الموطن الذى رحل عنه وليه . وعددهم أربعون ، اثنان وعشرون منهم بالشام ، وثمانية عشر بالعراق ! رابعاً : النجباء . وهم دون الأبدال ومسكنهم مصر ! وعملهم أن يحملوا عن الخلق أثقالهم وعددهم سبعون ! خامساً النقباء وعددهم ثلثمائة ، وقيل خمسمائة ، وهم الذين يستخرجون خبايا الأرض[1] ! .

تلك هى مملكة الأساطير التى ابتدعتها خرافات الصوفية الحمقى ، وخيالاتهم المَخْبُولَة[2] ؛ ليستعبدوا الخلق لما يشتهون ، وليجعلوا منهم أحلاسَ رهبة منهم ، وخوف مذعور . تلك هى المملكة التى ابتدعتها أوهام الصوفية إزاء ملكوت الله ؛ ليغصبوا بها من الأحياء أقواتهم وإيمانهم ، ومن الموتى أكفانهم ! ترى ماذا بقى لله وملائكته ورسله ؟ ! الله أكبر ، له الملك فى الدنيا وفى الآخرة .

خاتم الأولياء

وكما جعل الله للنبيين خاتماً ، جعل الصوفية للأولياء خاتماً ، والعنكبوت الأول

= كدوران الفلك فى أفق السماء » انظر ص ٣٢٨ مشتهى الخارف لمحمد بن الخضر الشنقيطى . وهكذا تقتل الصوفية بسمومها كل من يظن بها ظناً واحداً من خير !!

(١) المصدر السابق ، ص ٩٣ جامع الأصول للكمشخانلى .

(٢) بل تزعم الصوفية أن كل صوفى يستطيع أن يكون قطباً يتصرف فى الوجود . يقول أحدهم وهو يبشر الصوفية بنتيجة سلوك الطريق « وصرت أنت قطب الوجود تدوره بيدك كيف شئت » ص ١١٤ جـ ١ الفتوحات الإلهية ط ١٩١٣ م

الذى سال لعابه بهذه الأسطورة هو الحكيم الترمذى[١] ، قال السلمى : « نفوه من ترمذ ، وشهدوا عليه بالكفر بسبب تصنيفه كتاب « ختم الولاية » ، وقال : إنه يقول : « إن للأولياء خاتماً ، كما أن للأنبياء خاتماً ، وأنه يفضل الولاية على النبوة[٢] » ويقول ابن تيمية عنه : « فى كلامه من الخطأ ما يجب رده ، ومن أشنعها ماذكره فى ختم الولاية ، مثل دعواه فيه أنه يكون فى المتأخرين مَنْ درجته عند الله أعظم من درجة أبى بكر وعمر وغيرهما ، ومنها ما ادعاه من خاتم الأولياء الذى يكون فى آخر الزمان ، وتفضيله وتقديمه على من تقدم من الأولياء ، وأنه يكون معهم كخاتم الأنبياء مع الأنبياء[٣] » .

وتوالت عناكب الصوفية على هذه الأسطورة ، حتى قتلت بها ذباباً من الخلق كثيراً . قال ابن عربى ــ وهو يتحدث عن علم وحدة الوجود : « وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل ، وخاتم الأولياء ! وما يراه أحد من الأنبياء ، أو الرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم ، ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولى الخاتم ، حتى إن الرسل لايرونه ــ متى رأوه ــ إلا من مشكاة خاتم الأولياء ، فإن الرسالة والنبوة ــ أعنى نبوة التشريع ــ تنقطعان ، والولاية لا تنقطع أبداً ، فالمرسَلون من كونهم أولياء ، لايرون ما ذكرناه إلا من مِشكاة خاتم الأولياء[٤] »

تفضيل خاتم الأولياء على خاتم النبيين

زعم ابن عربى فى النص الذى نقلته عنه آنفاً أن الرسل لا يستمدون أشرف علومهم إلا من خاتم الأولياء ، وهذا يستلزم تفضيل الولى الخاتم على الرسل بعامَّة

(١) هو غير صاحب السنن ، فهو محمد بن على بن الحسن بن بشير أو « بشر » الترمذى الملقب بالحكيم عاش إلى حدود ٣٢٠ هـ

(٢) ص ١٧٠ جـ ٢ مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة طبع الهند .

(٣) ص ٧٩ وما بعدها رسالة حقيقة مذهب الاتحاديين لشيخ الإسلام ابن تيمية

(٤) ص ٦٢ جـ ١ فصوص الحكم ط الحلبى .

وعلى النبي الخاتم بخاصة ، يقول ابن عربى : « ولما مثل النبي صلى الله عليه وسلم النبوة بالحائط من اللَّبِن ، وقد كَمُل سوى موضع لبنة ، فكان صلى الله عليه وسلم تلك اللَّبِنَة ، غير أنه صلى الله عليه وسلم لا يراها إلا كما قال لبنةً واحدة ، وأما خاتم الأولياء ، فلا بد له من هذه الرؤيا ، فيرى ما مثله به رسول الله ، ويرى فى الحائط موضع لبنتين ، فلا بد أن يرى نفسه تنطبع فى موضع تينك اللبنتين ، فيكمل الحائط . . كما هو آخذ عن الله فى السر ما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه ؛ لأنه يرى الأمر على ما هو عليه ، فإنه آخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به إلى الرسول » ويقول : «وفينا من يأخذه عن الله ، فيكون خليفة عن الله بعين ذلك الحكم [1] » فضَّل خاتمَ الأولياء بأمرين ، أولهما : أخذه عن الله مباشرة ، أما خاتم النبيين فيأخذ عن الله بواسطة الملك . الأمر الآخر : هو أنه على يديه تم الدين ، فابن عربى يشير بهرائه ذاك إلى الحديث الصحيح الذى مَثَّلَ فيه رسولُ الله مابُعث به هو والأنبياء من قبله ببيت كانت تنقصه لَبِنَة ، وأنه صلى الله عليه وسلم ، هو الذى جاء بتلك اللبنة ، يعنى أنه هو الذى أتم الله به على المسلمين دينهم .

ولكن ابن عربى يزعم أن الدين كان ناقصاً لبنتين ، فأتى محمد صلى الله عليه وسلم بواحدة ، وأتى خاتم الأولياء بهذه ، و بلبنة أخرى ، فلم يكمل دين الله إلا على يد خاتم الأولياء ! أين هذا الإفك من قول الحق جل وعلا : (٥ : ٣ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) ؟! .

ادعاء كل شيخ أنه الخاتم

يقول ابن تيمية : « ثم إن هذا خاتم الأولياء صار مرتبة موهومة ، لاحقيقة لها ، وصار يدعيها لنفسه ، أو لشيخه طوائف ، وقد ادعاها غير واحد ، ولم يدعها

(١) ص ٦٣ ، ١٦٣ المصدر السابق .

إلا مَنْ فى كلامه من الباطل ، ما لم تقله اليهود ، ولا النصارى ، كما ادعاها صاحب الفصوص[١] » وحَقٌّ مايقول شيخ الإسلام ـ وعهدنا به الصدق والأمانة البالغة فى النقل ـ فابن عربى يزعم فى الفتوحات المكية أنه رأى رؤيا ، ثم يقول : « ثم عبرت الرؤيا بانختام الولاية بى[٢] » وادعتها التيجانية لشيخها أحمد . قال أحد أتباعه « الفصل السادس والثلاثون فى ذكر فضل شيخنا ، و بيان أنه خاتم الأولياء ، و إمام الصديقين ، مُمِدُّ الأقطاب والأغواث . . .[٣] »

لماذا فُضِّل خاتم الأولياء ؟

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : « ثم صاحب الفصوص وأمثاله ، بنوا الأمر على أن الولى يأخذ عن الله بلا واسطة ، والنبى يأخذ بواسطة الملَك ؛ فلهذا صار خاتم الأولياء أفضل عندهم من هذه الجهة[٤] » وابن تيمية فى فهمه الدقيق ، ووعيه الكامل ، وأمانته التى تستعصى على التهم يقرر الحق فى قوله ، فقد نقلت لك عن ابن عربى مايؤيد الحق الذى قرره ابن تيمية . وهاهو البسطامى يقول لأهل الشريعة : « أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحى الذى لايموت[٥] » ويقول : « خضنا بحراً ، وقف الأنبياء بساحله[٦] » وقال ابن عربى : علماء الرسوم ـ يعنى أهل الشريعة ـ يأخذون خلفا عن سلف إلى يوم القيامة ، فيبعد النسب ، والأولياء يأخذون عن الله ، ألقاه فى صدورهم من لدنه رحمة منه ، وعناية سبقت لهم عند ربهم[٧] » يعنى أن أتباع الشريعة الإسلامية ، إنما يأخذونها عن أناس طواهم الموت ، أما الصوفية ، فلهم الصلات المباشرة مع الله ، يأخذون عنه من غير واسطة ملك أو نبى أو رسول ! وبهذا كفروا بشريعة محمد ، ومهدوا لأتباعهم الكفر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ص ٦٣ وما بعدها رسالة حقيقة مذهب الاتحاديين .
(٣،٢) ص ١٥ جـ ٢ ، ص ٥ رماح حزب الرحيم .
(٤) ص ٦٤ رسالة حقيقة مذهب الاتحاديين .
(٧،٥) ص ٢٤٦ الكواكب الدرية للمناوى .
(٦) ص ٦٣ جـ ٢ جواهر المعانى .

الديوان الصوفى

للصوفية أسطورة تزعم أن فى الوجود ديوانًا باطنيًا ، يحكم فيه القطب الأكبر بما يشاء ، ويُصَرِّف ـ هو من ومعه من أقطاب صغار ـ أقدارَ الوجود . إنه عند الصوفية محكمة عليا يحاكم فيها الأقطابُ أقدارَ الله ، دون أن تستطيع أية قدة إلٰهية نَسْخَ حكم لها ، وقد وصف الدباغ هذا الديوان ، وفصَّل مهامه ، فلنترك له الحديث عن هذه الخرافة .

مكان الديوان وقضاته

يقول الدباغ : « الديوان يكون بغار حراء ، فيجلس الغوث خارج الغار[1] ومكة خلف كتفه الأيمن ، والمدينة أمام ركبته اليسرى وأربعة أقطاب عن يمينه ، وهم مالكية على مذهب مالك بن أنس ، وثلاثة أقطاب عن يساره ، واحد من

(١) سجل هذا على الصوفية الدرويش الصوفى الإنجليزى المستشرق ادوارد لين، فقال : « ويعتقد أن سطح الكعبة مركز القطب الرئيسى ، ويفضل مركزا آخر بباب القاهرة المسمى : باب زويلة ، ويسمى العامة باب زويلة : «المتولى» ؛ لاعتقادهم أنه مركز هذا الكائن المجهول ، ومن وراء مصراعى الباب العظيم الذى لايقفل أبداً فضاء صغير ، يقال: إنه مكان القطب ، ويدق المصابون بالصداع مسماراً فى الباب لفك السحر ،كما أن المصابين بوجع الأسنان يخلعون سناً ، ويولجونها فى أحد شقوق الباب ، وللقطب فى مصر مراكز أخرى أقل شهرة ، أحدها فى قبر السيد البدوى ، والآخر فى مدينة المحلة ، ويعتقد أن القطب ينتقل من مكة إلى القاهرة أو من مكان إلى آخر فى لحظة ، ويروى الكثير من المسلمين أن إلياس ويخلطه العامة بالخضر كان قطب زمانه ، وأنه يولى الأقطاب المتعاقبين ؛ إذ يقررون أنه لم يمت . ويزعمون أنه شرب من عين الحياة ، ويكلف بعض الأولياء القيام ببعض الأعمال الشاقة ويقال لهم : أصحاب الدرك » ص ١٦٣ المصريون المحدثون وقد جاء هذا الإنجليزى إلى مصر فى القرن ١٩ ، وتصوف وأخذ العهد ثم راح يسجل الخزى الخرافى لا على الصوفيين بل على المصريين عامتهم ، فانظر جناية الصوفية على مصر والإسلام ! !

كل مذهب من المذاهب الثلاثة ، والوكيل أمامه ، ويسمى : قاضى الديوان ومع الوكيل يتكلم الغوث » والدباغ مغربى ، ولمذهب مالك السيطرة فى المغرب ، فكان لابد من هذه العصبية التى جعلت الدباغ يزعم أن أربعة الأقطاب كلهم مالكية! ترى على أى مذهب كان أولئك الأقطاب قبل مالك ؟ ! ولو أن المتكلم كان حنفياً ، لقال : إنهم حنفيون !

أهل التصريف

« والتصرُّف للأقطاب السبعة على أمر الغوث ، وكل واحد من الأقطاب السبعة تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته ! » .

الذين يحضرون الديوان ولغتهم

« ويحضره النساء وصفوفهن ثلاثة ، ويحضره بعض الكُمَّل من الأموات ، ويكونون فى الصفوف مع الأحياء ، والأموات حاضرون فى الديوان ينزلون إليه من البرزخ يطيرون طيرا ، بطيران الروح ، وتحضره الملائكة والجن ، وفى بعض الأحيان يحضره النبى ، وكلامه مع الغوث ، وأما ساعة الديوان ، فهى الساعة التى ولد فيها النبى ، والأنبياء يحضرونه فى ليلة واحدة ، هى ليلة القدر ، فيحضره فى تلك الليلة الأنبياء والمرسلون ، ويحضره الملأ الأعلى من الملائكة المقربين ويحضره سيد الوجود معه أزواجه الطاهرات (١) ، ولغة أهل الديوان هى السريانية (٢) ؛ لاختصارها ، ولأن الديوان يحضره الأرواح والملائكة ، والسريانية هى لغتهم . والصغير من الأولياء يحضره بذاته ! » .

---

(١) هكذا فى وسط الرجال ؟ ! ومع عظم شأن ذلك الديوان ، فإن الدباغ يقول عن نفسه : « إيش هذا الديوان ؟ والأولياء الذين يقيمونه كلهم فى صدرى !! وإنما يقام الديوان فى صدرى والسموات والأرض بالنسبة إلى كالموزونة فى فلاة من الأرض » ص ٨ ج ٢ الإبريز .

(٢) تدبر الكيد الخفى للعربية لغة القرآن !!

عدد أجساد القطب الكبير

« وأما القطب الكبير ، فلا تحجير عليه ، فإنه يدبر على رأسه ، فيحضره ، ولا يغيب عن داره ؛ لأن الكبير يقدر على التطور على ما شاء من الصور ، ولكمال روحه ، تُدَبَّرُ له إن شاء ثلثمائة وستة وستين ذاتا(١) » .

تقاتل الأقطاب

« وقد يغيب الغوث عن الديوان ، فلا يحضره ، فيحصل بين أولياء الله من أهل الديوان ما يوجب اختلافهم ، فيقع منهم التصَرُّف الموجب لأن يقتل بعضهم بعضا(٢) ، وإذا حضر سيد الوجود مع غيبة الغوث ، فإنه يحضر معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن والحسين وفاطمة وتجلس فاطمة مع جماعة من النسوة اللاتى يحضرن الديوان » .

فيم يتصرف الأقطاب ؟

« وأهل الديوان إذا اجتمعوا فيه ، اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت إلى مثله من الغد ، فهم يتكلمون فى قضاء الله تعالى فى اليوم المستقبل والليلة التى تليه(٣) ، ولهم التصرف فى العوالم كلها السفلية ، والعلوية ، وحتى فى الحجب السبعين ، فهم الذين يتصرفون فيه ، وفى أهله ، وفى خواطرهم ، وما تهجس به ضمائرهم ، فلا يهجس فى خاطر واحد منهم شىء إلا بإذن أهل التصرف(٤) ،

---

(١) أى بعدد أيام السنة الكبيسة !! فله فى كل يوم إذن جسد جديد !!

(٢) يسفكون الدم ظلماً ، ومع هذا فهم أقطاب كبار يتصرفون فى أقدار الوجود والله يقول : (٥ : ٣٢ من قتل نفساً بغير نفس ، أو فساد فى الأرض ، فكأنما قتل الناس جميعاً) .

(٣) والله يقول : (٣١ : ٣٤ وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا) .

(٤) وصف الله نفسه بأنه عليم بذات الصدور ، وقد وصف الصوفية أقطابهم بهذا وأكثر منه ، فماذا تقول فيهم ؟

وإذا كان هذا فى عالم الرقا الذى هو فوق الحجب السبعين التى هى فوق العرش ، فما بالك بغيره من العوالم ؟! » .

انعقاد الديوان فى غير الغار

« ويكون الديوان فى موضع آخر غير غار حراء مرة فى العام فى موضع يقال له : زاوية أسا ! خارج أرض سوس ، بينها و بين أرض غرب السودان ، فيحضره أولياء السودان ، ويجتمعون فى غير هذين الموضعين السابقين ؛ لأن الأرض لا تطيقهم » [1] .

هذا هو الديوان الصوفى ، كما وصفه كاهن صوفى كبير نقلته بلفظه نفسه ، بل قل : هذه هى أسطورة الوثنية المخبولة الحمقاء [2] ، وكم للصوفية مثلها من أساطير !! قتلة سفاحون سفاكون للدماء ، ينعتهم الدباغ بأنهم يتصرفون فى أقدار الله وملكوته ؟! فماذا بقى للرب الصوفى ، وهذا ملكه كله فى قبضة السَّفَّاكين ؟!

---

(١) انتهى مختصراً بلفظه من الإبريز للدباغ جـ ٢ من ص ٢ إلى ص ٩ ط ١٢٩٢هـ

(٢) دمغهم بهذا الخبال مستشرق مسيحى ، فقال : « وللأولياء حكومة باطنة يرون أن عليها يتوقف نظام العالم ، ورأس هذه الحكومة الأعلى يسمى : القطب ، وهو أرفع صوفية عصره ، وإليه رآسة الاجتماعات التى يعقدها فى انتظام مجلس شوراه الموقر !! وأعضاء هذا المجلس لايعوقهم عن الحضور حواجز الزمان والمكان ، وإنما يأتون من أرجاء الأرض فى لمحة طرف ، يعبرون البحار والجبال والصحارى فى يسر بالغ ، ودون القطب درجات مختلفة من الأولياء ، وقد عدها الهجويرى فى ترتيب تصاعدى كما يلى : الأخيار ال ٣٠٠ ، فالأبدال ال ٤٠ ، فالأبرار ال ٧ ، فالأوتاد ال ٤ ، فالنقباء ال ٣ ، وهؤلاء جميعاً يعرف الواحد منهم الآخر ، ولايعمل الواحد منهم إلا برضى الباقين ، وعمل الأوتاد الطواف حول الأرض جميعاً فى كل ليلة ، فإن كان هناك مكان لم تقع أعينهم عليه ، بدت فيه فى اليوم الثانى شائبة نقص ، فيخبرون القطب حتى يجعل همه إلى ذلك المكان المشوب ، فيبرأ مما أصابه بفضل القطب » ص ١١٩ الصوفية فى الإسلام لنيكلسون ترجمة نور الدين شريبة .

بين الجاهلية و بين الصوفية

كانت الجاهلية فى إسفافها الوثنى أقل حماقة من الصوفية ، وتَدَبَّرْ ما قصه الله عن الجاهلية وشركها ، تجدهم كانوا يوحدون الله فى ر بو بيته توحيداً حرمت حتى من مثله قلوب الصوفية ، إن كانت لهم قلوب ! يقول تعالى : (٢٣:٨٤-٨٩ قل : لِمن الأرضُ ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون : لله . قل : أفلا تذَكَّرون ؟ ! قل : من رب السموات السبع ، ورب العرش العظيم ؟ سيقولون : لله . قل : أفلا تتقون ؟ ! قل : من بيده مَلَكُوتُ كُلِّ شىء ، وهو يُجِير ، ولا يُجَار عليه ، إن كنتم تعلمون ؟ ! سيقولون : لِله . قل : فَأَنَّى تُسْحَرون ؟ ! » .

هـذا دين الجاهلية ولـكن الله لعنهم لعناً كبيراً بشركهم ، لأنهم أشركوا بالله فى إلٰهيته ، فتضرعوا إلى غيره بالدعاء .

أما الصوفية ، فتدين بالقتلة ، والمجرمين ، وأوغاد الفاحشة أقطابا يتصرفون فى الوجود ، و يسيطرون بقهرهم على سـنن الله الـكونية ونواميس الوجود التى فطرها الله وحده ، وهو الذى يصرفها وحده ، ويتحكمون فى أقدار الله ، فلا ينفذ منها إلا ما يشتهون ، فأى الشركين أطغى بغيا ، وأخبث رجسا ؟ لقد وحدت الجاهلية الله فى ر بو بيته ، وأشركت به فى ألوهيته ، أما الصوفية ، فنفتهما عنه ، وأثبتتهما للمفاليك الصعاليك ، بل انحدرت حتى نفت وجودَ الله الحق ، ونعتته بالعدم الصرف ، أفيمكن أن يقاس إلحادُ الصوفية ، بشركِ الجاهلية ؟ أم ترى هذا ليلا غاسقا ، وترى الإلحاد الصوفى دياجير تطغى ، وتتراكم ، وتطول ، حتى لايعرف الأبد فيها بدايته ، أو منتهاه ؟ ! أجيبوا يا كهنة الصوفية ! ولـكن ، لا : فحسبى أن الجواب مُسْفِر الصُّبْح ، وضىء البيان ، قوى الدلائل !

الفصل السادس

« التصوف العملى »

لقد افتروا لك أن التصوف نوعان : نظرى أو إشراق ، والغاية منه معرفة الله « بالأذواق » واكتناه أسرار ربوبيته بالمواجيد ، فكانت نتيجته أن دان مؤتفكوه بالوحدة التامة بين الخلق والخالق ! والنوع الآخر منه هو العملى ، وهو قائم على الرياضات والمجاهدات أى على الذكر والزهد والعبادة . ومحاولة التفرقة بينهما ، كالتفرقة بين الخبث وريحه المنتن ، فالنظرى من التصوف وليد العملى ؛ لأن النظرية وليدة التطبيق ! وقد بينا لك دين الإشراقيين ، فلنأتك بنبأ الآخرين !

دعوى الزهد

زعمت الأوهام أن الصوفية برء زهادة ، وقداسة روحانية . يعرجان بالروح إلى الملأ الأعلى ، فدعنى إذن أسائل كل صوفى : أليس فى الإسلام ماتبلغ به النفس كمالها وسعادتها النضرة ، وما تتألق به الروح ، وتسمو إلى سماء الإيمان الحق ، والنورانية الصافية ، وما ينبغ به الفكر ، فيدرك الحق إدراكا لايشوبه رَيْبُ وهم ، ولا يريبه ظن ، وما يصفو به القلب ، فيفيض بالخير والرحمة والمحبة ؟ أحسبت الإسلام غير مجد فى تزكية الإنسان والتسامى به ، حتى تفر منحدراً إلى الصوفية ؟ إن فى إخلاص التوحيد ، وصدق الإيمان ، وطيب الإحسان فيما أنعم الله به لواحة وريفة الظل ، فنَّاء الخميل ، ثرَّة النبع فى صحراء الحياة ، تَتْرع من سلسلها العذب مايجعل الحياة حوليك مجالى خير وسلام وصفاء ، ومجانى نعيم روحى وسعادة نفسية . عبادتك الله كأنك تراه ، تجريد لك من نوازغ الشر ونوازعه ، وتزكية لك مما يضل به الفكر ، أو تطيش الغريزة ، أو تزل العاطفة ، أو يخمد الشعور بحق الحياة الطيبة . إنها تطلقك فى رحاب الوجود جهاداً دائباً فى سبيل الحق ، وعملا صالحاً

تنشد به رضاء الله وحده ، وتحقيق الخير العام للإنسانية ، وتسبيحاً وتقديساً لله وحده ، لا امتزاجاً ، أو اتحاداً ، كما تزعم الصوفية ! .

ذلك بعض مافى الإسلام ، فماذا فى الصوفية ؟! فيما ذكرت لك من قبل الجواب الصادق .

إن الزهد الذى تبشر به الصوفية ـ حين تريد اغتصاب اليتيم والمسكين [١] ـ ليس من شعائر الإسلام ، ولا من شرعته فى شىء ، مهما حاولت الصوفية تَوْشِيَتَه ؛ ليبدو لضحاياها شعيرة دينية سامية ! .

فمعنى الزهد تحقير الشىء ، والتهوين من شأنه فى اللغة التى شرفها الله ، فنزل بها كتابه ، وبهذا المعنى وردت فى القرآن ، ولم ترد مادتها فيه إلا مرة واحدة . قال تعالى يقص شأن السيارة الذين باعوا يوسف : (١٢ : ٢٠ وشروْه بثمن بخس دراهم معدودة ، وكانوا فيه الزاهدين) تأمل هذه الكلمات « بخس ، ودراهم ، ومعدودة » ثم تأمل ورود كلمة « الزاهدين » بعدها ؛ لتدرك جيداً حقيقة معناها .

فهو إذن ـ وهذا معناه ـ مما يمقته الله ورسوله ، ويبرأ منه كل مؤمن بالله ورحمته وحكمته ؛ إذ معناه تحقير نعم الله ، والتهوين من شأنها الأعظم .

إن فى الزهد الذى تزعمونه القضاء على الفرد ، وعلى قوى الجماعة الإسلامية ، فيه صرف للهمم عن الجد والسعى فى سبيل الخير للفرد والجماعة . والاستعمارُ القديم والحديث يعمل لنشر هذه الخرافة فى الشرق وحمل أهله على الإيمان بها ؛ ليعيش أهله أذلاء النفس مهزولى القوى ، يرضون باللقمة الساغبة من فتات المستعمرين ؛ عالة على مستعبديهم ، يجرعونهم المسكنة والصغار ! أشباحاً هزيلة ، وظلالا كابية لِرُكامٍ من الجيف !! وقد صدق الشرق فى أحقاب من تاريخه خرافة الاستعمار

---

(١) من أعجب ماترى . أن يدعو الشيوخ إلى الزهد . وهم يتكالبون على كل شىء خبيث ، يدعون سواهم إلى الزهد ؛ ليكون لهم هم وحدهم كل شىء . أفلا يدعون أنفسهم إلى التقوى ؟!

الصوفى ، فهوى من قمة المجد والقوة والحرية إلى حضيض المهانة والعبودية !

نبئونى ، ماذا يحدث لو اتخذ كل مسلم من الزهد الصوفى شريعة له ؟! سيكون المسلمون ــ وقد حدث ــ فريسة هينة سهلة ، لكل ناب باغية ، ومضغة محتقرة يمجها كل مِشْفر ! وهـذا هو هدف الاستعمار ، وربيبته الصوفية التعسة ! فى الإسلام الذى أتم الله به على عباده النعمة ، وأكمل الدين ، كلمةٌ لو أخذ بها المسلمون ، لكانوا مع الله وحده قلوباً عابدة ، ومع إخوانهم قلوباً محبة تنزع دائماً إلى الإيثار والفداء والتضحية : إنها « التقوى » تتقى الله ، فتطيعه طاعة قدسية ، وتتبع رسوله . تتقى الله ، فلا تغصب ماليس لك . تتقى الله ، فتعمل لنفسك مايزكيها ، ولغيرك مايسعده ، ويحفظ عليك وعليه الحياة (٨ : ١ فاتقوا الله ، وأصلحوا ذات بينكم ، وأطيعوا الله ورسوله) ولجلال هذه الشعيرة الإيمانية كان لها من الله هذا الجزاء الأعظم (٦٥ : ٢ ، ٤ ومن يتق الله ، يجعل له مخرجا .. ومن يتق الله ، يجعل له من أمره يسراً) .

(٧ : ٣٥ فمن اتقى ، وأصلح ، فلا خوف عليهم ، ولاهم يحزنون) .

(٧ : ٩٦ ولو أن أهل القرى آمنوا ، واتقوا ، لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) (٣ : ٧٦ بلى من أوفى بعهده ، واتقى ، فإن الله يحب المتقين) (١٦ : ١٢٨ إن الله مع الذين اتقوا ، والذين هم محسنون) .

فلماذا رغبتم عن « التقوى » إلى « الزهد » وهو تراث « المانوية » ؟ وقد هولتم به ، كأنما هو وحده السبيل لهداية الإنسانية الحائرة ؟ ترى هل ترون فى القرآن للزهد ذكراً ، أو أجراً ؟ ! .

أصل الزهد الصوفى

أتدرى عمن اقترف الصوفية دعوى الزهد الذى يحقر نعم الله ، ويعمل لتحطيم كل مُقَوِّمات الجماعة الإسلامية ؟ ! .

إنهم بَشَّرُوا بفتنة غَيِّة عن المجوسية المانوية التى آمنت بألوهية الخير والشر ، و بأن هذين المتقابلين فى قِيَم الأخلاق امتزجا بربها الأكبر امتزاجا تاماً ، وأن هذا الرب « المانوى[١] » الثنائى الطبيعة ، لن يستطيع التخلص من الشر الذى يُقَوِّم ذاته ، أو النجاة منه إلا بفناء العالم ، فوصى « مانى » مُسَيْلَمَةَ هذا الدين بالزهد وعدم الزواج ؛ لينحدر مسرعاً إلى هوة العدم . استمدته من « الغنوصية[٢] » التى زعمت أن غاية الإنسانية العظمى هى فى الاتحاد بالرب !! الرب « الغنوصى » الذى صنعه الهوى ، وأمدته الأساطير بالوجود الأسطورى ! .

---

(١) نسبة إلى مانى بن فاتك متنبىء فارسى ، وقد وصى أتباعه بالزهد المسرف فى الغلو . وبعدم الزواج ؛ ليفنى العالم ، فيستطيع الرب التخلص من طبيعة الشر الكامنة فيه . وعنه استمد الصوفية ذلك . يقول أبو طالب المكى مفترياً على رسول الله هذين الحديثين : « إذا كان بعد المائتين ، أبيحت العزبة لأمتى » أى عدم الزواج . وقال : « لأن يربى أحدكم جرو كلب ، خير من أن يربى ولدا » نفس الدين ، ونفس الهدف المانوى ! انظر ص ١٥٠ ج ٤ قوت القلوب ط ١٣٥١ ، تجد المانوية الصرفة ، ويقول الجنيد : « أحب للمبتدىء ألا يشغل قلبه بهذه الثلاث ، وإلا تغير حاله ، التكسب وطلب الحديث والتزوج ، وأحب للصوفى ألا يقرأ ولا يكتب ؛ لأنه أجمع لهمه » إذا كان لا يتكسب وهو شباب ، فمتى ؟ وإذا كان لا يطالب حديث الرسول ، فماذا ؟ وإذا كان لا يتعلم ، فأى شىء يكون هو ؟ لو أننا نفذنا وصايا الجنيد لم تبق للأمة الإسلامية باقية . انظر ص ١٣٥ ج ٣ المصدر السابق .

(٢) معناها الاصطلاحى إدراك الأسرار الربانية بواسطة الكشف ، والذى أعطاها هذا المعنى طائفة من المفكرين ، عاشوا فى القرون الأربعة الأولى من ميلاد المسيح ، ومنهم يهود ومسيحيون ووثنيون . وأهم مايدينون به هو الثنائية بين المادة والذات الإلهية ، ومحاولة اجتياز الفاصل بينهما عن طريق سلسلة من الوسطاء ، والمادة عندهم هى أصل الشر ، والسبب الذى من أجله انحطت طبيعة الإنسان ، ولكن الإنسان يستطيع عن طريق الخلاص « أى الزهد » أن يعود إلى الذات الإلهية والأصل الأول . انظر ص ٧ التراث اليونانى للدكتور بدوى .

هذا هو أساس الزهد الصوفى ، وهدفه ، عليه قام ، و يقوم ، وهو كما ترى غير التقوى الإسلامية . غيرها فى كل شىء ، غيرها فى المعنى والروح والنسب والغاية ، فغاية الزهد الصوفى تدمير الجماعة الإسلامية[(١)] ، وغاية التقوى سُمُوٌّ بالفرد ، وسمو بالجماعة ، وتَشْيِيدٌ لصروح العدالة والحب والإيثار والإخاء الكامل ، و بالرغم مما تأفك الصوفية من دعاوى الزهد ، فإنا نرى كهانها عدواً خصيما للقناعة ، فتوجههم ضراوة الذئاب إلى الفتك بالحملان الوديعة البريئة ، و يثيرهم الجشعُ إلى سلب ما على فم اليتيم .

و إلا فاهدنى إلى جواب ما أسائلك عنه . أيُحْسَبُ قانعاً من يغصب قوت اليتيم ؛ ليتخم به بطوناً تشكو البطنة ؟! من يهتك عن أيَامَى المسكنة ، وأرامل الفقر أستارَهُنَّ ؛ ليجعل منها للأصنام عمائم ضخمة كالداهية ، منتفخة كبطون السُّحْت ، سوداء كحقد المشرك ، حمراء كالجريمة المسفوحة ، خضراء كالعشب السام ، بيضاء كالكفن ؟! من يغصب الفُتَات من الغارمين ، ثم يأكله ناراً من الرِّبا الجائر ؟! من تَخُبُّ فى الحرير ، ويدب بنعليه على الطنافس ، ويزعج الهامدين بأبواق سياراته ، وتضج حانات الليل من عربدته[(٢)] ، ودراويشُه من حوله

(١) يتحدث جولد زيهر عن أثر الزهد الصوفى فى تغيير النظر إلى المثل العليا للمسلمين : « تغير النظر إلى المثل الأعلى للحياة الإسلامية ، فأصبح ينظر إليه من وجهة تخالف تلك التى أقرتهـا تعاليم المذاهب السنية ، وهكذا أثر الصوفيون على الجماهير الخاضعة لنفوذهم ، فقل إعجاب الناس بتلك السمة العسكرية لأبطال الإسلام — والشهداء الأقدمون ما كانوا إلا من فئة المجاهدين — فانصرفوا عنها ، وولوا وجوههم نحو صور الزهاد الشاحبة وأجسام العباد الهزيلة والرهبان المنقطعين فى الصوامع ، بل إن الأبطال الأقدمين فى عصور الإسلام الأولى الذين كانوا مثالا يحتذى ، صار لزاماً عليهم أن يحصلوا على صفات البطولة الجديدة ، أى أنهم جردوا من سيوفهم ، وألبسوا أردية الصوف !! » ص ١٥٤ العقيدة والشريعة .

(٢) قال أبو حمزة البغدادى ، مما يرائى ، ويخدع به عن حقيقة التصوف : « علامة الصوفى الصادق أن يفتقر بعد الغنى ، ويذل بعد العز ، ويخفى بعد الشهرة =

يخبون فى المآسى ، و يدبون على الفواجع ، و يقتاتون بالنكبات ، و يتجرعون غصص الدموع ، و يحتسون دمَ الجراح ؟! (١)

أيُحْسَبُ قناعة هذا النَّهَمُ المُسْتَشْرِى بالحرام ، وذلك التكالُب الضارى على سُحْت الأضرحة ؟! انظر إلى مَنْ حَوْلك من كهانها ، وأرنى فيهم من يَمَسه الزهد حتى خطرة ذاهلة فى مضغة حَيْرَى على شَفَتَىْ يتيمٍ محروم ، نالها بعد سَغَبٍ يائس !!؟ ذلك هو الزهد الصوفى ، فما ذكرهم ؟

الذكر الصوفى

فى أعياد الوثنية التى يسمونها : موالد ، وفى معابد الأضرحة التى يسمونها : مساجد ، وفى كهوف الدراويش ، وقد أتخموا بطون الطواغيت بالسحت !! فى تلك التخْمَات يقيم الصوفية حانات الرقص ، أو مايسمونه : الذكر ، فيجلس الشيخ بين صفين من دراويش تعشقهم الرذيلة ، ودرويشات نفرت منهن الفضيلة ثم يصفق بيديه اللامعتين من دسم الحرام إيذاناً ببدء الذكر ، ثم يُخرِج من شفتيه ومنخريه اسم الله مُلحِداً فى حروفه وفى النطق به !! وغضون جبينه تَهْمِزُ الحياء و تَلْمِزُ التقوى ، ومُنْشِد القوم يطربهم بالْغَزَل الداعر فى ليلى وسعاد ، أو بالدُّفُوف يدق عليها الشيطان ، و بالنايات تصفر فيها الشهوة ، ثم يهب الشيخ ،

= وعلامة الصوفى الكاذب أن يستغنى بعد الفقر ، ويعز بعد الذل ، ويشتهر بعد الخفاء » ص ٤ شرح الحكم لابن عجيبة وطبّق هذا على السادة الصوفية !!

(١) قال الأستاذ التابعى : « إننى أعرف شيخ طريقة اختار أحد بارات شارع شريف مقراً له . ويقصد إليه فى البار المذكور أتباعه ومريدوه كلما أرادوا مقابلته فى أمر ما ، ويخرج هو إليهم ويمد يده يلثمونها ، ورائحة الخمر تفوح من فمه ، وقطرات الخمر على يده ، وبقايا « المزة » على صدره وذقنه وأكمامه . . . ويلتفت الشيخ إلى أصدقائه الجالسين فى البار ويطلق نكتة ما . ويشترك معهم فى الضحك من عبط المريدين والأتباع » صحيفة الأخبار ١٩٥٥/١١/٢ .

ويهب معه المريدون ، وثَمَّتَ يميلون يَمْنَةً ويَسْرَةً ، مُتَأَوِّدَةً أعطافهم تَأَوُّد الراقصات يَلْمَحْنَ فى أيدى الرُّوَّاد دِنَانَ الخمر وفتنة الذهب ، وما هى إلا لحظة ، حتى تُجَنَّ هذه الأجسادُ بما فيها من رغبات مكبوتة ، مفصحة عن غليلها المحترق بالتأوُّه المخنث ، والتمايل الخليع ، و بالأصوات المنكرة المبحوحة من عويل الخطيئة والاستغاثة بزينب ، أو نفيسة . لا يريدون زينب الطاهرة ، ولا نفيسة العابدة . وإنما يريدون بهما شيئاً آخر !! فَكُلٌّ يُغَنِّى على أنثاه !! وهكذا يظلون فى اقتراف هـذا الزور المُلْحِد ساعة ، أو ساعتين[1] ، كُلٌّ يريد أن يثبت للعيون الرانية فى لهفةٍ ، والزغاريد المغازلة فى تَوَجُّعٍ مَشُوق ، أنه حيوان قَوِىُّ الجسد !! و بعد هذا يزعمون أنها كانت من ساعات التجلِّى !! ولـكم من أُم باعت قوتَ يتيمها ، وزوجٍ سِتْرَ امرأته ، ومدينٍ يهاـكه الدين بقيةَ طعامه فى سبيل «شيشة» الشيخ ، و «حشيش» الشيخ ، و «أفيون» الدراويش . وهم يرقصون فى حانات الذكر !!

أتراني بالغت ؟ أم أنى قصرت ؟ إخالك تنزع إلى اتهامى بالتقصير ، فـكل ذى بصر تقع عيناه على الصوفية يعربدون فى حانات ذكرهم ، تقع عيناه على مشاعل المجوس ، تتوهج كرَغَبَاتِ الفاجر !! وعلى الدفوف بأيدى فتية ، أسبلوا شعورهم ، وقد لمسهم الشيطان بلهيبه ، فراحوا يتكسَّرون على النغم الشَّرُود ، و يهصرون غصونهم على النظرات المتوهجة الرغبات ، وشيخُ الطريقة سعيد ؛ لأن شباك فتيته توقع فى حبالها الهائمين ، هذا يحدث ، وتراه ، ونراه ، ولا نسمع النكيرَ عليهم من أحد !! كأنما رذيلة القوم فضيلة مقدسة !!

ماهكذا ذكر الرسولُ ربه ، وما هكذا ذكر الصحابة من بعـده ربهم ،

---

(١) يظل الراقص الصوفى يتخلع ساعة فى حانة الذكر ، دون أن يحس بملل حتى إذا وقف للصلاة « يخبط الصلوات الخمس » فى خمس دقائق !! هـذا لأن الرقص الصوفى شهوة وخطيئة ، أما الصلاة فطهر وعبادة .

ماذكروه باسمه المفرد ، ولا ذكروه فى ميل وتَأَوُّد . ماذكروه بقيادة واحد منهم ينطق بالاسم مصفقاً ، وينطقون به وراءه . ماذكروه ، ولهم منشد يغازل ليلى !! ماذكروه وأصواتهم من ضجيجها تفزع الليل ، وتصك جنباته ، ماذكروه جزاء مضغة لحم ، أو نفثة « شيشة » !! ماذكروه بالنايات والطبول والدفوف . ولكنهم ذكروه ، كما علمهم رسوله ، أما من ذكَرَ اللهَ ذكر الصوفية فهم مشركو الجاهلية (٨ : ٣٥ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية)(١) . وكفرةُ اليهودية والمسيحية !!

ذكر الصوفية بِدْعَةٌ يهودية

جاء فى المزمور التاسع والأربعين بعد المائة : « لِيَبْتَهِج بنو صهيون بملكهم ليُسَبِّحُوا اسمه برقص ، بدف ، وعود ، لِيُرَنِّموا . . . هَلِّلُوا يا ، سَبِّحُوا الله فى قدسه ، سبحوه برباب وعود ، سبحوه بدف ورقص ، سبحوه بأوتار ومزمار ، سبحوه بصنوج الهتاف(٢) » .

وهكذا يذكر الصوفية !! وحسبك أن ترى حانةً صوفية يذكرون بها ؛ لتشهد الصلة الوثيقة بين الذكر الصوفى ، والبدعة الجاهلية اليهودية !! ولكن الدباغ يزعم : «أن الصوفية يهتزون يميناً وشمالا ؛ لأن الأقطاب رأوا الملائكة تفعل ذلك» ص٧٢ جـ ٢ الإبريز .

الشيخ جاسوس القلب

يوجب الصوفية على الذاكر « أن يستحضر شيخه ، وأن يستمد منه عند الشروع فيه ، فيقول : مددك يا أستاذى ، وأن يرى أن استمدَادَه منه ، عينُ استمداده منه صلى الله عليه وسلم ، فإنه الواسطة إليه ، وأن يستأذن شيخه بقلبه ، فيقول : دستور يا أستاذى ! وأن يستأذن أصحابَ الطريق والقَدَم ، وهم أهل

(١) المكاء : الصفير بالفم ، أو التشبيك بالأصابع والنفخ فيها . والتصدية : التصفيق

(٢) العهد القديم . المزامير ص ٦٤١

السلسلة ، فيقول : دستور يا أصحاب الطريق والقَدَم[١] » وهكذا توجب الصوفية على « الدرويش » أن يتلطخ بهذه الوثنية قبل أن يذكر الله ، وأن يستأذن كل هـذه الأصنام ؛ ليتقبل الله ذكره ، ويغمره برضاه ! حُجُبٌ صَمَّاء تمور حولها الدياجير ، وتقصف الأعاصير ، تضعها الصوفية فى طريق السالك ، حتى لا يرى شعاعةً من نور !

كيفية الذكر

« أن يهتز من فوق رأسه إلى أصـل قدميه ، وأن يبدأ بـ « لا » يميناً ، ويرجع بـ « إله » فيتوسط ، ويختم « إلا الله » يساراً قبـلة القلب ، فإن ذكر اسما مفردا كالله ، و « هو » ضرب بذقنه على صدره ، وأن يذكر مع جماعة مع رفع الصوت ، ويَنْتَعَ الـكلمة من سُرَّته إلى قلبه[٢] » هـذه « البهلوانية » الرعناء ، هى صورة الذكر الصوفى . ترى هل كان رسول الله ـ وهو يذكر ربه ـ يهتز من فوق رأسه إلى أصل قدميه ؟ أو كان يضرب بذقنه صدره ؟ أو كان يميل يمنة ويسرة ؟ لم يفعل شيئاً من ذلك ؛ لأنه نبى ؛ ولأنه رجل أبِىّ الرُّجُولِيَّة . أمَّا رفع الصوت ، فالله يقول (١٧ : ١١٠ ولا تجهر بصلاتك ، ولا تخافت بها ، وابتغ بين ذلك سبيلا) وأصل الصلاة الدعاء ، ولـكن الصوفية بهدى ربهم يَعْدِلون ! .

صيغ الذكر الصوفى

« من آداب المريد مع شيخه أن يذكر ما لقنه له أستاذه ، فلا يتجاوزه إلى غيره[٣] » ولهـذا تعددت صيغ الذكر الصوفى ، تبعاً لتعدد الطرائق ، وتباين الشيوخ ، فمنهم من يذكر بالاسم المفرد ، ومنهم من يذكر بـ « هو هو » ومنهم

---

(١) انظر ص ٢٨ وما بعدها من رسالة لأحمد عبد المنعم الحلوانى ، ص ٨٦ — رسالة منحة الأصحاب لأحمد بن عبد الرحمن الشهير بالرطبى .

(٢) المصدر السابق .

(٣) من رسالة الحلوانى ص ٣٠

من يذكر بـ « أه أه » . وكل طاغوت صوفى يحرم على عَبَدَتِه أن يذكروا بغير ما أذن لهم فيه ، أو أن يذكروا بما ترقص به الطرق الأخرى ؛ لاعتقادهم أن بعض أسماء الله قد يضر ذكرها هذا ، وينفع ذاك ، أو تضر فى حال ، وتنفع فى حال أخرى ، والخبير بما ينفع الذاكر ، أو يضره ، إنما هو الشيخ ؛ لهذا لايستطيع « الدرويش » أن يذكر « لا إله إلا الله » إلا إذا أمره بها شيخه ، ولاينادى ربه بيالطيف ، وإلا أصابه مَسٌّ أو خبال ، أو كما يسمونه « لطف » ! .

اسمع إلى القديس الصوفى ابن عطاء الله السكندرى يفترى الإثم الأكبر : « اسمه تعالى « العَفُوُّ » يليق بأذكار العوام ؛ لأنه يصلحهم ، وليس من شأن السالكين إلى الله ذكره ! اسمه تعالى « الباعث » يذكره أهل الغفلة ، ولا يذكره أهل طلب الفناء ، اسمه تعالى « الغافر » يُلقَّن لعوام التلاميذ ، وهم الخائفون من عقوبة الذنب ، وأما من يصلح للحضرة ، فذكره مغفرة الذنب عندهم يورث الوحشة ، اسمه تعالى «المتين» يضر أرباب الخلوة ، وينفع أهل الاستهزاء بالدين[1] » .

ويستمر ابن عطاء فى سرد هذا البهتان حتى يستوفى أكثر أسماء الله . والله تعالى يقول : (١٧ : ١١٠ قل : ادعو الله ، أو ادعو الرحمن ، أيًّا مّا تدعو ، فله الأسماء الحسنى) ويقول : (٧ : ١٨٠ ولله الأسماء الحسنى ، فادعوه بها ، وذروا الذين يُلْحِدون فى أسمائه ، سَيُجْزَوْنَ ما كانوا يعملون) اسمه الغافر لايصلح إلا للعوام ! كأنما أولئك الطواغيت معصومون من الذنب ، أو آلهة ! على حين كان يستغفر الرسول ربه فى اليوم مائة مرة ! فهل تجد رحما بين حق القرآن ، وبين باطل الصوفية ؟ !

(١) ص ٢٣ وما بعدها مفتاح الفلاح ط ١٣٣٢ هـ

ذكر رسول الله

ومن عبير السنة المطهرة ، يسطع عليك ما يشفى روحك ، فقارن بينه و بين ذلك اليحموم الصوفى . قال صلى الله عليه وسلم : « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله و بحمده ، سبحان الله العظيم » « متفق عليه » وكان صلى الله عليه وسلم يقول دبر كل صلاة حين يُسَلِّم : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، ولا حول ، ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة ، وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله ، مخلصين له الدين ، ولو كره الكافرون » « رواه مسلم » وقال : سيد الاستغفار أن تقول : « اللهم أنت ربى ، لا إله إلا أنت خلقتنى ، وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبُوء لك بنعمتك علىّ ، وأبوء بذنبى ، فاغفر لى ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » رواه البخارى .

وفى الصحيحين عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ، إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل : « اللهم لك الحمد ؛ أنت نور السموات والأرض ، ومَنْ فيهن ، ولك الحمد ؛ أنت قيَّام السموات والأرض ، ومَنْ فيهن ، ولك الحمد ؛ أنت رَبُّ السموات والأرض ، ومَنْ فيهن ، ولك الحمد ؛ أنت الحق ، ووعدك الحقُّ ، وقولك الحقُّ ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، ومحمد حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، و بك آمنت ، وعليك توكلت ، و إليك أنبت ، و بك خاصمت ، و إليك حاكمت ، فاغفر لى . ما قدمت ، وما أخرت ، وما أسررت ، وما أعلنت ، أنت إلهى ، لا إله إلا أنت ، ولا حول ، ولا قوة إلا بك » .

أرأيت إلى هـذا الذكر النبوى الجامع ؟ ! إنها ضراعة النبوة والعبودية الخالصة تفتحت لها أبوابُ السماء ، ما فيه ذكرٌ باسمٍ مفرد ، ولا ضربُ صـدرٍ

بذقن ، ولا هزة الرأس إلى أخمص القدم ! ما فيه التَّناوُح بالرأس يَمْنَةً ويَسْرَة ، ولا نَتْعٌ من سُرَّةٍ إلى قلب . ما فيه منشد ، ولا دف ، ولا شبابة . ما فيه دائرة يقف فى مركزها نُصُب يرقص الذاكرين بتَصْدِيته ! إنما فيه قلب مؤمن ضارع ملأه حب الله خشية ورهبة وتقوى ، يتوجه إلى خالقه الأعظم ، مالك الملك كله فى إيمان صادق ، وتوحيد خالص ، فصلوات الله وسلامه على محمد عبد الله ورسوله .

عبادة الصوفية

ذلك هو التصوف العملى فى شعيرتيه الزهد والذكر ، فما العبادة فيه ؟ أهى تلك الركعات ، أو السجدات التى لا يقر فيها قلب ، ولا جسد ، ولا تسلم فيها لله خاطرة واحدة ، ولا يخشع شعور ، ولا يضرع دعاء ؟ فإنما هى لأصنام القبور سجود وتسابيح ، وللجلاميدها الصم عبودية ، تطفح بالخشية منها ، والتقوى لها ، واللِّياذ بها ، والذهول المستغرق إلا عنها ! ألا ترى مساجد الله خرابا ، ومعابد القبور ، تمور بالحشود المحشودة فيها من كل صَوْبٍ وحَدَب ؟ ألا ترى مساجد الله التى طهرها الله من أوثان الأضرحة ، خاويةً على عروشها ، أما المعابد التى جثم على صدرها قبرُ ميت ، وثوت فيها رِمَّته ، أو وَهْمه ، فتضيق ـ على رحابها الفِساح ـ بالآمِّين لها رجاء بركات القبر ، والرِّمَّة البالية ، أو الوهم الخرافى المشيد عليه القبر ، أو العظام المنوعة من حيوانات شتى ؛ لتنصَبَّ النذور على السَّدَنَة ؟ ! ألا ترى تلك المعابد ينفق على فرشها وإضاءتها وتبخيرها الألوفُ ؟ ! أما مساجد الله فتترك للغربان تسلح عليها ، وللبوم ينعب فيها ! .

ما عبادة الصوفية ؟ أهى تلك النذور يحفدون بها إلى الجيف ؟ أهى هـذا السجود على عتبات الأصنام دوخها وطء النعال ؟ ! أهى هـذا التقبيل الملهوف العاشق لأحجار الأوثان رجاء سَلْسَبيل رحمة منها ومغفرة ؟ أهى هـذا التوسل إلى الله بعظام نخرة ، وصَفْوان أملس ، وخشب عافه السوس من طول ماطعم منه ؟

أهى هذا الدعاء العريض بالهامدين فى القبور ، ينشدون منهم مدد الحياة ، وروح الخلود ؟ أهى تلك الأوراد (١) الشِّرْكيَّة ينعق بها الصوفية تحت سجوات ليلهم المعربد ، وشفوف السَّحَر الراقص ، فى هيا كل الطواغيت ؟! أهى هذا الحلف بالقبور والهامدين فيها ، وجعل الحلف بالله عرضة للفرار من ذنب ، أو جريرة ؟ !

ذلك هو الجانب العملى من التصوف فى ذكره وزهده وعبادته ، أتراه يصلح لهداية الإنسانية ، وقيادتها إلى مُثُلها العليا ؟ أم تراه يفتك بها فتك السل الدفين بالصدر الرقيق الحزين ؟! أما جانبه النظرى ، فقد دانوا فيه كما بَيَّنتُ لك بأن العبد عين الرب ، وبأن الشرك عين التوحيد ، ذلك هو التصوف بنوعيه ، إن شئت أن تجعله نوعين ! فهل تراه يودى بالمسلمين إلاَّ إلى التهلكة بعد أن يحيلهم من عبادٍ للرحمن إلى عَبَدَةٍ للطاغوت ؟ من أمة قوية عزيزة كريمة موحدة الغايات والمبادىء إلى أشتات واهنة ، وأشباح هزيلة مستضعفة ، تضرب بها الوثنية فى متاهات الباطل ، ويقضى عليها الوهن والذل والصغار ، فتصبح المطايا الذلل للاستعمار ، وأحلاف الضعة ، والمهانة والاستكانة ؟ !

دعاوى الصوفية وأدعيتهم

غَشَّت الصوفيةُ بصائرَ عشاقها بما تَسْحَر به من فنون الخيال الْغَزَلِيِّ ، والشاعرية الحالمة فى الصور البيانية المتأنقة الفتنة ، المكحولة الرَّوْعَة ذلك ما جعل

---

(١) لكل طريقة ورد خاص بها تفضله على جميع الأوراد الأخرى ، بل تفضله على القرآن ، قال طاغوت التيجانية : « وسألته صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفاتح ، فأخبرنى أولا بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات ، ثم أخبرنى ثانياً أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع فى الكون ، ومن كل ذكر ، ومن كل دعاء كبير أو صغير ، ومن القرآن ستة آلاف مرة » ص ١٠٣ ج ١ جواهر المعانى لابن حرازم التيجانى طريقة . فتدبر كيف تجاهد الصوفية فى سبيل صرف المسلمين عن كتاب الله ! !

بعضهم يجادلنا فى شأن الصوفية ، فيأتينا بأدعية ونجاوى صوفيـة ، فيها وَشْىُ السحر الشاعر وفتنته ، وبدعاوى فيها روحانيةُ الحق وروعته ، ثم يقول : أوَمَنْ يقولون هذا ، تفترى عليهم أنهم غير مسلمين ؟ !

لهؤلاء الذين خَلَبَهمُ عشقُ الصوفيـة أقول : ما من كُهّان نحلة ضالة ، أو أحبار دين زائف ، إلا وناجوا معبودهم ، وَدَعَوْه بما يُخَيِّـل إليك من سحره أنه ضراعة نبوة فى فجر الوحى ، فهل نعدهم مسلمين بتلك النجاوى ، وهـذه الأدعية ؟ !

سلوهم قبل الفتنة : لِمَنْ هذه النجوى ؟ ولمن تضرعون بهذا الدعاء ؟ سـلوهم عن صفات معبودهم ، وأسمائه الحسنى ، وعن شرعته التى كلفهم بها ، وهناك حين يجيبونـكم توقنون أنهم لا يناجون الله ، ولا يدعونه ، وإنما يفعلون ذلك لآلهة أخرى ابتدعوها ؛ لِتُعْبَدَ من دون الله ! .

ويذكرنا هؤلاء المسحورون بدعاوى الصوفية ، إذ يفترون : « كلامنا هذا مُقَيَّدٌ بالـكتاب والسنة ! » وكذلك زعمت كل فرقة نجمت فى الجماعة الإسلامية ؛ لتجد لها أنصاراً وأعواناً من الأغرار ، الذين يخدعهم زيف القول الحلو عن رياء العمل المر ! قالتها الشيعة التى تؤَلِّه أئمتها ، وقالتها المُعَطِّلَة ، وقالتها المُجَسِّمة ، وتقولها القاديانية والبهائية ! وقد نقلت لك عن النابلسى ـ وهو صنم صوفى كبير ـ دعواه أن وحدة الوجود مستمدة من الـكتاب والسنة ! .

إنك لاتستطيع أن تمنع إنساناً من أن يدعى مايشاء ، ولـكن الذى تستطيعه هو أن تبتلى دعواه ، وتزنها بميزان الحق من الـكتاب ، وثمت تستطيع أن تحـكم عليه عن بَيِّنَةٍ بالصدق ، أو الـكذب فيما ادعاه . وقد ابتليتَ معتقداتِ الصوفية وأربابها وآلهتها ، فهل ترى لها أثارة من نسب إلى شرع ، أو عقل ؟

لقد جحدت الصوفية الحقيقة الأولى ، تلك التى يقررها الشرع ، ويحكم بها العقل . وهى أن الله سبحانه وتعالى مُغايِرٌ لخلقه فى ذاته وصفاته وأفعاله ، فـكيف

نحكم عليها بأنها تؤمن بما يترتب على تلك الحقيقة العليا من حقائق مقدسة ؟ ليس المهم أن تقول ، بل الأهم أن تعمل بما تقول ، فهل يعمل الصوفية بالكتاب والسنة ، كما ينافق بعض زعمائهم ؟ ! ومما يجادلنا به عشاقُ السحر الصوفى قول ابن الفارض :

وإن خطرت لى فى سواك إرادة   على خاطرى يوما حكمتُ بِرِدَّتى

وعلى ما فى هـذا البيت من غلو الإسراف فى دعوى التجرد (١) ، وحقارة الكذب ، فإن هؤلاء ينسون قول ابن الفارض فى نفس القصيدة :

فلا حَيَّ إلا من حياتى حياته   وطوع مُرَادِى كُلُّ نفس مُرِيدة

و ينسون ما طفحت به تائيته الكبرى من زندقة باغية الجرأة ، تؤكد لك أنه حين يناجى رَبًّا ، فإنما يعنى به أنثى مستباحة العفة ، أو رمة بالية أو نَفْسَه التى تَحَقَّقَ بها وجودُ ذلك الرب فى مرتبته الْعَيْنِيَّة ! و يجادلنا هؤلاء بقول رابعة : « ما عبدتك خوفا من نارك ، ولا طمعاً فى جنتك ، و إنما عبدتك لذاتك » ، ثم يهتفون لرابعة شهيدة العشق الإلهى ! رابعة التى تزعم أنها تجردت من كل رغبة ، أو رهبة ، أو طمع ، أو خوف ! .

هؤلاء ينسون أن رابعة بهذا السحر الصوفى الفاتن تستشرف عزة الألوهية ! وتفترى لنفسها الشائنة مقاماً يسمو عن مقام الرسل الذين جعل الله من صفاتهم أنهم يدعونه : رَغَباً وَرَهَباً ، أو خوفا وطمعاً ، يقول الله عن زكريا وآله : (٢١ : ٩ إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ، و يدعوننا رغباً ورهباً ، وكانوا لنا خاشعين) ثم

---

(١) للارادة الإنسانية مجال فساح من الخير الذاتى ، كإرادة الزواج . وكسب العيش ، وإرادة التمتع الروحى بمـا أبدع الله من جمال فى جنات الأرض ، وما على من يريد ذلك جناح من الله ذى الرحمة . ألم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم : « حبب إلى من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة » وهل الحب إلا إرادة مصممة قاهرة ؟ فهل أشرك محمد ؛ لأنه أراد ذلك ؟

تأمل هذه الآيات التى تنجيك من سحر رابعة : (٧ : ١٥٤ وادعوه خوفاً وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين) وَصَفَ الله من يدعونه خوفاً وطمعاً بأنهم محسنون ، والإحسان أسمى مراتب العبادة ، وأكمل مقامات العبودية ، والعبودية هى غاية الحب ، مع غاية التذلل ، فما الحب الذى تطفح به مشاعرُ رابعة ؟ !

(١٦:٣٢ ، ١٧ إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذُكِّروا بها ، خَرُّوا سُجَّدًا ، وهم لا يستكبرون ، تتجافى جنوبُهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ، ومما رزقناهم ينفقون) أرأيت فى صور القديسين الناسكين أروع من صور هؤلاء الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع لذكر الله ؟ ! ومن أخص صفاتهم دعاء الله خوفاً وطمعا ! فما حب رابعة ؟ !

من أخص خصائص البشرية أنها ترغب وترهب ، حتى بشرية الأنبياء والرسل ترهب وهى أسمى مقاماتها ، ومن أصدق الدلائل على الحب المسيطر القاهر ، أن يمتلئ القلب رغبة فى المحبوب ورهبة منه . رغبةً فى رضاه ، ورهبة من غضبه[1] أو جفاه ، فإذا لم تكن ثَمَّ رغبة فى نواله ، فقد سئمته ، وإذا لم تكن ثَمَّ رهبةٌ من عقابه فقد احتقرته ، وكلما تسامى الحب ، قويت الرغبة فى نوال المحبوب ، واشتدت الرهبة من حرمانه . الرغبة والرهبة جناحا الحب اللذان يُحلِّق بهما فوق الذرى ، فإذا تجردت منهما كان حبك كاذباً ، لايقهر منك شعوراً ، ولا يُوَجِّه إرادة .

ولكن رابعة تزعم أنها تجردت من تلك البشرية الطهور ، بشرية القديسين ، بشرية أولى العزم من الرسل ! فماذا وراء هذا الزعم ؟ وراءه أنها فى قمتها العليا

(١) وجزاء رضوان الله فى الآخرة الجنة ، وجزاء غضبه فيها النار ، فإذا لم ترغب فى جنته ، فأنت غير راغب فى رضاه ، وإذا لم ترهب ناره ، فأنت لاترهب غضبه ، وإذا لم ترغب الرضا ، وترهب الغضب ، فأنت دعى حب كذوب .

لاتدنو منها مكانة المصطفين الأخيار من أنبياء الله ، ووراءه أنها ليست بشراً ، بل إلٰها ، فالملائكة أنفسهم يرغبون ، ويرهبون ! ووراءه اتهامٌ صريح لمن نَزَّل القرآن ـ وتعالى الله عن إفك رابعة ـ بأنه أخطأ حين أمرنا أن ندعوه خوفاً وطمعا ، وَدَاجَى حين رغَّبَنَا فى الجنة ، وخَوَّفنا من النار .

دعواها التجرد شعورٌ منها ـ وما أخبث هذا الشعور وأكذبه ـ بأنها ساوت من تحب !! ثم مَنْ رابعة هذه ؟ أليست هى التى تقول عن الكعبة : « هذا الصنم المعبود فى الأرض[1] » ؟

ثم اقرأ هذه الآية : (٦٦ : ١١ وضرب الله مثلا للذين آمنو امرأةَ فرعون ، إذ قالت : ربِّ ابْنِ لى عندك بيتاً فى الجنة) هذه القدِّيسة العظيمة التى طيب الله ذكرها ، وخلَّده فى كتابه ، وضربها مثلا للذين آمنوا ، إنها تضرع إلى الله ؛ ليبنى لها بيتاً فى الجنة ، أما رابعة التى لاتزن فى القيمة خاطرة من امرأة فرعون ، فتستعلى أن تطلب الجنة ! واقرأ النور فى قوله سبحانه : (٩ : ١١١ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فَيَقْتُلون ويُقْتَلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل) وَعْدٌ كريم عظيم من الكريم القادر ، يشترى به نفسَ المؤمن ومالَه ، وماذلك الوعد ؟ أن تكون له الجنة ، وقد وصف وعده فى ختام الآية بقوله تعالى : « وذلك هو الفوز العظيم » ولكن رابعة فى تعاليها الجاحد ، لاتراه فوزاً عظيما ، فتطلب غيره ! أليس هذا اتهاما للكريم بالبخل ، أو بأنه لم يحسن الوعد ، ولا شراء نفسِ المؤمن ومالِه بالجنة ؟ !

وينتفض هؤلاء إعجابا بمعروف الكرخى[2] ، إذ يَرْوُون عنه أنه بال على

---

(١) ص ٣٨ وما بعدها كتاب شهيدة العشق الإلهى للدكتور بدوى .

(٢) توفى سنة ٢٠٠هـ وكان يقول : « إذا كانت لك حاجة إلى الله فأقسم عليه بى » انظر ص ٩ الرسالة للقشيرى مطبعة التقدم ، فتأمل منذ متى كفرت الصوفية ؟!

شاطىء نهر ، وتيمم ، فقيل : يا أبا محفوظ !! الماء منك قريب !! فقال : « لعلى لا أبلغه[1] » لقد كان رسول الله يطوف على نسائه ، فيغتسل منهن جميعاً بغسل واحد ، فلماذا كان لا يغتسل عقيب كل واحدة ؟ بل ثبت عنه أنه كان أحيانا يبيت جنبا ، غير أنه كان يتوضأ !! أكان معروف أشد خوفا من رسول الله ؟ والله أرحم مما يظن معروف ، لو أنه سبحانه قبض إليه عبده قبل أن يبلغ الماء القريب ليتوضأ . إنه هوس صوفى يغلو فى الحب ، حتى يتجرد من الرغبة والرهبة ، ويغلو فى الخوف ، حتى يتيمم والماء منه قيد شبر واحد !! فما ندرى أنحب حتى لا نخاف ، أم نخاف حتى لا نحب ؟! ويبهتون ابن حنبل أنه سأل بشرا الحافى عن الزكاة ، فقال بشر : أما عندكم فالعشر ، وأما عندنا ، فالعبد ، وما ملكت يداه لسيده !! وتبرق عيونُ الصوفية بالسرور السكران ، وتميد أعطافهم من نشوة الخمر الصوفى !!

هؤلاء ينسون الإثم الكبير فى قول الصوفى الحافى : « عندنا أم عندكم » فإنه نَزْغَةٌ من الأسطورة الصوفية التى تزعم : أن الدين شريعة وحقيقة[2] ، وأن الأولى دين الظاهرية ، وأن الأخرى دين الباطنية ، وقد سبق الحديث عن ذلك . ويتناسَوْنَ أنه ينتسب إلى غير أهله حين يزعم أن هذا الحق الذى قاله : « العبد ، وما ملكت يداه لسيده » هو من دين الصوفية ، أو من شرعة الباطن !

---

(١) ص ٨٣ طبقات الصوفية للسلمى ، وقد نسبه أبو طالب إلى الرسول . انظر ص ٢٩ ج ٣ قوت القلوب ط ١٣٥١ هـ

(٢) يقول الدباغ : « إن الولى يسمع كلام الباطن ، كما يسمع كلام الظاهر » ولهذا قد يعصى الولى الصوفى فى نظر الشريعة ، فيكون مطيعاً فى نظر الحقيقة . يقول الدباغ : « إن الولى الكبير فيما يظهر للناس يعصى وهو ليس بعاص وإنما حجبت روحه ذاته . فظهرت فى صورتها ، فإذا أخذت فى المعصية فليست بمعصية » ص ٤٢ ج ٢ الإبريز . وهكذا يطلب منا الصوفية اعتقاد أن معاصيهم طاعات !!

ثم مَنْ سيد بشر[١] ؟ لقد عرفتم سيد الصوفية الذى يعبدونه ، فاعرفوا إذن سيد بشر !

ويذكرنا هؤلاء بالأدعية الصوفية التى تَتَبَرَّج فيها أنوثةُ البيان الفاتنة ، وتَنْهَلُّ منها دموع الحب ، وتنوح جراحه ، ولكنى أذكر هؤلاء بأن البرهمية[٢] أو البوذية[٣] ناجت ربها بصلوات من الدعاء ، يغازل الروحَ شعرُها بالروعة الآسرة ، شفّافة الترانيم عن نفس دَلَّهَها العشق ، وقلب تَبَلَه الغرام ، كذلك صنعت الزَّرَادَشْتِيَّةُ[٤] والمانوِيَّةُ ، والفرعونية واليهودية ، والمسيحية والبهائية[٥] والقاديانية[٦] ! وأنت

(١) بشر بن الحرث أبو نصر الحافى مات سنة ٢٢٧ هـ

(٢) نسبة إلى « برهما » الكائن الأوحد كما سمى فى « الفيدا » كتاب الهند القديم المقدس ، وتؤمن هذه النحله بثلاثة آلهة « براهمان » الرئيس الأعلى ، و « فيشنو » إله الحياة ، والثالث « سيفا » وهو إله التدمير والخراب . وتؤمن هذه الطائفة بقدسية كهنة الدين ؛ لأنهم فى نظرهم الذين يملكون لهم الشفاعة عند الآلهة والتأثير عليهم ، وعنها أخذت الصوفية هذا التقديس .

(٣) نسبة إلى « بوذا » متنبىء هندى ولد فى القرن السادس قبل الميلاد . وقد تطورت البوذية حتى اعتقدت فى بوذا أنه إله تجسد لينقذ البشرية ، بأن تحمل عنها عبء خطاياها !! ويظن بعض الباحثين أنه أسطورة لم توجد ، وبصورة بوذا صورت الصوفية إبراهيم بن أدهم .

(٤) نسبة إلى « زرادشت » متنبىء فارسى ولد قبل المسيح ، جاءهم بكتاب اسمه أفيستا ، ثم أضيفت إليه شروح فسمى : «زند أفيستا» وتؤمن هذه النحلة بإلهين أحدهما للخير ، واسمه « أورمزد » وآخر للشر ، واسمه « أهرمن » إلا أن زرادشت يؤمن بانتصار الخير على الشر ، فهو ذو نزعة تفاؤلية ، لا تشاؤمية كما فى ديانة مانى .

(٥) نسبة إلى ميرزا حسين على الملقب بالبهاء ، وخلاصة دينه أن الله سبحانه يظهر فى دورات متعاقبة فى صور الرسل ، وأنه ـ أى ميرزا حسين على ـ أتم وأكمل صورة للتجسد الإلهى ، وأنه النبع الذى استمد منه الرسل جميعاً من لدن نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

(٦) نسبة إلى ميرزا غلام أحمد القاديانى نسبة إلى قاديان توفى سنة ١٩٠٨م وقد =

إذ تتلو من أدعية هؤلاء – دون أن تكون على بينة مِنْ نِسْبَتِها إليهم – لن تشك فى أنها ضراعات القديسين ، بَشَّرتهم برضاها السماء !! فهل نعدهم بهذه الأدعية دعاةَ حقٍ ، وجنود إسلام ؟! لا تسأل الداعى : بماذا تدعو ربك ؟ ولكن سله أولا : من رَبُّكَ الذى تدعوه ، وما صفاته ؟!

وهاك أنماطاً من الأدعية ، فاقرأها ، وتدبرها ، وثمت تشعر بقلبك ، وقد غمره اليقين بأنها ضراعة عبودية خالصة تبتبل تحت السَحَر فى المحاريب ، بيد أنك حين تعرف حقيقة مَنْ بَثَّ دموعَ الحب فى تلك الأدعية ، وإلى أى دين هو ينتسب ، سَيَرُود بك العجبُ كل مَرَادٍ له ، وستأسى على هـذا الحلم الجميل الذى نعم به خيالُك لحظة ، بل ستشعر ، كأنما تهوى من قمة السماء إلى غَوْر جُبٍّ سحيق عميق ! غير أن هـذا سينجيك من السحر الصوفى الذى يفتنك عن الحق بما يسكرك به من سلاف الأدعية ، فتظن بالصوفية فى نشوتك ظن الخير ، وتحسبها مع المسلمين فى فجر ومحراب ! .

فاقرأ معى هـذا الدعاء : « اللَّهُمَّ لِتَكُنْ مشيئتك أن أسير فى طريق شريعتك ، وأن أرتبط ارتباطاً وثيقاً بوصاياك ، اللهم احمنى من الذنوب والعصيان وإغراء الشيطان ، ولا تجعلَنْ للشهوات سلطانا عَلَيَّ ، ولتكن إرادتى خاضعةً لك ، أعِنِّ على التمسُّك بالخير ، واشملنى برعايتك اللهم آمين [1] » أترى فى هذه النجوى أثارة من باطل ؟ أم تجدها صالحة ؛ لتدعو الله بها ، وأنت حول بيته ؟ وتأمل قوله : « اللهم اللهم » وقوله : « لتكن إرادتى خاضعة لإرادتك [2] » .

=ادعى أنه المسيح الموعود ، أو المهدى المنتظر ، وأن الله يوحى إليه ، وقد انشطر أتباعه من بعده شطرين أحدهما الأحمدية ، والأخرى القاديانية ، والأولى أقل غلواً من الأخرى ، وكلتاهما تكفر من لا يؤمن بغلام أحمد على أنه المسيح الموعود !!

(١) ص ٢٤٦ كتاب الفكر اليهودى جمع دكتور هرمس ترجمة ألفريد بلوز

(٢) قارن بهذا قول ابن الفارض « وطوع مرادى كل نفس مريدة » .

ولـكن أتدرى لمن هـذا الدعاء ؟ إنه ليهودى ! والله تعالى يقول عن اليهود : (٢ : ٦١ وضُرِبت عليهم الذلة والمسكنة ، وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق ، ذلك بما عصوا ، وكانوا يعتدون) فهل شفع هذا الدعاء وغيره عند الله لليهود ؟ كلا . وإن راحوا يملأون به سمعَ الوجود ؛ لأنهم لا يدعون به الله ، وإنما يدعون رَبًّا آخر ، اختلقته أوهامُهم المادية الصماء ، لقد رفعوا أيديهم إلى السماء ، وهى ملطَّخة بدم النبيين ، وفى قلوبهم شتَّى أرباب وآلهة ! وأطغى من هذا الشر ، اقترفت الصوفية .

وهاك آخر : « إلٰهى عليك توكلت ، فلا أخزى إلى الأبد ، عرفنى يارب طرقك ، وسُبُلَكَ ، علمنى ، أرشدنى إلى حقك ، وعلمنى ؛ لأنك أنت هو إلٰهى ومُخَلِّصى ، وإياك رجوت اليوم كله ، إذا تَصَوَّرْتُ كثرة أفعـالى الرَّدِيَّة أنا الشقى ، فإنى أرتعد من يوم الدَّيْنُونَةِ الرهيب[1] ، لـكن إذ أنا واثق بتحَنن إشفاقك ، أهتف إليـك مثل داود : ارحمنى يا ألله كعظيم رحمتك[2] » وهذه النجوى الحنون ، ألا تجدها رَفَّافَةً بروح الحب الآمل فى رحمة المعبود ؟ ألا ترى فيها الهتاف بدعاء : « يا ألله » .

ولـكن أتدرى ما هى ؟ إنها صـلاة رومية أرثوذكسية ! والله تعالى يقول عن هؤلاء ، ومن دان دينهم : (٥ : ٧٣ لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد) فهل شفع ، أو يشفع هـذا الدعاء ، ومثله لهم ؟ أتراه ينسخ عنهم حكم الله بأنهم كافرون ؟ ! كلا ، وإن تجاوبت بأصـدائه جنبات الوجود ! فقد آمنوا برب هو ثالث ثلاثة ، فلم يناجوا بها « الله » حقا ، وإنما ناجوا بها ربًّا ، يزعمون أنه تجسد فى ثلاثة مظاهر ! وكُفر الصوفية أَشَـدُّ شناعة ؛

---

(١) قارن بهذا زعم ابن عربى أن الوعد فى الآخرة عين الوعيد ، وأن النار عين الجنة !!

(٢) ص ٢٤١ ، ٢٦٨ كتاب خلاص النفوس فى الصلوات والطقوس

فقد آمنت بربٍّ هو عينُ كل شيء ! أو كما يقولون فى تسبيحتيهم المقدَّستَيْن : « المظاهر عين الظاهر » يعنون بالمظاهر أنواعَ الخلق ، و بالظاهر الله تعالى وتقدس والأخرى : « ذات ماترى ، عين مالاترى » يعنون أن ماتراه بعينيك من مظاهر الوجود هو عين الإله الصوفى ! .

وهاك دعاء آخر : « السلام عليك أيها الإله العظيم ، لقد أتيت إليك ياسيدى فى سلام ، فكن بى عطوفا ، فأنت صاحب العطف ، واستمع لندائى ، لبِّ ما أقوله ، فإنى أنا واحد من عابديك[١] » أتنكِر من هذا الدعاء شِرْكا ؟ أو تستنكر منه وثنية ؟ ولكنك إذ تبتلى معتقد صاحبه ، تحتدم عاطفتك مقتاً له ، ولسانك لعنة تنصب عليه ؛ فإنه لوَثَنية فرعونيـة عبدت رَبَّها فى صورة عجل ، أو كوكب ! وكذلك الصوفية ! بل إنها مرَّغت تلك الوثنية الفرعونية فى رَدْغتها ثم خرجت بها صوفية تعبد كل شىء !

واستمع معى إلى هذا الدعاء : « ربنا إنا نتوجه إليك ، ونتضرع بين يديك ونذكرك بالتهليل والتكبير ، ونثنى عليك بالتسبيح والتقديس . إلهى ! وملاذى ، وكهف صَوْنى وعَوْنى فى شدائدى و بلائى ، إنى أبسط إليك أكف الضراعة ، وأمد إليك أيدى الابتهال ، يارب المتعالى ، و ياذا الجلال والجمال ، أن تنزل كل بركتك وموهبتك ، وسابقة رحمتك ، وسابغة نعمتك على أحبتك الذين شملتهم لحظات أعين رحمانيتك[٢] » فهذه النجوى المُضمَّخَة بالعبير سكران الرَّوْح ، غرامِيّ النفحات ، أتحس فيها شيئاً يرغب عنه إخلاص توحيدك ؟ ولكن أتدرى لمن هى ؟ إنها للزنديق القزم القمىء عباس بن ميرزا حسين أو « عبد البهاء » يناجى بها رَبَّه أفتجعل منه هذه الصلاة مسلما ناسكا فى الفجر ؟! كلا ، فإنه لا يناجى بها الله ، و إنما يناجى بها أباه ميرزا حسين على الذى آمن به زنادقة البابية من الشيعة أنه

(١) ص ٣٤١ « مصر » تأليف أدولف إرمان ترجمة الدكتور عبد المنعم بكر .
(٢) ص ٢٢٠ ، ٢٦٥ مكاتيب عبد البهاء .

أتم وأكمل مظهر تجسَّدت فيه الذات الإلٰهية ، فقد زعم لهم ذلك ، فآمنوا بما زعم!
وقد زادت الصوفية هذا الكفر خطيئة ، فعبدت رَبا يتجسد بذاته ووجوده وصفاته وأفعاله فى كل شىء !

مقارنة

ثم قارن بين تلك الأدعية التى آمنت ألفاظها ، وكفرت قلوبها ، وبين هذا الدعاء الصوفى الذى كفر لفظه ومعناه وقلب مفتريه ! « إلٰهى استَهلِكْ كُلّيَّتى فى كُلّيَّتك ، وأمدَّ أوَّليَّتى بأوَّليَّتِك ، حتى أشهد أوليتك فى أوليتى ، وآخِريتَك فى آخِريَّتى ، وظاهِريَّتك فى ظاهريتى ، وباطنيتك فى باطنيتى ، وقابليتك فى قابليَّتى ، وأنت فى إنِّيَّتى [١] ، وهُوِيَّتك فى هويتى [٢] ، ومعيتك فى معيتى ، حتى أكونَ عنوان ذلك السر كله بل شكله وصورته [٣] » يدعو الله سبحانه وتعالى أن يجعله عينه وجوداً وذاتاً وحقيقة ! ! وَمَنْ يجرؤ على هذه الزندقة غير ابن عربى ؟ !

وإليك صلاته على نبيه : « اللهم صل وسلم وبارك على الطلعة الذات المُطَلْسَم ، والغيث المُطمْطم ، لاهوت الجمال ، وناسُوتِ الوصال [٤] ، وطلعة الحق ، هوية إنسان الأزل [٥] ، فى نشرِ مَنْ لم يزَل [٦] ، من أقَمْتَ به نواسيتَ

(١) أى وجوده الظاهر .

(٢) الهوية باطن الذات الإلهية عند الصوفية ، يطلب من الله أن يجعل وجوده الباطن والظاهر عين وجوده هو فى إنيته وهويته !!

(٣) ص ١٥ مجموعة الأحزاب ط استامبول سنة ١٢٩٨ هـ

(٤) أى الإنسان الذى وصل بين الألوهية والإنسانية فى ذاته ، فباطنه لاهوت ، وظاهره ناسوت .

(٥) أى حقيقة الله ، فالله عند ابن عربى إنسان قديم !

(٦) أى هو الإله القديم الذى ظهر فى صورة إنسان ، وعن هذا الإنسان انتشرت جميع الأنواع الخلقية ، وعنه ينتشر مالا يزال فى مكنون الغيب من أنواع الخلق .

الْفَرْق إلى طريق الحق ، فَصَلِّ اللهم به منه فيه [(١)] » ! يقول ابن عربى : اللهم صل على محمد الذى تَجَسَّدَ فيه اللهُ ، اللهم صل على نفسك التى ظهرت ، وتظهر فى فى صور الكائنات . ألا ترى مع الحق أن هـذا الدعاء الصوفى يَحْمُوم الكفر الأثيم ، وخطيئة الوثنية الجاحدة ؟

وما إخالك بعد هـذا مِمَّن ستخدعه فتنةُ السراب الخلوب فيما تتغزَّل به الصوفية من أدعية شعرية أو نثرية ، فإنها إذ تدعو ، أو تصلى ، فإنما تفترى ذلك لرب ليس هو ربك الحق أيها المسلم ، قد يفتنك من الصوفى دعاؤه : « اللهم » غير أن هـذا الدعاء يهتف به البوذى واليهودى والبهائى ، وكُلٌّ يعنى به رب هواه ، وإله أساطيره ! وقد يخدعك من الصوفى قوله : « اللهم صل على محمد » ويقولها أيضاً البهائى ! فمحمد الذى تصلى عليه الصوفية ، ليس هو خاتم النبيين ، وإنما هو ظن ابتدعوه ، وسموه : « محمداً » ؛ ليفتنوك به . محمدهم هو إله الآلهة الصوفية فى تجسد بشرى ، بل إنك لترى الصوفية فى كتبهم لا يسمونه إلا : بـ « الحقيقة المحمدية » يعنون بذلك أن الله حقيقـة متعينة أو متجسدة فى صورة محمد ! ! (٦ : ١١٦ إن يتبعون إلا الظن ، وإن هم إلا يخرصون) (٤٥ : ٢٢ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه [(٢)] ، وأضَلَّه الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمَنْ يهديه من بعد الله ، أفلا تَذَكَّرون ؟) هذا حكم الله ، فبأيِّ حكم بعده تؤمنون ؟ !

ويأفك الصوفية أنهم أحباء الله ، وأحباء رسـوله ! يفترون ذلك فى صوت ناعم رقيق ، فَيُرْعِشُ جسدكَ سكرُ الصوت الْمُفعَم بأنوثة الرياء ، وخنوثة النفاق فيصرخ « الدرويش » فى وَجْهِ مَنْ يذكِّره بالحق : « أَوَمَنْ يقولون ذلك

---

(١) ص ١٤ المصدر السابق .

(٢) العجب أن ابن عربى يقرر أن الهوى إلـه حق يجب أن يعبد ، ويستشهد بهذه الآية ، ويقرر صحة عبادة الهوى !! انظر ص ١٩٤ فصوص الحكم ط الحلبى جـ ١

تفترون عليهم أنهم عدو لله ! ؟ » ولـكن لا تنس ياصاح أن اليهودية والنصرانية زعمتا هـذا ، فـكذبهما الله (٥ : ٢٠ وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء الله ، وأحِبَّاؤُه . قل : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟! بل أنتم بشر مِمَّن خلق) (٤٧ : ٢٨ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله ، وكرهو رضوانه ، فأحبط أعمالهم) والدليل على الحب الصادق لله طاعته وتقواه ، ومتابعة رسوله فيما جاء به (٣ : ٣١ قل : إن كنتم تحبون الله ، فاتبعوني يُحْبِبْكم الله) .

ولقد ذكرت لك دينَ الصوفية كما هو فى كتبهم المقدسة ، فهل تجد فيه بارقةً مِنْ ظَنّ ، تميل بك إلى توهم أنهم أحباء الله وأوِدَّاء رسوله ؟ إنهم دانوا بأحبارهم وكهانهم أرباباً من دون الله ، فـكيف تصدق أنهم أحباء الله ورسوله ؟

ودعوى حبهم للرسول وآل بيته دعوى الرجس أنه قداسة ، والإثم الـكبير أنه روحانية فضيلة !! وكتلك الفرية افتراء الشيعة أنهم أحباء آل بيت محمد !! أترى الشيعة والصوفية : اتبعوا الرسول ، وجعلوه وحده الأسوة والقدوة الحسنة ؟! ماثَم مايحتجون به لدعواهم سوى العـكوف على الأضرحة الزنيمة المفتراة لآل البيت ! سوى تلك القباب التى شيدوها معبودة على عظام نخرة ، لاتدرى أهي لحيوان أم إنسان ، أم هى أمشاج من عظام شتى ، لاتدرى أهى لصالح أما طالح ، لمسلم أم يهودى ، فقد شيدتها الفاطمية فى مصر ؛ لتصرف الناس عن حج بيت الله ، ولتجعل قلوب المسلمين نفسها قبوراً خربة ، ثم سمتها بأسماء آل البيت ، وأقامت على سدانتها وعبادتها الصوفية ! ما لهم من دليل على حبهم لآل البيت سوى عبادة تلك الأصنام بتقبيل أستارها وأحجارها ولثم نحاسها وخشبها ، وتعطير أجوائها ، والاستشفاع بأعتابها ، واقتراف الأعياد الوثنية فى كل موسم لها . وسـل الآمِّين تلك « الموالد » عن عربدة الشيطان فى باحاتها ، وعن الإثم المهتوك فى حاناتها ، وعن حمم الشهوات التى تتفجر تحت سود ليلاتها [1] ! . وهكذا تكد الصوفية

(١) يصف الجبرتى ما كان يحدث فى مولد العفيفى — وكأنما يصف موالد اليوم =

فى سبيل أن تجعل دنيا المسلمين كلها مقبرة ، قفراء إلا من الوحشة ، جرداء إلا من الرهبة والفزع ، خاوية إلا من الخطايا تُقْتَرفُ باسم الإسلام ! تكد فى سبيل أن تجعل نفوس المسلمين مقابر ، وغاياتهم المقابر ، وآلهتهم العظام البوالى فى المقابر ! وتحث المسلمين ؛ ليجعلوا الحياة كلها قرباناً إلى غيابات العدم ، وجيف المقابر ! فما ينقضى فى مصر أسبوع إلا وتحشد الصوفية أساطير شركها ، وعُبَّادَ أوثانها عند مقبرة يُسَبِّحُون بحمد جيفتها ، ويسجدون أذلاء لرمتها ، ويقترفون خطايا المجوسية فى حَمْأَتِها ، ويحتسون آثام الخمر و «الحشيش» والأجساد التى طرحها الليل على الإثم فجوراً ومعصية ! ويسمونها للناس : « موالد » أو مواسم عبر وذكريات خوالد ! وما تجتمع جماعة صوفية ، أو تنفض ، إلا ليبحثوا كيف يحتفلون بصنم قبر ، أو رمة قبر ؟ ! وما يُهَوِّم ليل على صوفى ، أو يُفْزِعه بالنور نهار ، إلا وقلبه مستعبد بهوى صنم قبر ، أو رمة قبر ! وما يقعد صوفى أو يقوم ، أو يركب أو يمشى إلا وينعق مستغيثاً بصنم قبر ، أو رمة قبر ! قبور قبور ! هذه هى دنيا الصوفية ، لها جهاد الصوفية ، ولرممها عبادتها ، لها تحيا ، ولها تموت ، وبها تعيش ! وخير ما تتمناه الصوفية ، هو أن يهلك المسلمون جميعاً ، حتى يكون فى كل ساعة « مولد » مقبرة ، وعيد رمة ! فليقتل المسلمون أنفسهم ؛ ليمدوا الصوفية بأعياد كثيرة للقبور ، ونذور

= « ينصبون خياماً كثيرة وصواوين ومطابخ وقهاوى ، ويجتمع العالم الأكبر من أخلاط الناس ، وخواصهم وعوامهم ، وفلاحى الأرياف وأرباب الملاهى والملاعيب والغوازى والبغايا والقرادين والحواة ، فيملئون الصحراء والبستان ، فيطئون القبور ويبولون ويتغوطون ويزنون ويلوطون ويلعبون ويرقصون ويضربون بالطبول والزمور ليلا ونهاراً ، ويجتمع لذلك الفقهاء والعلماء ، ويقتدى بهم الأكابر من الأمراء والتجار والعامة من غير إنكار ، بل يعتقدون أن ذلك قربة وعبادة ، ولو لم يكن ذلك ، لأنكره العلماء ، فضلا عن كونهم يفعلونه ، فالله يتولى هدانا أجمعين »

ص ٢٢٥ ج ١ تاريخ الجبرتى ط ١٣٢٢ هـ

للجماجم ! مالهم من دليل على حبهم للرسول وآل بيته سوى تلك « التواشيح » التى يتغزلون بها فى العيون الحوالم النُّعْس ، والشفاه الظوامئ اللُّعْس ، والأهداب المسبلات فى إغراء على لهب من الورد يتوهج فى الخدود النُّضْر ، تلك هى أدلتهم! ويالها من أدلة ! حياة كلها خطايا ، وقلوب أربابها رمم معبودة ، ونفوس آلهتها جيف ، وأفكار كلها للأساطير وحياة ميتة ، ووجود يفزع منه العدم ، ودنيا خمول خامد تعصف بها الذلة . فأين الكفاح فى سبيل بناء الحياة ؟

إن الله سبحانه وصف لنا نفسه فى كتابه الحق بصفاته المقدسة ، وسمى نفسه بأسمائه الحسنى ، فوصفه المسلمون ، وسموه بما وصف ، وسمى به نفسه ، فلم يفتروا له صفة ، ولم يبتدعوا له اسما ، ولم يختلقوا لصفاته ، ولا لأسمائه معانى غير التى وردت فى اللغة التى نزل الله بها كتابه ، هذا ؛ لكيلا يفتروا عليه مالم يتكلم به ، أو يصفوه بما لا يحبه ، أو يسموه بما لايرضاه ، وشرع سبحانه لنا شرعاً هادياً كريماً ختم به شرعته ، بلغه رسوله الأمين ، فلم يدخل المسلمون فى شرعه سبحانه ماليس منه ، ولم يتهموا شرعه بالقصور أو التقصير ؛ لأن ربه الحكيم الخبير خالق الزمان والمكان ، يعلم مايصلح لكل زمان ومكان ، وقد أخبرهم سبحانه أن رسالة محمد ، هى خاتمة الرسالات ، فليس بعده من نبي ولا رسول ، فما جاء به صالح للحياة ، حتى تقوم الساعة ، وإلا اتهمنا مَنْ نزله بأنه غير عليم ولا خبير ولا حكيم . كذلك لم يتهم المسلمون شرع الله بالجمود ، ولا بأنه عقبة كئود تقف فى طريق سُمُوِّ حضارة الإنسانية ، أوتقدمها . أما الصوفية ، فتجحد بما وصف الله ، أو سمى به نفسه ، وتكفر بوحيه ، وتؤمن برب تجزأت ذاته ، فكانت كل شىء تراه العين ، أو يطيف بالظن ، فَلْتَنَاجِ الصوفية بصلواتها ماتشاء ، ولْتَدْعُ بالدعوات تحت أقبية الليل فى هياكلها العبقة بالبخور الوثنى ، فإنما تناجى أصناماً ، وإنما تضرع إلى رمم ! .

دعوة الصوفية الأخلاقية

يزعم بعض الكاتبين أن الصوفية دعوة أخلاقية مثالية ، ويستشهد لذلك بما يلمحه فى كتبهم من دعوة إلى الأخلاق الفاضلة ، وبما يفتنه من روعة الجمال فى البيان الأدبى عن تلك الدعوة ، وعلى مافى هذا الزعم الغافل من غضون سود من الكذب ، وتجاعيد كابية من الباطل ، فإنى أقول : إن الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة كَمٌّ مشترك بين الأديان جميعها ، سواء منها مانزل به وحى من الله ، أو ما افترته الأهواء ، وأفكته الأساطير ، فتش فى كتب البوذية والبرهمية ، والزرادشتية والمانوية والغنوصية وإخوان الصفا ، بل فتش حتى فى كتب اليهود الوَضْعِيَّة ، وفى كتب أيَّة نحلة[1] ضالة ، تجد دعوة تلتهب حماسة إلى التسامى بالخلق ، وإلى تحقيق مُثُله العليا ، فليست الصوفية — إن صدقنا زعمها — بِدْعًا فى زعومها ، وإنما هى كغيرها من الدعوات الضالة ، شرٌّ ينافق بأنه : بِرُّ الخير ، ورذيلة ترائى بأنها : روح الفضيلة ، وكفر يختال بأنه : إيمان النبوة ، فليست الدعوة الخلقية هى الْفَيْصَل بين دين ودين ، أو دعوة ودعوة — فإنها فى كل دعوة ، وفى كل دين — وإنما الفيصل بين الأديان والدعوات ، وكونها حقاً أو باطلا ، خيراً أو شراً هو العقيدة التى تنبعث عنها هذه الدعوة الْخُلُقِيَّةُ ، أو الباعث الذى يكمن وراء السلوك ، والغاية التى توجه إلى هدفه ، وترْجى منه . وقد ذكرت لك دين الصوفية ، أو عقيدتها ، فهل تجدها حقاً ؟ وهل نعتبر ماتدعو إليه من الْمُثُل الأخلاقية خيراً ، وإن كانت رائعة البيان فاتنة الصُّوَر ، خَيِّرة المظهر ؟ وهل نعتبر ماينبعث

(١) فالبهائية مثلا تزعم أنها تؤمن بكل الكتب السماوية ، كالتوراة والإنجيل والقرآن ، وتسجل هذا فى كتبها ، وتزعم أنها تدعو إلى السلام العالمى ، والإخاء البشرى العام ، فهل نحكم بأنها نحلة مؤمنة مسلمة ؟ كلا . فإنها تدين برب تجسد فى سيدها ميرزا حسين على . والصوفية شر منها فى معتقداتها الباطلة .

عنها من عمل خيراً فى ذاته ، كَبِرٍّ يتيم ، أو جهادٍ فى سبيل مثل أعلى يعطف الإعجاب ، ويُلهم الفِدَائيَّةَ ؟ كلا . فالله يقوله لنبيه : (٣٩ : ٦٥ لئن أشركتَ لَيَحْبَطَنَّ عملُك وَلَتكُونَنَّ من الخاسرين) وإن كان عمله خيراً نبيلا فى أعراف السُّلوكِيِّين . هذا ؛ لأن الباعث ، أو النية ، أو العقيدة التى ينبعث عنها هذا العمل ، ليست حقاً ولا خيراً ، فكل ماينتج عنها من سلوك ، فهو مثلها باطل وشر . ألم تر إلى هذا البطل العربى الذى قاتل مع أصحاب النبى قتالا ليس كمثله قتال فى الصبر والجِلاد والبطولة التى تكافح الموت . لقد قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه فى النار ؟! هذا ؛ لأنه قاتل حَمِيَّةً ، لا فى سبيل الله ، أو بمعنى آخر : لم تكن لديه العقيدة المخالصة التى تجعل من هذا القتال خيراً ، أو عملا صالحاً له عند الله ثوابه . وعقيدة الصوفية إيمان بربّ يتجسد بذاته فى حجر أو جيفة ، فغاية الصوفى من عمله رضوان الإله المتجسد فى الحجر أو الجيفة ، وباعثه على العمل حب الحجر أو الجيفة ! .

أما عمل المسلم ، ودعوة المسلم الخلقية ، وجهاد المسلم ، فوراء هذا كله عقيدة خالصة ، تُوَحِّد الله توحيداً خالصاً فى ربوبيته وإلهيته ، ويوجه ذلك كله غاية سامية مُطَهَّرة ، هى رضوان الله وحده .

يقولون : اقرأوا ما كتب الصوفية من دعوة إلى التسامى والروحانية ، والتأملات الشاعرة فى أسرار الكون ، وسرائر النفس والحياة ، والاستسلام المطلَق إلى مُبْدع الوجود . وأقول لهم : بل اقرأوا ما كتب الصوفية عن الله ورسله ، واقرأوا ما كتب الصوفية عن معتقدهم . ابتلوا العقائد ، قبل ابتلاء الأخلاق يا أسارى الصوفية ! ، فما الخُلُقُ إلا نتيجة . والصوفية نفسها تقرر أنها دين وعقيدة ، قبل أن تكون دعوة خلقية ، فلتحاسَبْ على دينها واعتقادها قبل محاسبتها على دعوتها الأخلاقية ! وما أحكم وأحسن قول الفضيل بن عياض : « إن العمل إذا كان خالصاً ، ولم يكن صواباً ، لم يُقبَل ، وإذا كان صواباً ، ولم يكن خالصاً

لم يُقْبَل ، حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص ما كان لله ، والصواب ما كان على السنة ، وهذا هو المذكور فى قوله تعالى : (١٨ : ١١٠ فَمَنْ كان يرجو لقاء ربه ، فليعمل عملاً صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً)(١) .

فعلى الذين يعصف بهم الإعجاب بدعوة الصوفية الخلقية ، أن يولوا إعجابهم شِطْر كل فرقة حكم الله عليها بالكفر ، ففيها أيضاً الدعوة إلى مثل تلك الأخلاق التى يسحركم البيان عنها فى الصوفية ! ، بل فى بعضها أروع مما فى الصوفية ، اقرأوا هذه الدعوة : « خَفِ الله إله آبائك ، واخدمه بحب ؛ لأن مخافة الله وحدها هى التى تَرْدَع الإنسان عن الذنوب ، وحُبّه تعالى هو الذى يحث المرء على الخير ، دَرِّب نفسَك على الخصال الحميدة ، أحِبَّ الحقيقة والاستقامة زينة النفس ، وتعلق بهما ، كن حازماً فى المحافظة على كلمتك ، ترفَّع عن المُوَارَبة والتهرب والمراوغة ، أبغض الكسل والخمول » .

دعوة حارة إلى أروع الأخلاق ، وحَقٌّ يرِفُّ إيماناً وقدسية ولكن ! ثم اقرأوا هذه : « إننا نبغى من العالم الحقيقة المجردة ، ونجنى الخير والطهر والجمال » دعوى رَبَّانة الجمال ، ولكن ليتها كانت صادقة ! واقرأوا هذه : « إن لم تكن لنفسك ، فَلِمَنْ تكون ؟ ولكن إن كنت لنفسك فقط ، فلم تكون ؟ ! » دعوة إلى الإيثار النبيل والتكافل الرحيم الوَدُود . واقرأوا هذه : « فكِّر مَلِيًّا فى ثلاثة أمور ، تَنجُ إلى الأبد من سيطرة الذنوب ، اعلم : أن فوقك عينا ناظرة ، وأذنا سامعة ، وأن جميع أعمالك مسجلة فى كتاب »(٢) قول تظنه إيماناً يتهجد بالصلاة المؤمنة ، قول يوحى بالإيمان بأن الله بكل شىء محيط .

تلك الدعوات الرائعة فى تساميها الغانى ليس فى الصوفية مثلها ، ومع هذا

---

(١) ص ٧٤ تفسير ابن القيم .

(٢) تلك النصوص عن الفكر اليهودى ترجمة ألفريد يلوز من ص ٢٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ وما بعدها .

حكم الله سبحانه على أصحاب تلك الدعوات بأنهم عدوه ، وأن عليهم غضبه ولعنته ؛ لأنهم يهود . والعقيدة اليهودية ضلالة ، وباطل . فكل ما انبعث عنها من عمل ، أو قول ، فهو مثلها ضلال وباطل ، وحابِطٌ عند الله ، وإن كان يستهدف المثل العليا فى أعراف الأخلاقيين .

فلو أن الدعوة الخلقية كانت وحدها ، هى الميزان الذى تَزِنُ به إيمان الإنسان أو كفره ، لحكمنا على أولئك اليهود الملعونين بأنهم بررة يَتَبَتَّلون فى المحاريب المقدسة ! لو كانت الدعوة الخلقية وحدها ، هى أساس الحكم على الإنسان بأنه مسلم أو غير مسلم ، لدخل تحت الحكم بالإسلام كل زنديق وملحد وكافر ، فما منهم من أحد إلا ويدعو إلى الأخلاق الفاضلة .

العقيدة الصافية هى مِلاك الأمر كله ، وروح الدين كله ، وهى التى تُقَوِّم العمل والخلق بالخَيْرِيَّة أو الشَّرِّيَّة فى نظر الإسلام ، وهى التى لها المقام الأول والاعتبار الأسمى عند الله سبحانه . ثم تَمَثُّلُ ماتقتضيه تلك العقيدة الصافية فى حياتنا أخلاقاً وسلوكا ودعوة ، واتباعاً صحيحاً لهدى الله وحده .

ليس المهم ماتتخلق به ، أو تقوله ، أو تعمله ، بل الأهم قبل كل شىء ماتعتقده . اذكروا مرة أخرى ، بل اذكروها دائماً ، تلك هى الآية التى يقول رب العالمين فيها لمحمد : (٣٩:٦٥ لئن أشركتَ ليحبطن عملك) . والْمَعْنِيُّ طبعاً ، هو العمل الذى يبدو خيراً فى ذاته ، وإلا لما كان للتوعد بحبوطه معنى . ولقد أشرك الصوفية إشراكا خبيثاً ، وأخبثُ ما فيه أنه يفتن الناسَ عن حقيقته ، فيظنونه توحيداً صافياً . لقد خدعتك الدعوة الخلقية فى الصوفية عن عقيدتها ، فوزنت قولها فى الأخلاق بميزانك العاطفى الذى يهتز مع الخديعة ، ويميل ظالماً مع الهوى ، ولكن زِنْها بميزان الحق والعدل من كتاب الله ، زنها بميزان التوحيد الخالص ، وثَمَّتَ ترى أنها الفتنة الخاتلة ، وأن دعوتها الخلقية ليست إلا شِفٌّ رياء يحاول ستر عقيدتها الملحدة . اسمعوا ما يقول ابن عربى عن الله :

يا خالق الأشياء فى نفسه أنت لما تخلقه جامع
تخلق مالا ينتهى كَوْنُه فيك ، فأنت الضيِّق الواسع

يصف الله بأنه خالق مخلوق . و بأن ذاته هى جميع ذوات أنواع الخلق ، وأنه ما زال يخلق فى نفسه مالا ينتهى من أنواع الخلق ، فهو ضَيِّقٌ ؛ باعتباره حقاً ؛ أى مُجَرَّداً عن النعوت ، وهو واسع باعتباره خلقاً متنوعاً كثيراً لاينتهى . واسمع إليه يقول عن الله : « فذَكَر — أى الله — أن هُوِيَّتَه هى عين الجوارح التى هى عَيْنُ العبد ، فالهوية واحدة ، والجوارح مختلفة ، ولكل جارحة عِلْمٌ من علوم الأذواق يخصها من عين واحدة تختلف باختلاف الجوارح » . يصف الله بأنه نفس جوارح العبيد ، فَيَدُ السارق ، و يد القاتل ، و يد المرتشى ، و يد المقامر ، و يد المخمور يتناول بها الإثم . كل هذه الأيدى ، هى أيدى رب ابن عربى . والعين المختلسة والأذن السارقة ، والفم المنتن من الحرام ، كل أولئك من جوارح رب ابن عربى . والمعارف الحِسِّيَّة التى نستمدها من اليد والقدم والعين والسمع واللسان . إنما هى معارف رب ابن عربى ؛ لأنه عين تلك الجوارح كلها ! ويؤكد هذا بقوله : « فلا قُرْبَ أقرب من أن تكون هُوِيَّتَه عين أعضاء العبد وقواه ، وليس العبد سوى هذه الأعضاء والقوى ، فهو — أى الله — حَقٌّ مشهود فى خَلْق مُتَوَهَّم ، فالخلق معقول ، والحق محسوس مشهود عند المؤمنين وأهل الكشف والوجود »

أرأيت إلى غلواء الزندقة فى دين ابن عربى ؟ ! ، إنه يزعم أن الخلق شىء معقول ؟ ! أما الله — سبحانه — فشىء محسوس ! ؛ لأنه عين ماترى عيناك ، وتسمع أذناك ، أما « الْخَلْقُ » فصفة ، أو وَجْهٌ من وجوه الحق سبحانه ! ، ويؤكد ذلك مرة أخرى بقوله : « ثم تممها الجامعُ للكل محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم ؛ بما أخبر به عن الحق : بأنه عين السمع والبصر واليد ، والرِّجْل واللسان ، أى : هو عين الحواس » و بقوله : « تحققنا بالمفهوم و بالإخبار الصحيح أنه عين الأشياء ، والأشياء محدودة و إن اختلفت حدودها ، فهو محدود بحد كل محدود [1] » رَبُّه عين كل شىء !

---

(١) هذه النصوص كلها عن فصوص الحكم لابن عربى ص ٨٨ ، ١٠٧ وما بعدها =

ولكل شيء ، حَدٌّ يُعرَّف به ، فكل تعريف هو تعريف لِكُنْه الذات الإلهية ، إذ كل شيء عند ابن عربي هو عين الله !! فَلْيَطِرْ فكرُك عبر الآباد والآنات والآزال ، وَلْيَجُلْ خيالُك في شتى الصور ، المستحيل منها والممكن ، فكل شيء يراه فكرك ، ويلمحه خيالك ، هو رب ابن عربي . فكر في المغول ، والصليبيين ، وكل مستعمر سام العرب والمسلمين خَسْفاً ، أو هواناً ، فكر في الجاهليين يُجرِّعون صِحابَ النبي العذاب ، فكر في الصهيونيين اليوم ، وفيما يكيدون به للإسلام ، فكر في السفاحين الأوغاد ، فكر في أولئك جميعاً ، وسل ابن عربي وأخلاَّءه عنهم ، وثمت تسمع منهم : إنهم جميعاً الذات الإلهية ! أليسوا أشياء ؟ وابن عربي يقول : إن الله هو عين الأشياء جميعها ! أليسوا خَلْقاً ؟ وابن عربي يقول : إن الله هو عين الخلق ؟ أليست لهم جوارحُ باغية مُلطَّخَةٌ بالدم البريء ؟ ! وابن عربي يقول : إن الله هو عين كل يد وقدم ولسان ! والصوفية المعاصرة تعبد ابن عربي ، وتدين بقدسيته ، وأتحداهم أن ينبذوه ، أو يعلنوا على الملأ كفره ومروقه ؟ ! فإن فعلوا ، كان آية على أنهم خرجوا من دينه .

هذه نماذج من عقيدة الصوفية ، فهل ينفعها أن تملأ الوجود بعد ذلك بالدعوة إلى الخلق الفاضل ؟ إنها إذ تقول : اتق الله ، فإنما تعنى به ربها الذى هو الصخر الأصم والجيفة المنتنة ، تعنى ربها الذى هو عين كل شيء ، وإذ تقول : جاهد في سبيل الله ، فإنما تعنى به وهما عَبَدَتْهُ رَبًّا يتعين بذاته في كل خَلْقٍ ! اقرأوا

= واقرأ هذا النص : « إن الله لطيف ، فمن لطفه ولطافته أنه في الشيء المسمى كذا المحدود بكذا عين ذلك الشيء ، حتى لا يقال فيه إلا ما يدل عليه اسمه بالتواطؤ والاصطلاح فيقال : هذا سماء وأرض وصخرة وشجر وحيوان وملك ورزق وطعام والعين واحدة من كل شيء وفيه » ص ١٨٨ فصوص ط الحلبي ، يعنى أن الله هو عين كل هذه الأشياء وغيرها . فإذا عرفت شيئاً منها بتعريف ، فهذا التعريف صادق على الله بالتواطؤ يعنى أنه هو عين تعريف الله نفسه في جنسه وفصله ، فتأمل .

ذلك جيداً ، ثم نبئوني : أما زلتم أسارى الإعجاب بدعوة الصوفية الخُلُقيَّة ؟ ! .

على أن الدعوة الخلقية الصوفية ، هى دعوة إلى الأخلاق السَّلْبيَّة[1] ، فحسب ، إذ هى قائمة على الزهد المانَوِىّ ، فهى ــ على الزعم بأنها خير ، ودون التفات إلى معتقدها ــ لا تصلح لأمة تريد أن تقود الحياة بقوة الحق والعدل إلى الخير العام ، وأن تتزعم العالم فى سلام وأمن . تريد الوثبة الجريئة المقدامة التى تُسَخِّر كل شىء أذن الله لها فيه فى سبيل تحقيق قِيَمِها الرفيعة المؤمنة . تريد الحيـاة دَفَّاقة التيار ، زَخَّارة المشاعر بالحيوية المتدفقة ، المندفعة دائماً إلى الأمام ، جَيَّاشة الليل والنهار بالعمل الدائب المنتج المثمر ، والجهاد فى سبيل أن تـكون كلمة الله هى العليا ، إنما تصلح دعوة الصوفية الخلقية ــ بذلك الاعتبار نفسـه ــ لجماعة تعيش فى الـكهوف ، أو المغاور ، أو على قنن الجبال فى الحِسِّ الهامد ، والشعور الخامد ، والوجدان الأصم البليد ، وكل إنسان فيها منطو على نفسه . لجماعة تقطعت أرحامها ، فعاش كل فرد فيها لنفسه ، يسخر ليله ونهاره لنفسه ، دون أن يحول عينيه وغاياته عن نفسـه وحدها ! فهى أخلاق تطفح بالأثرة الضيقة المـكتومة الخانقة ، والفردية التى ترى الدنيا لها وحدها ، وتعمل ؛ لِيـكون كل شىء لها وحدها ! إنها رهبانية تسرى فيها قشعريرة الخوف المذعور من الحياة ، ورِعْدةُ الفَرَقِ القَلِقِ من المجتمع . رهبانية تعيش فى غيابة الخمول الأسْوَان وراء الوجود

---

(١) يمتاز الإسلام فى دعوته الخلقية بأنه يدعو إلى أقوى وأعز الأخلاق الإيجابية وإلى أقدس الأخلاق السلبية ، فهو لا يطلب منك ألا تفعل الشر فحسب ، بل يأمرك أن تفعل الخير ، فهو يأمر مثلا بالجهاد والسعى فى سبيل الرزق ، وينهى عن الرهبانية والسرقة يتجلى لك ذلك فى قوله سبحانه : (٣ : ١١٠ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر) وفى قوله : (٢٢ : ٧٧ وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) وقوله : (٢٢ : ٣٠، ٣١ فاجتنبوا الرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به) بل يتجلى لك ذلك أى جانب الإيجاب وجانب السلب فى عقيدة التوحيد (٤ : ٢٦ واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئاً)

الإنسانى ! تَصْلُحُ لجماعة تعيش للعدم الميت ، لا للحياة الشاعرة بذاتها وَمُقَوِّمَاتِها ، تعيش للوحدة الكابية الساهمة المحتضرة ، لا للجماعة التى يعمل فيها كل إنسان لنفسه ، ولمن معه ، وتجعل الإيثار النبيل شعارها ، وابتغاء مرضاة الله فَلَكَ حياتها وغاياتها و بواعثها . فدعوة الصوفية الأخلاقية . فِرَارٌ ذليل من الحيـاة ، وَجُبْنٌ يرتجف من الحياة ، وَتَفَرُّدٌ موحش فى تيه الوحدة الذاهلة القاتمة ، وَقَتْلٌ ظلوم لقوى الإنسانية المكافحة فى سبيل تقدم الحياة ، وكفران باغ بما أنعم الله به على الإنسان من قوى ؛ ليعمل باسم الله مايعمله لنفسه ، وللجماعة التى يجب أن يشيد صروحها سامقات عاليات الذُّرى .

و يزعمون أن الصوفية جاهدت حتى نشرت الإسلام فى بقاع كثيرة ! ، ولقد علمت مادين الصوفية ؟ ! فما نشروا إلا أساطير حمقاء ، وخرافات بلهاء ، و بدعاً بَلْقَاء شوهاء ، مانشروا إلا وثنية تؤله الحجر ، وتعبد الرمم ! مانشروا دينهم إلا فى حماية الغاصب المستعمر ، وطوع هوى الغاصب المستعمر ، فَعَدُوُّ الإسلام ، يوقن تماماً أن البدع ، هى الوسيلة التى تصل إلى الهدف دائماً ، لكى يقضوا بها على الإسلام وأهله ، فعلها قديماً ، و يفعلها حديثاً . واقرأوا تاريخكم إن كنتم تَمْتَرونَ ، أرونى صوفياً واحداً قاتل فى سبيل الله ؟ ! أرونى صوفياً واحداً جالد الاستعمار ، أو كافحه ، أو دعا إلى ذلك (١) ؟ ! إن كل مَنْ نُسِبَ إليهم

---

(١) سقط بيت المقدس فى يد الصليبيين عام ٤٩٢ هـ والغزالى الزعيم الصوفى الكبير على قيد الحياة ، فلم يحرك منه هـذا الحادث الجلل شعوراً واحداً ، ولم يجر قلمه بشىء ما عنه فى كتبه ، لقد عاش الغزالى بعد ذلك ١٣ عاماً إذ مات (سنة ٥٠٥ هـ) فما ذرف دمعة واحدة ، ولا استنهض همة مسلم ؛ ليذود عن الكعبة الأولى ، بينما سواه من الشعراء يقول :

أحل الكفر بالإسلام ضيما ⁂ يطول عليه للدين النحيب
وكم من مسجد ، جعلوه ديرا ⁂ على محرابه نصب الصليب
دم الخنزير فيه لهم خلوف ⁂ وتحريق المصاحف فيه طيب
=

مكافحة المستعمر — وهم قلة — لم يكافحوه إلا حين تخلى هو عنهم ، فلم يطعمهم السحت من يديه ، ولم يبح لهم جَمْعَ الفتات من تحت قدميه ، وإلا حين قهرت فيهم عزةُ الوطنية ، ذل الصوفية ، فقـاتلوا حَمِيّة ، لا لدين [١] ! . ثم اقرأوا ما كتب الزعيم مصطفى كامل فى كتابه : المسألة الشرقية : « ومن الأمور المشهورة عن احتلال فرنسة للقيروان ، أن رجلاً فرنساوياً دخل فى الإسلام ، وسمى نفسه : سيد أحمد الهادى ، واجتهد فى تحصيل الشريعة ، حتى وصل إلى درجة عالية ، وَعُيِّنَ إماماً لمسجد كبير فى القيروان ، فلما اقترب الجنود الفرنساوية من المدينة استعد أهلها للدفاع عنها ، وجاءوا يسألونه أن يستشير لهم ضريح شيخ فى المسجد ، يعتقدون فيه ، فدخل « سيد أحمد » الضريح ، ثم خرج مُهَوِّلاً لهم بما سينالهم من المصائب ، وقال لهم : بأن الشيخ ينصحكم بالتسليم ؛ لأن وقوع البلاد صار بحتاً ، فاتبع القوم البسطاء قوله ، ولم يدافعوا عن القيروان أقل دفاع ، بل دخلها الفرنساويون آمنين [٢] » وحين أغار الفرنجة على المنصورة قبل منتصف القرن

=أهز هذا الصريخ الموجع زعامة الغزالى ؟ كلا . إذ كان عاكفا على كتبه يقرر فيها أن الجمادات تخاطب الأولياء !! ويتحدث عن الصحو والمحو . دون أن يقاتل ، أو يدعو حتى غيره إلى قتال !! وابن عربى وابن الفارض الزعمان الصوفيان الكبيران عاشا فى عهد الحروب الصليبية ، فلم نسمع عن واحد منهما أنه شارك فى قتال ، أو دعا إلى قتال ، أو سجل فى شعره أو نثره آهة حسرى على الفواجع التى نزلت بالمسلمين لقد كانا يقرران للناس أن الله هو عين كل شىء ، فليدع المسلمون الصليبيين ، فما هم إلا الذات الإلهية متجسدة فى تلك الصور . هذا حال أكبر زعماء الصوفية وموقفهم من أعداء الله !! فهل كافحوا غاصباً أو طاغياً ؟

(١) سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء . أى ذلك فى سبيل الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا » رواه البخارى ومسلم والترمذى .

(٢) ص ٢١٢ المسألة الشرقية للزعيم مصطفى كامل « نقلا عن ص ١١ من كتاب التصوف فى الإسلام للدكتور عمر فروخ » .

السابع الهجرى ، اجتمع زعماء الصوفية ! أتدرى لماذا ؟ ! لقراءة رسالة القشيرى والمناقشة فى كرامات الأولياء [١] ! : « من أجل ذلك يجب ألا نستغرب إذا رأينا المستعمرين ، يغدقون على الصوفية الجاه والمال ، فرب مُفَوَّض سام ، لم يكن يرضى أن يستقبل ذوى القيمة الحقيقية من وجوه البلاد ، ثم تراه يسعى إلى زيارة حلقة من حلقات الذكر ، ويقضى هنالك زيارة سياسية تستغرق الساعات . أليس التصوف الذى على هذا الشكل يقتل عنصر المقاومة فى الأمم ؟ [٢] » ثم إن كل من نسبت إليهم الصوفية أنهم جاهدوا فى سبيل الله ، وعملوا على نشر الإسلام ، ليسوا صوفيين ، وإنما حشرتهم الصوفية فى زمرتها زوراً وبهتاناً ، وأستاذها فى ذلك الشيعة [٣] . لقد سمى الصوفيةرسول الله صوفياً ، ومثله الخلفاء ، وَكُلَّ بطل عبقرى فذ من المسلمين زعموا أنه صوفى ! ! هذا ؛ ليخدعوا المسلمين بهؤلاء عن زعمائهم من طواغيت الصوفية ! وليفتنوا المسلمين بزعمهم أن أولئك القديسين الأبطال كانوا بعض أئمة الصوفية ! والتاريخ يذكر أن لقب « صوفى » لم يُبْتَدَع إلا فى منتصف القرن الثانى الهجرى ، وأن أول من لقب به هو « أبو هاشم الكوفى » فأرونى صوفياً واحداً كان له فضل خير على الإسلام ؟ ! .

أجيبوا يامن فتنت الصوفية عن الحق عقولكم ! لا تأتونى يا أسارى الصوفية بأقوالهم فى الأخلاق ، ولكن ائتونى بعقائدهم ، ثم زنوها بالقرآن ، إن كنتم به مؤمنين ! لاتقولوا : قال فلان الصوفى : كذا فى الأخلاق ، أو فعل كذا مما هو فى مظهره حق وخير ، ولكن قولوا قبل كل شىء : إنه يعتقد كذا ، فالصوفية تزعم أنها الحقيقة فى الإسلام ، وروح عقيدته . والأخلاق ليست إلا بنت العقيدة ،

---

(١) الطبقات للشعرانى ط صبيح جـ ١ ص ١١

(٢) مابين القوسين من كلام الدكتور فروخ فى كتابه « التصوف فى الإسلام »

(٣) يذكر الشيعة فى كتب طبقاتهم كثيراً من أئمة أهل السنة وينسبون إليهم أقوالا هم أبرياء منها ، كل هذا ليفتنوا المسلمين عن طريق ذكر هؤلاء البررة .

والإسلام قبل كل شىء ، إنما يبتلى العقيدة أو النية ، فإن كانت النية ، أو العقيدة كما يحبها الله ، اعتبر مايصدر عنها من فعل صائب خيراً ، وجازى عنه بالخير ، وإن لم تكن العقيدة خالصة ، فكل عمل يصدر عنها ، فهو هباء ، وإن كان فى مظهره أعظم الخير (١) . اسمعوا قول الله : (٤ : ٤٨ إنّ الله لايغفر أن يُشْرَكَ به ، ويغفر مادونَ ذلك لِمَنْ يشاء) ثم قوله تعالى : (٩ : ١٠٢ وآخرون اعترفوا بذنوبهم ، خلطوا عملا صالحاً ، وآخر سيئاً ، عسى الله أن يتوب عليهم ، إن الله غفور رحيم) ففى العقيدة لايقبلها إلا خالصة نقية ، أما فى العمل؟ اقرأوا الآية ؛ لتعرفوا الجواب

لقد افترت الصوفية على الله مالم تفتره زندقة من قبل ، فجعلته هو عين خلقه . اقرأوا هذا الكفر لابن عربى : « فالحق مَحْدُودٌ بكل حَدٍّ ، وصور العالم لا تنضبط ، ولا يحاط بها ، ولا تُعلم حدودُ كل صورة منها إلا على قدر ماحصل لكل عالم من صورته ؛ فلذلك يُجْهَلُ حَدُّ الحق ، فإنه لا يُعْلَمَ حَدُّه إلا بعلم حد كل صورة (٢) » يقول : إنه لا يمكن تعريف الله ، لماذا ؟ لأن الله هو عين كل شىء ، فنحتاج فى تعريفه إلى الأخذ بتعريف كل صورة من صور الوجود ؛ إذ هو عينها ، وصور العالم لاتنضبط ، ولاتتناهى ، فتعريفه سبحانه ، لايتناهى تبعاً لذلك ! والصوفية تفترى على نوح أنه لم يحسن أداء رسالته ؛ إذ دعا قومه إلى الشريعة ، ولم يدعهم إلى الحقيقة . دعاهم إلى الظاهر ، لا إلى الباطن ، ثم تحكم الصوفية على قوم نوح المشركين بأنهم أجابوا دعوة الله بالفعل ، وأنهم فهموا الحق الذى ستره عنهم نوح ، فعملوا بالمستور ، فكانوا من المفلحين ، وتحكم بأن نوحا نفسه أثنى عليهم لعبادتهم الأصنام (٣) . ثم اقرأوا قول ابن عربى فى الباب ١٢٩ من الفتوحات المكية

---

(١) كما فعل ذلك الصوفى الكبير الإنجليزى المال والعاطفة ، فبنى داراً كبيرة لعلاج الفقراء ، لقد كان « المندوب السامى الإنجليزى » يذهب إليه فى كل عام ليأكل عنده « الفتة » هو ورجال سفارته .

(٢) ص ٧٠ فصوص الحكم ط الحلبى ج ١

(٣) ص ٧٠ وما بعدها فصوص « انظر الفص النوحى »

لا تراقِبْ ، فيس فى الكون إلا واحد العين ، فَهْوَ عينُ الوجود
ويُسَمَّى فى حالة بإله ويُكَنَّى فى حالة بالعبيد

ترى ، هل ستظلون مصرين على أن الصوفية دعوة إلى الأخلاق المثالية ، وأنتم تعرفون أن الإصرار على كلمة كفر واحدة تمحو من سِجِلِّ الإنسان كل كلمة مؤمنة ، والصوفية مصرة على كلماتها الكافرة ! ! .

خلاصة دين الصوفية

ونلخص لك دين الصوفية فى كلمات قصار . أما فى الوجود فيدينون بأن المطلق منه عينُ المقيَّد ، أو نفس العَيْنِيِّ المتقوم بخصائصه فى هذا ، أو ذاك من الأشياء ذات الكيان المادى ، أو بمعنى آخر : يرون أن الله هو عين خلقه ، وأما فى الاعتقاد ، فيدينون بأن الكفر والإيمان ، أو الشرك والتوحيد ، اسمان لحقيقة واحدة أو مترادفان لهما مدلول واحد ، وأما فى الدين ، فيرون السماوى منه عين الوَضْعِىِّ ، فَمُنَزِّلُ الأول ، هو الله ، باعتباره حقيقة مُجَرَّدَةً عن النعوت الإيجابية أو السَّلْبِيَّة ، أو الإضافِيَّة ، وواضِعُ الثانى هو الله — وتعالى جَدُّ رَبِّنَا — باعتباره متجسدا فى صورة بشرية !! وأما فى الجزاء الأخروى ، فيلتقى عندهم طرفاه الثواب والعقاب فالنعيم فى الفردوس عين العذاب فى جهنم . كلاهما عين الآخر فى الحقيقة والأثر !! وأما فى الفكر ، فيدينون بأن الحقيقة عين الخرافة أو الأسطورة ، وبأن الحق والباطل ، أو الصواب والخطأ يتحدان فى الدلالة ، وكلاهما مقياس صحيح لصاحبه ، وأما فى الأخلاق ، فيدينون بأن الخير والشر ، أو الفضيلة والرذيلة سواء فى الباعث والغاية وفى القيمة ، و إن شئت حديثاً أكثر اختصاراً ، فقل : إن خلاصة دين الصوفية ، وفكرها وخلقها : لاتقابل ، لاتضاد ، لاتناقض ، إذ الكل ذات واحدة ، هى ذات الله سبحانه . أو كما يقول ابن عربى : « مافى الوجود مثل ، فما فى الوجود ضد ، فإن الوجود حقيقة واحدة ، والشىء لايضاد نفسه (١) »

---

(١) ص ٩٢ فصوص جـ ١ ط الحلبى .

خَلَفَ الصوفية كَسَلَفِهم

قد يقول قائل : مالنا ، ولابن عربى وغيره ، فتلك أمة قد خلت ، ومالها من أثر ! ولـكنى أقول لهذا الذى خدعته الصوفية عن سُمِّها ، فسقته إياه يحسبه عسلا مُصَفًّى : نحن لانحارب أناسا ، وإنما نحارب تراثا وثنيا ، آمن به سلف الصوفية على أنه الروحانية القدسية فى الإسـلام ، وعاثوا به فسادا فى عقائد المسلمين . والصوفيةُ المعاصرة ، تدين بمادان به سلفُها كابن عربى وابن الفارض ، وفى تقديس كهنةِ الصوفية لذكراهما ، وفى التغنى بشعرهما الوثنى فى نشوة سكرى . فى ذلك كله بُرْهَانٌ على أن الصوفية المعاصره ، امتدادٌ طويل عريض عميق لدين ابن عربى والشعرانى ! إنها تتعبد بكل ماخلفت الصوفية السالفة من تراث ، وتقدس ماكتب أحبارها ، وتبشر به على أنه تجليات الروح الإلٰهى ، وتؤمن به إيمانا عميقاً ، يسلب الفـكر ، ويختلب البصيرة ، ويهوى بالنفس إلى غَوْرٍ سحيق من الإلحاد ، بل ربما أذنت لك الصوفيه فى الطعن على كتاب الله ، وتثور وترغى وتزبد إذا مسست كتاب صوفى زنديق بسوء . ولئن أنـكرت مرة على طبقات الشعرانى مافيها من خطايا ، لرموك بعمى البصيرة .

كل صوفى هو ابن عربى فى زندقته ، وابن الفارض فى وثنيته ، والشعرانى فى خباله وخطاياه . تدبر أورادهم اليوم ، وقصائدهم التى يرقصون بها رواد حانات الذكر ! تدبر نعيبهم فى كل لحظة بالهامدين ، تجد دليل ماأقول . ألا تسمع منهم : مدد ياأهل التصريف ؟ مدد يارئيسة الديوان [1] ؟

---

(١) تأمل الحجاج قبل الحج وبعده ترهم يطوفون حول الأضرحة فى مصر ، كأنما يريدون طمأنة أوثانهم أنهم على العهد مقيمون !! بل تأمل الأسطورة التى يبتدعها سدنة كل صنم ؛ إذ يزعمون أن من زار هذا الوثن ، أو ذاك سبع مرات ماشياً كتب له ثواب حجة !! زعموا هذا للبدوى فى طنطا ، وللدسوقى فى دسوق ، ولشبل فى الشهداء !!

واستمع إلى أولئك « المُخَمِّرِين[١] » بعد حلقات الذكر ، تجدهم يتسابقون إلى القول بأنهم : « يهود نصارى ، مجوس » والدراويش يصيحون من الفرحة الطروب : « إكْفَرْ ، اكفر » يامْرَبِّى !

فرار الصوفية من النقد

زعم الصوفية أن من ينتقدهم ، يُطْرَدُ من رحمة الله ! يُهَوِّلون بهذا قيدًا ظلومًا « للدراويش » حتى لا يُحَطِّموا أغلالَ الصوفية عن أعناقهم وقالوا : « وهذا الفن من الكشف يجب ستْرُه عن أكثر الخلق ؛ لما فيه من الغُلُوِّ ، فَغَوْرُهُ بعيد[٢] » ! باطنيةٌ منافقة ، وريالا تلوذ به الصوفية إذا صعقتها صدمة الحق . وقالوا : « إذا رأيت منتقدا على التصوف ، ففر منه فرارك من الأسد ، واهجره[٣] »

ترى هل يفر الصوفية من هذا النقد العادل ؟ ما أرتضى لهم أن يكونوا تحت سَطْوَة هذا الجبن الرِّعْديد ، ورَهْنَ هذا العجز الذليل ! !

وقالوا : « طريق الكشف والشهود ، لا يحتمل المجادلة والرَّدَّ على قائله ، وحِرْمانهُ يعود على المُنْكِرِ[٤] » كلُّ هذا ؛ ليظَلَّ ضحايا الصوفية عُمْىَ البصائر ،

---

(١) هم طائفة من الدراويش يجلسون بعد الذكر ، ثم يتبارون فى إنشاد أزجال أو أشعار يزعمون أنها إلهام ساعتهم ، وما زلت أذكر ذلك الرجل الهرم فى قريتى « زواية البقلى » وهو يقول عن الأقطاب :

ساعة يجونا عرب   ساعة يجونا اعجام
ساعة يجونا نصارى   لابسين زنار
ساعة يجونا سكارى   من حدا الخمار

(٢ ، ٣ ، ٤) ص ٣ ، ٨ رسالة الفناء من مجموعة رسائل ابن عربى طبع الهند ، ص ٨ إيقاظ الهمم شرح الحكم لابن عجيبة .

والقلوب ، مختوماً على سمعهم ، فلا يسمعون من أحد كلمة حق تجادل باطلا صوفياً(١) !!

أما أنا ياسماحة الشيخ ، فسأظل إن شاء الله ـ ورعايته أستلهمها وعونه أستمده ـ أثيرها حرباً على الصوفية فى تراثها الوثنى ، ومعتقداتها الفاسدة ، ومانبتغى بها سوى الذياد عن الحق ، ورضا الحق ، ولن يروعنا فى سبيل الله منكم وعيد . نعم سأظل ـ وعلى الله توكلت ـ أحارب باطل الصوفية بالحق من كتاب الله . فإنها محسوبة على الإسلام ، بل يظن الكثير فى أقطابها أنهم مشارق ربانية ، وينابيع نورانية ، ومثل عليا للروحانية ، فحق على كل مسلم تمزيق هذه الأقنعة التى نسجتها تهاويلُ الأوهام ، وأفانينُ الأساطير ؛ لكيلا يُحتجَّ على دين الله بدين الصوفية ؛ وليؤمن المسلمون أن الخير والهدى والسعادة فى الاعتصام بكتاب الله وحده ، والاقتداء بخاتم النبيين وحده ، فهو أخلص الخلق توحيدا لربه ، وأهداهم إيمانا به ، وأزكاهم طاعة ، وأشدهم تُقاةً ، وأعرفهم بما نزَّله الله عليه ، وهداه ، وهدى المسلمين به .

مزاعم كاذبة

تزعم الصوفية « أن التصوف صِفَةٌ لله(٢) » ! وأن « من صدق بهذا العلم ،

---

(١) كان يحضر مجلس الدباغ رجل لايعتقد فيه أنه ولى كبير !! فكان إذا حضر سكت الدباغ عن أساطيره الصوفية خشية أن يفضحه الرجل أمام تلاميذه ، ثم قال لهم : « إذا حضر هذا الرجل فلا تسألونى عن شىء حتى يقوم » ويروى أحد تلاميذه أنهم كانوا إذا سألوا الدباغ وذلك الرجل حاضر وجدوه ـ أى الدباغ ـ كما يقول تلميذه : « كأنه رجل آخر لا نعرفه ولا يعرفنا وكأن العلوم التى تبدر منه لم تكن له على بال » ص ٤٢ جـ ٢ الإبريز . أعرفت سر سكوت الصوفية أمامك ؟ إنهم يخشون بطش الحق بهم أمام دراويشهم .

(٢) ص ١٥٨ طبقات الصوفية للسلمى .

فهو من الخاصة ، وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة ، وكل من عَبَّر عنه ، وتكلم فيه ؛ فهو النجم الذى لايُدْرَك ، وأن علم التصوف لايستغنى عنه أحد ، وأن نسبته إلى العلوم نسبة الكُلّىِّ لها ، ونسبة الشرط الذى لابد منه لتحصيلها ، وأنه لايوجد تحت أديم السماء أشرف من علم التصوف ، وأنه لن ينقطع ، حتى ينقطع الدين[1] » كأنما رسول الله ، وأصحابه كانوا من جهلة العوام ! وكأنما ابن عربى والشعرانى أعظم مقاماً عند الله من السابقين الأولين !

وكأنما العلم الحديث الذى فجر الذرة ، وسخر قواها ، وجعل من الحديد طيرا ، كأنما هو غير مُجْدٍ فى تقدم البشرية ! لأنه ليس تصوفا !

بل هذا معناه : أن ماجاء به المتصوفة أفضل وأعظم مما جاء به خاتم النبيين ! أليسوا يقولون : « إنه لا يوجد تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم؟ » والرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن صوفياً ، ولا دعا بدعوة التصوف !

فهل فى مقدور صوفى أن يثبت صدق تلك الزعوم الكواذب ، والظنون الشواحب البواهت ! كما ثبت بالحق الساطع أنها زَيْغٌ وزَيْفٌ وبهتان ؟ !

مَرْحى بالمحاجَّة

وهنا ينازعنى الإشفاق على شَيْبتك ياسماحة الشيخ ، وعلى نفسك الذاوية من هجير الأسى ، ولَفْح اللوعة المضنية ، بيد أنى أرى من الخير ، أن أصل مابينى وبينك بالإلحاف فى رجاء صادق ، هو أن تقرأ ، وأن تقرأ ! ولست بطامع فى أن ترد على ما كتبت ! ترى أيُخلف الشيخ الكبير ظنى[2] ؟

(١) ص ٧ ، ٨ كتاب إيقاظ الهمم شرح الحكم لابن عجيبة .

(٢) أعثرنى الله على كبير منهم فى منزل رجل كريم لايعرف دين الصوفى الكبير الذى كان على بينة من عدة لغات وعدة فلسفات ، ويتزعم طائفة كبيرة لها فروعها المنتشرة فى كل مكان ، فما هى إلا لحظات قصار ، حتى قهره الله بالحق من آياته ، مما اضطره إلى أن يحكم بأن عقيدة السلف هى خير عقيدة . وهذا ديدنهم . فرار جبان ، وكذب جبان !!

لم يحل خطر منصبك بينك ، و بين أن تشكو منا إلى النيابة ، فلما أن أيأسك عدلها من أن تَظْلِم لك ، شكوت إلى كل حكومة سابقة ! فهل يحول بينك ، و بين أن تذود عن الصوفية غائلة ساحقة ماحقة ؟ ! إنى ليخيَّل إلىَّ أن الشيخ الكريم سيدعونى إلى مناظرة يشهدها الجم الغفير من أتباعه ، فمرحى مرحى بها ، و إن كانت عند وثن الشعرانى ! و إذا لم ينزع أحدكم إلى الرد ، فسيؤمن الكثيرون أن الصوفية باطل جبان لا يعربد بِسَوْرته إلا حين يغمض الحق عنه عينيه لحظة ! .

وأصيخوا إلى قول الله : (٤٠ : ٤١ ـ ٤٤ و ياقوم : مالى أدعوكم إلى النجاة ، وتدعوننى إلى النار ، تدعوننِى ؛ لأ كفرَ بالله ، وأشركَ به ما ليس لى به علمٌ ، وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار ، لا جَرَمَ أنما تدعوننى إليه ، ليس له دعوةٌ فى الدنيا ، ولا فى الآخرةِ ، وأن مَرَدَّنا إلى الله ، وأن المُسرفين هم أصحابُ النار ، فَستَذْكرُون ما أقول لكم ، وأُفوِّض أمرى إلى اللهِ ، إن اللهَ بصير بالعباد) فهلا أَفَضْتُم إلى حِمى الله ، وعلى إشراق الهدى من كتابه وسنة رسوله ، نسعى فى الوجود دعاة إيمانٍ وحق وتوحيد و إخاء وسلام ؟ !

دعوة من الحب إلى الضحايا

أمَّا أنتِ أيتها الضحايا المسكينة التعسة ، وأنت ياقرابين الشهوات من الطواغيت ، فَلِلهَوى الباغى دماؤك المسفوحة ، وللأوثان منك النُّسُكُ المُلْحِد .

أيها الحيارى فى ظلمات الليل ، وغَيَابَةِ التيه ، انظروا ، وانظروا ، فَصَوِّبَ عيونكم داعٍ كريمٌ حبيب ، تتألّق البشائر على مُحَيّاه ، يدعوكم بالحب : أنْ هَلمُّوا قبل أن يطويكم التيهُ ، وتجتاحكم عواصفه ، فبابُ التوبة مفتوحٌ على مصراعيه ، وما على بابه إلاَّ كل من يُرَحِّب بكم . ومن سَمٰوات الهدى والقُدْسِ تسمعون قولَ الرحمٰن (٣٩ : ٥٣ قل : يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ،

لا تقنطوا من رحمة الله . إن الله يغفر الذنوبَ جميعا ، إنه هو الغفور الرحيم) (٢٥ : ٧٠ ـ ٧١ إلاَّ مَنْ تابَ ، وآمن ، وعمل عملا صالحاً ، فأولئك يُبَدِّل الله سيئاتهم حسناتٍ ، وكان الله غفورا رحيما ، ومن تاب ، وعمل صالحا ، فإنه يتوب إلى الله متابا) واحذروا ، فإن الله يقول : (٤ : ٤٨ إن الله لا يغفر أن يُشْرَكَ به ، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) فتعالوا إلى الله ، فما يملك ابن عربى ، أو البدوى أن يقبل لكم متابا ، أو يغفر لكم ذنبا ، أو يبدل سيئاتكم حسنات ! أو يعفو عن زلة واحدة ! .

أيها التائهون فى كهوف الظلمات ! عودوا إلى الحق من هَدْى الله الحق ، ثم انظروا حواليكم حين تنيبون إلى الله ، وتعملون بهديه . ألا ترون الإسلامَ رفّافَ الألوية فى عزة على قمة الوجود الإنسانى كله ، وعلى الذرى السامقات من كل مناحيه ؟ ! ألا ترون هداه يناسم فى رَحْمةٍ شرقَه وغربَه ؟ ألا ترون الحياة فياضةَ الصفاء والبشر والخير ، تنعم بالسلام الوديع الرفيق الآمن ؟ ! ألا ترون القلوبَ ينابيع ثرَّةً للإخاء والحب والإيثار ؟ ألا ترون الكون كله محاريب إيمان ، وحِمى حَقٍّ وعدل ، ومغانِيَ سلام كريم ؟ ! لا تعجبوا إذا رأيتم ذلك كله فإنه وعد الله العلى الكبير القدير : (٢٤ : ٥٥ وَعَدَ اللهُ الذين آمنوا منكم ، وعملوا الصالحاتِ ، لَيَسْتَخْلِفَنَّهم فى الأرض ، كما استخلف الذين من قبلهم ، ولَيُمَكِّنَنَّ لهم دينَهم الذى ارتضى لهم ، ولَيُبَدِّلَنَّهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدوننى ، لا يشركون بى شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك ، فأولئك هم الفاسقون) كل هذا يحققه الله للمسلمين إذا هم أخلصوا لله وحده دينهم ، ووَعْدُ الله لن يتخلف ؛ لأنه الكريم القدير ، وقد حقق الله سبحانه وعده لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولأصحاب محمد ، ولكل من سلك بالحق سبيل محمد ، وسيحققه لكم إذا اتبعتم سبيله .

دعوة صادقة الحب أيها الحيارى : لا مَنْجَاة لكم من آلامكم وأحزانكم ، ومن الخوف الذى يعصف بكم ، والقلق الذى تضطرب به مشاعركم ، لا منجاة

لكم من تلك الهموم الساجية إلا إذا لُذتم بحمى الله وحده(١) ، تؤمنون به ، وتتدبرون آياته ، وتهتدون بهديه ، وتقتدون برسوله وحده (٨ : ٢٤ يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله ، وللرسول ، إذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ، وأنه إليه تُحشرون) .

---

(١) لاذ الصوفية بفاروق ، وأفاضوا إليه عبداناً يشكرونه على أن منح شيخهم كسوة ، وبين يدى فاروق ، وقف شيخ الصوفية يخطب عابداً شاكراً ، فقال عن الكسوة : « إنها يامولاى رمز لما أعطاك الله من مواهب ، وعنوان لفيض من فيوضاته سبحانه على قلب فاروق الطاهر تكشف عن مدى طهر وضعه الله فيك ، فصفت روحك الطيبة . وإن هذا التكريم للصوفية إنما هو قبس من قلبك النقى ينير لنا الطريق ، ويهدينا سواء السبيل ، فبك نستضىء ، ومن هديك نسترشد ، ومن روحك العالية نستمد الإلهام والهدى وإنى إذ أتشرف بالوقوف بين يديك اليوم أقطع على نفسى عهداً وثيقا أن أكون لجلالتك المخلص الوفى أمدك الله يامولاى بروح من عنده ، وألبسك حلة من مجده ، وأيدك بجند من جنده ، وأعانك بعونه وكفلك بعين رعايته » اقرأ الصحف الصادرة بتاريخ ١٩٤٧/٣/٢٥ م . فهل يذكر الصوفية ؟ ! « بك نستضىء » تقديم الجار والمجرور يفيد قصر استضاءتهم على فاروق ؟فهل يذكرون ؟ « من هديك نسترشد » هكذا ؟ بتقديم الجار والمجرور ؟ هذا معناه أن الصوفية لم تكن تهتدى بشىء إلا بهدى فاروق ! !

خاتمة

وإني ـ وقد ناضلت الصوفية بهدى الله ـ أعرف أن هذا النضال يثير عليَّ بَغْيَ أحقادهم، ويقف بي على شفا خطرٍ يدهمُ بغتةً منهم بجَوْرِه، غير أني أومن بهذه الحكمة الرائعة المؤمنة: «لأن يكونَ الناسُ جميعاً عدُوًّا لي في الدنيا، خيرٌ من أن يكون الله وحده خصمي يوم القيامة» وأجعل من هذه الآية الكريمة مناراً لي (١٢ : ١١٠ حتى إذا استَيْأَسَ الرسل، وظنوا أنهم قد كُذِبُوا، جاءهم نصرُنا، فنُجِّيَ من نشاء، ولا يُرَدُّ بأسنا عن القوم المجرمين) هذا وعدُ الله لرسله، ووعده لأتباع رسله. فليتدبر الصوفية! ولْيَشْكُوا إلى النيابة ما شاءوا، فلن ترى النيابة فيمن يدلها على الجُناةِ جانيا، ولا في رَدِّ العدوان عن كل مقدسات الدين والفضيلة، وقِيَمِ الفكرِ جريمةً! والصوفيةُ بَغْيٌ وفتنةٌ مجنونةُ الأحقادِ، غير أنها تختال عذراءَ طاهرة ألَمَّ بها ظَنٌّ مرتابٌ، وملائكيَّةً تُسَلْسِلُ الوحْيَ في فجر المحراب!

ولن أضع القلم ـ وحسبي الله ـ إلا إذا أصْمَيْتُ الصوفيةَ، وأدميت، أو إلاَّ إذا تهدمتُ أنا، أو قضيت! فلن تخشى صَوْلَةُ الحق، سَوْرَة الباطل، ولكن كل هذا لن يَمَسَّ قلوبنا بحقد، ولا نفوسنا بضغينة، بل إنه ليرفع بأيدينا ـ ومن خلفها قلوبنا تحنها ـ في ضراعة خاشعة إلى الله أن يهب لنا، وللصوفية الإيمانَ الحقَّ، وأن يهديهم سبحانه سبيل الإسلام.

(٣ : ٨ ربنا لا تُزِغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمةً؛ إنك أنت الوهاب).

عبد الرحمن الوكيل

وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية

مراجع الكتاب ومصادره

١ القرآن الكريم

كتب السنة

٢ جامع الأصول فى أحاديث الرسول

٣ دليل الفالحين شرح رياض الصالحين

٤ الجامع الصغير للسيوطى

كتب تفسير

٥ تفسير ابن كثير

٦ « ابن القيم

٧ « الزمخشرى

كتب لغة

٨ القاموس المحيط

٩ معجم مقاييس اللغة لابن فارس

كتب دينية إسلامية وغيرها

١٠ مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية

١١ مجموعة الرسائل الكبرى « «

١٢ العَلَم الشامخ للمقبلى

١٣ حاشية الصاوى على الخريدة

١٤ العهد القديم

١٥ خلاص النفوس فى الصلوات والطقوس

١٦ مكاتيب عبد البهاء

كتب الصوفية

١٧ فصوص الحكم لابن عربى [(1)]

١٨ الفتوحات المكية « «

١٩ مجموعة رسائل ابن عربى طبع الهند

٢٠ مواقع النجوم لابن عربى

٢١ ذخائر الأعلاق « «

٢٢ ديوان عمر بن الفارض طبع بيروت

٢٣ شرح الديوان للبوريني والنابلسى

٢٤ كشف الوجوه الغر للقاشانى

٢٥ الإنسان الكامل للجيلى

٢٦ تذكرة الأولياء للعطار

٢٧ الطواسين للحلاج

٢٨ أخبار الحلاج

٢٩ اللُمَع للطوسى

٣٠ التعرُّف لمذهب أهل التصوف للكلاباذى

(١) اعتددنا بأربع نسخ بتحقيق الدكتور عفيفى

(٢) بشرح القاشانى (٣) بشرح جامى (٤) بشرح بالى افندى

٣١ قواعد الصوفية للشعرانى
٣٢ اليواقيت والجواهر «
٣٣ الـكبريت الأحمر «
٣٤ لطائف المنن «
٣٥ مطلع خصوص الكلم للقيصرى
٣٦ إحياء علوم الدين للغزالى
٣٧ مشكاة الأنوار «
٣٨ قوت القلوب لأبى طالب المكى
٣٩ جامع الأصول فى الأولياء للكمشخانلى
٤٠ إيقاظ الهمم بشرح الحكم لابن عجيبة
٤١ الفتوحات الإلهية « «
٤٢ جواهر المعانى لعلى بن حرازم
٤٣ رماح حزب الرحيم لعمر بن سعيد
٤٤ الإبريز للدباغ
٤٥ تائية ابن عامر البصرى
٤٦ النفحات الأقدسية لمحمد بهاء الدين البيطار
٤٧ القول الفريد لمحمد دمرداشى
٤٨ معرفة الحقائق « «
٤٩ روض القلوب المستطاب لحسن رضوان
٥٠ مفتاح الفلاح لابن عطاء الله
٥١ المجموعة الدمرداشية
٥٢ بلغة المريد للبكرى
٥٣ مجموعة الأحزاب طبع استامبول
٥٤ رسالة لأحمد عبد المنعم الحلوانى
٥٥ منحة الأصحاب للرطبى
٥٦ الهبات المقتبسة لمحمد عثمان

كتب مؤلفة عن الصوفية

٥٧ ابن الفارض والحب الإلهى للدكتور محمد حلمى
٥٨ الصوفية فى الإسلام لنيكلسون
٥٩ فى التصوف الإسلامى «
٦٠ الإنسان الكامل للدكتور بدوى
٦١ شطحات الصوفية « «
٦٢ شهيدة العشق الإلهى « «
٦٣ التصوف الإسلامى لزكى مبارك
٦٤ التصوف فى الإسلام للدكتور فروخ
٦٥ مشتهى الخارف الجانى للشنقيطى

كتب التاريخ والتراجم والطبقات

٦٦ وفيات الأعيان لابن خلكان
٦٧ نفح الطيب للمقرى
٦٨ ميزان الاعتدال للذهبى
٦٩ لسان الميزان لابن حجر
٧٠ طبقات الشافعية للسبكى
٧١ عجائب الآثار للجبرتى

٧٢ حضارة العرب لغستاف لوبون
٧٣ تاريخ العرب العام لسيديو
٧٤ « « « لفيليب حتى
٧٥ مصر لأدولف إرمان
٧٦ المصريون المحدثون للمستشرق لين
٧٧ الحرب الصليبية الأولى لحسن حبشى
٧٨ فجر الإسلام لأحمد أمين
٧٩ لواقح الأنوار «الطبقات» للشعرانى
٨٠ الرسالة للقشيرى
٨١ طبقات الصوفية للسلمى
٨٢ الكواكب الدرية للمناوى
٨٣ طبقات الشاذلية للكوهنى

كتب فلسفة

٨٤ الفلسفة الشرقية لغلاب
٨٥ الفلسفة فى الشرق لبول ماسون
٨٦ المدخل لجوتييه
٨٧ عقيدة الشيعة لرونلدسن
٨٨ العقيدة والشريعة لجولد زيهر
٨٩ مذاهب التفسير «
٩٠ الفكر اليهودى جمع دكتور هرمس
٩١ التراث اليونانى للدكتور بدوى

مراجع عامة

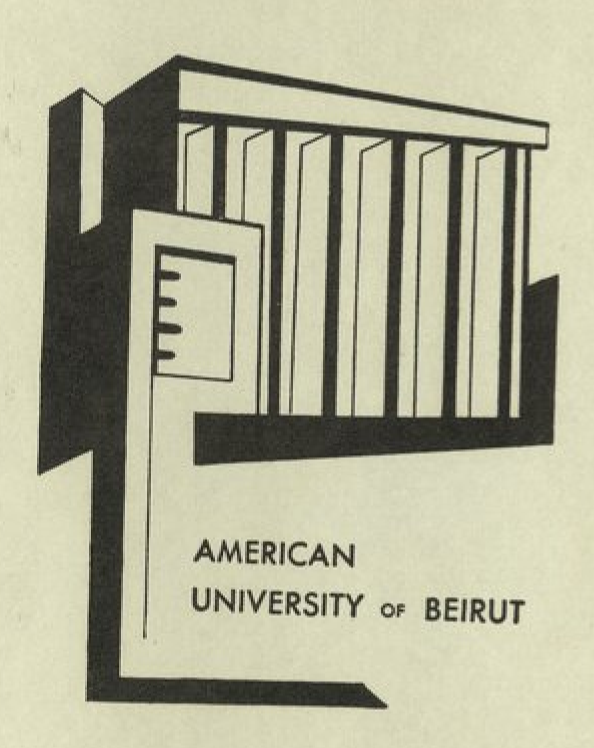
٩٢ مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة
٩٣ الكليات لأبى البقاء
٩٤ التعريفات للجرجانى [1]

(١) ملحوظة : لم نذكر تواريخ طبع هذه الكتب ولا أسماء مؤلفيها كاملة ، إذ ذكرنا ذلك فى متن الكتاب نفسه .

فهرس

فهرس

DATE DUE


AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT